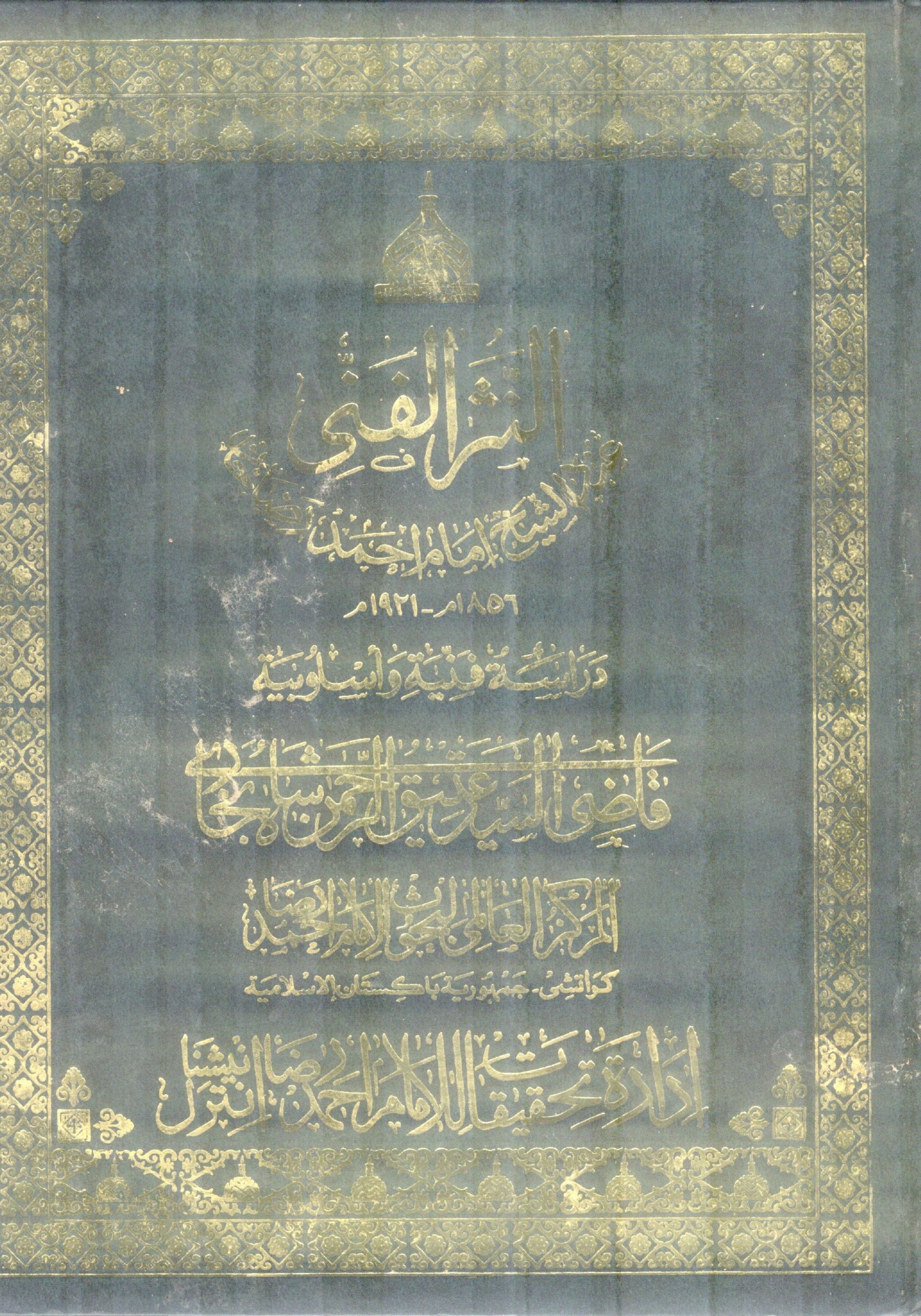

النثر الفني
عند الشيخ إمام أحمد رضا
١٨٥٦م - ١٩٢١م
دراسة فنية وأسلوبية
قاضي السيد عتيق الرحمن شاه بخاري
المركز العالمي لبحوث الإمام أحمد رضا
كراتشي - جمهورية باكستان الإسلامية
إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا انترنيشنل



النثر الفني

عند الشيخ إمام أحمد رضا خان

١٨٥٦م - ١٩٢١م

دراسة فنية وأسلوبية

قاضي السيد عتيق الرحمن شاه بخاري

إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا انترنيشنل

المركز العالمي لبحوث الإمام أحمد رضا

كراتشي - جمهورية باكستان الإسلامية

٢٥/جابان مينشن، رضا جوك، (ريجل) صدر كراتشي ٧٤٤٠٠ صندوق البريد ٤٨٩،

هاتف: ٧٧٢٥١٥٠، فيكس: ٧٧٣٢٣٦٩، اى. ميل: marifraza@hotmail.com

اسم الكتاب --- النثر الفنى عند الشيخ أحمد رضا خان

الباحث --- السيد عتيق الرحمن شاه

سن اشاعت --- ١٤٢٤ھ/٢٠٠٣ء

كمپوزنگ --- الشيخ ذيشان احمد قادرى

نگران اشاعت --- السيد محمد خالد قادرى

پبلشرز --- المختار ببلى كيشنز ، كراتشى ، تلفون ٧٧٢٥١٥٠-٠٢١

هديه ---

مراكز ترسيل

﴿١﴾ 25،جابان مينشن رضا جوك (ريگل) صدر،كراتشى۔فون:7723150

﴿٢﴾ ضياء الدين ببلى كيشنز، نزد شهيد مسجد كهارادر، كراتشى ۔ فون:2203464

﴿٣﴾ كاظمى كتب خانه عقب جامعه غوث اعظم،داتا گنج بخش رود، رحيم يار خان،فون:0731-71361

﴿٤﴾ سادات ببلى كيشنز،لاهور(پرگريسوبكس ، اردو بازار ،لاهور۔042-7352785

﴿٥﴾ مكتبۂ زاويۂ ١٠ – مركز الاويس (سستا هوتل) دربار ماركيت، لاهور۔فون:042-7113553

﴿٦﴾ مكتبۂ اهلسنت برائت كارنر،نزد جاندنى جوك،كراتشى

﴿٧﴾ مكتبۂ قادريه ،برائت كارنر،جاندنى چوك ،كراتشى۔فون:4944672

﴿٨﴾ مكتبۂ رضويه، گارى كهاته آرام باغ، كراتشى ۔فون:2627897

﴿٩﴾ ضياء القرآن ببلى كيشنز، انفال سينتر ،اردو بازار ، كراتشى ۔فون:2210212

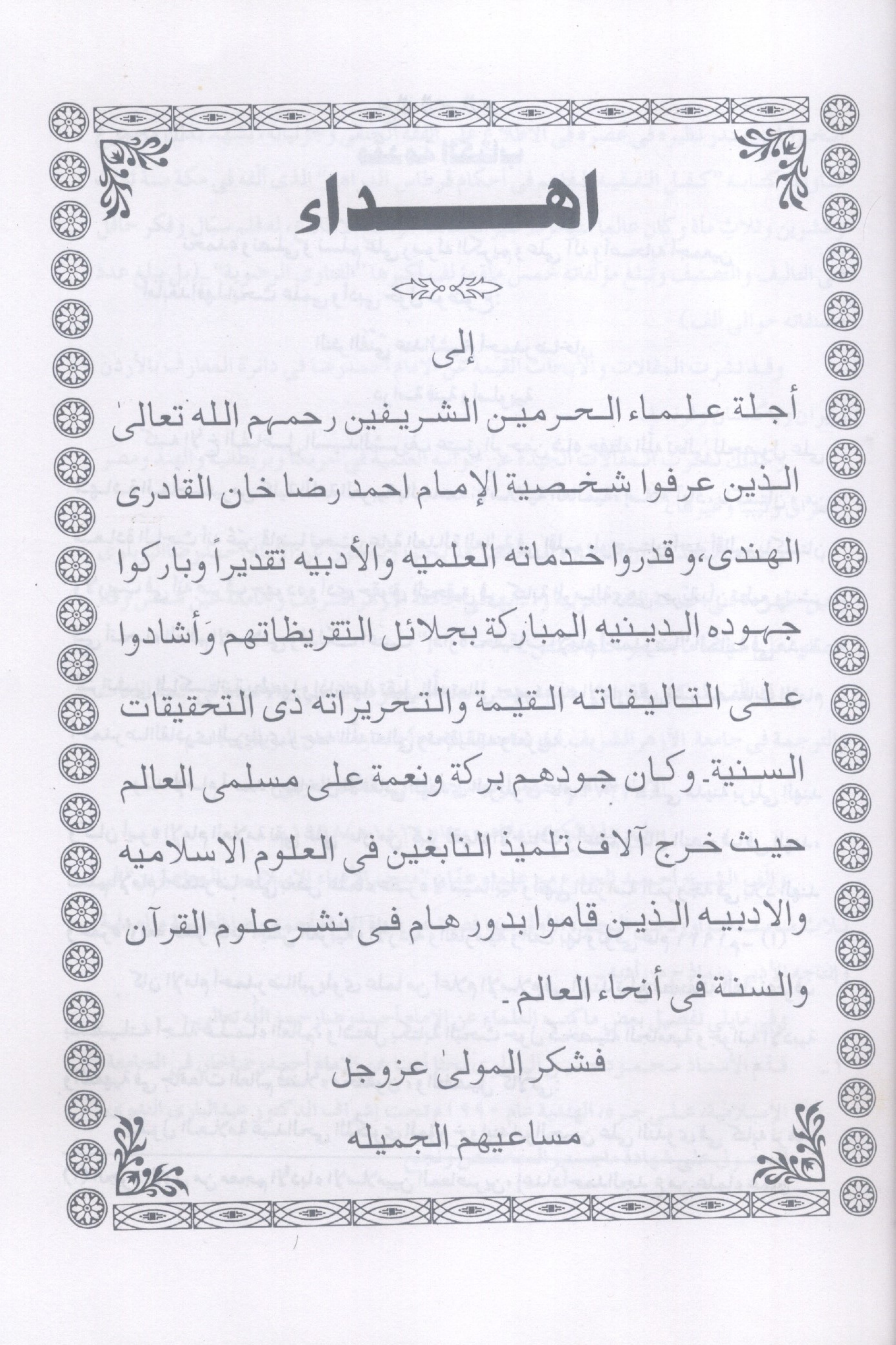
﴿١٠﴾ مكتبه غوثيه ، برانى سبزى مندى ،كراتشى ۔فون:4926110

قادريه ببلشرز

5/A،كارابهائى كريم جى رود، نيا آباد ، كراتشى ۔فون:7529937

شكر واجب

طبع هذا الكتاب على نفقة
الحاج الأخ محمد رفيق بر كاتي
حفظه الله تعالى ونتضرع إلى
المولى الكريم أن يجعل هذه
المساهمه السخية منه في
ميزان حسناته يوم لا ينفع مال
ولا بنون إلا من أتى الله
بقلب سليم ○



اهداء

إلى

أجلة علماء الحرمين الشريفين رحمهم الله تعالىٰ

الذين عرفوا شخصية الإمام احمد رضا خان القادرى

الهندى،و قدروا خدماته العلميه والأدبيه تقديراً وباركوا

جهوده الدينيه المباركة بجلائل التقريظاتهم وأشادوا

على التاليفاته القيمة والتحريراته ذى التحقيقات

السنية۔ وكان جودهم بركة ونعمة على مسلمى العالم

حيث خرج آلاف تلميذ النابغين فى العلوم الاسلاميه

والادبيه الذين قاموا بدورهام فى نشر علوم القرآن

والسنة فى أنحاء العالم۔

فشكر المولىٰ عزوجل

مساعيهم الجميله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

نحمده ونصلى و نسلم على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين

أمابعد!فهذابحث علمى وأدبى حول موضوع:

النثر الفَنّىّ عندالشيخ أحمدرضاخان

دراسة فنية وأسلوبية

كتبه الأخ الفاضل السيدالشريف عتيق الرحمٰن شاه حفظه اللّٰه تعالىٰ للحصول على شهادة الماجستيرمن كلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان و من سعادة الباحث أنه عُيّن قاضيا تحت رعاية العدالة العالية فى إقليم بلوجستان أحد أقاليم باكستان ولاريب فى أنه صرف جهوده وأدى حقوق التحقيق فى كتابة الرسالة وهى حريّة بأن تطبع وتنشر فى أنحاء العالم الإسلامى ولذلك اعتَنت "إدارة تحقيقات الإمام أحمدرضا" الكائنة فى مدينة كراتشى الباكستانية بطبعها وإذاعتها، تقبل اللّٰه تعالى جهودهذه الإدارة فى نشر مصنفاتِ الإمام أحمدرضاالقادرى البريلوى رحمه اللّٰه تعالىٰ وتحقيقاته وتعريفه.

ولدالإمام أحمد رضاخان الأفغانى الهندى البريلوى عام ١٢٧٢ھ فى مدينة بريلى الهند وكان أبوه الإمام العلامة نقى على خان من كبار فقهاء الأحناف وأعظم رجال التصوف فى الهند، تعلم الإمام أحمدرضا على بعض علماء عصره لا سيّماأبيه وأنهى الدراسة المروجة فى بلاد الهند وعمره أربعة عشر عاما ، يتقن العربية والأردية والفارسية وألف بها وتوفى عام ١٩٢١م- (١)

كان الإمام أحمدرضاالبريلوى علما من أعلام الإسلام فى الهند تبلغ مصنفاته ألفا، اعترف بفضيلته أجلّة علماء العالم، واشتغل بكتابة البحث حول شخصيته الجامعية وجوانبه الأدبية والفقهية فى جامعات العالم فضلاء محققون ، والتفصيل كالآتى:

يقول العلامة عبدالحى اللكنوى المؤرخ وابنه ابوالحسن على الندوى فى كتابه نزهة

---

(١) الجزء الاول من معجم الأدباء الاسلاميين المعاصرين، إعدادأحمدالجدع من علماء عمّان

الخواطر: يندر نظيره فى عصره فى الاطلاع على الفقه الحنفى وجزئياته، يشهد بذلك مجموع فتاواه وكتابه "كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم" الذى ألّفه فى مكة سنة ثلاث وعشرين وثلاثِ مأة وكان عالما متبحراً كثير المطالعة، واسع الاطلاع، له قلم سيّال وفكر حافل فى التاليف والتصنيف وتبلغ مؤلفاته خمس مأة مؤلف أكبرها "الفتاوى الرضوية" ـ(بل يبلغ عدد مصنفاته حوالى ألف)

وقد نشرت المقالات والأبحاث القيّمة عن الامام أحمدرضا فى دائرة المعارف بالأردن وإيران وباكستان وفرنسا۔

وكذلك نشرت المقالات الجيدة عن جوانبه العلمية فى أمريكا وبريطانية والهند ومصر والعراق وليبيا وغيرها۔

وجدير بالذكر أن الفضلاء المحققين قد بحثوا ويبحثون عن الإمام أحمدرضاالبريلوى وعن جهوده فى خدمة اللغة العربية وآدابها فى جامعة الأزهر الشريف وجامعة عين شمس وقد حصلوا على شهادة ماجستير المتخصص۔

وقد ألّف الدكتور الفاضل حازم محمد أحمد المحفوظ المصرى الأستاذ فى كلية اللغات والترجمة فى جامعة الأزهر الشريف عن شخصية الإمام أحمدرضاخان البريلوى باسم:

الإمام الأكبر محمد أحمد رضاخان والعالم العربى

وطبع هذا الكتاب بلاهور، عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

والّف الشيخ أحمد الجدع من علماء عمّان "معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين" فى ثلاث مجلدات أورد فى الجزء الأول منها فصلا عن حياة الإمام أحمد رضا العلمية والعملية وإنتاجه الأدبى ونماذج من أدبه۔

وفى مايلى تفصيل بعض ماكتب العلماء عن الإمام أحمدرضا رحمه الله تعالى۔

١ ـ قدّم الأستاذ محمود حسين البريلوى بحثا أدبيا عن الإمام أحمدرضاخان فى الجامعة الإسلامية، على جره، الهندية عام ١٩٩٠م تحت إشراف الدكتور عبدالبارى الندوى للحصول على شهادة ماجستير المتخصص ونجح

٢ـ ألف فضيلة الدكتور حازم محمد أحمد المحفوظ الديوان العربى للإمام أحمد رضا خان البريلوى باسم "بساتين الغفران" وطبع من لاهور والحمد لله على أن راجعته ـ يحتوى حوالى تسعمائة بيت، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٧م ـ

٣ـ حصل على شهادة ماجستير المتخصص الولد الأعز الفاضل ممتاز أحمد السديدى الأزهرى من كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر الشريف وكان عنوان بحثه:

"الشيخ أحمد رضا خان البريلوى الهندى شاعراً عربياً"

والحمد لله على أن نجح بتقدير ممتاز والآن هو مشتغل بإعداد رسالة الدكتوراة بجامعة الأزهر الشريف حول موضوع: "العلامة فضل الحق الخير آبادى — دنياه وشعره العربى"

٤ـ فضيلة الدكتور السيد الشريف حازم محمد أحمد المحفوظ قام بترجمة "القصيدة السلامية" إلى اللغة العربية نثرا، ثم نظمها الأستاذ الأديب، أستاذ الأجيال فضيلة الدكتور حسين مجيب المصرى باسم:

"المنظومة السلامية فى مدح خير البرية" (صلى الله عليه وسلم)

وطبعت بالقاهرة، عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

٥ـ وهكذا نقل الدكتور حازم محمد أحمد المصرى الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف الديوان الأردى للإمام أحمد رضا البريلوى المسمى باسم "حدائق بخشش" إلى اللغة العربية ونظمه فضيلة الدكتور حسين مجيب المصرى باسم "صفوة المديح" وقد طبع بالقاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

٦ـ وكذلك أعد وقدم فضيلة الدكتور السيد الشريف حازم محمد أحمد المحفوظ الكتاب التذكارى بمناسبة مرور ثمانين عاما هجرية على رحيل الإمام أحمد رضا القادرى البريلوى باسم "مولانا الإمام أحمد رضا خان" وطبع بالقاهره عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ويحتوى على ثلاث مائة وثلاثين صفحة

٧ـ وقد قام فضيلة الدكتور المفتى محمد مكرم أحمد خطيب المسجد الجامع الفتحبورى وأستاذ جامعة جواهر لال نهرو، بدهلى بحثا قيما عن شخصية الإمام أحمد رضا خان باللغة العربية للحصول على شهادة الأساتذة.

٨ـ وقد قام الطالب الباكستانى الشيخ مشتاق أحمد بتقديم البحث فى جامعة الأزهر الشريف بعنوان "الإمام أحمدرضاخان وأثره فى الفقه الحنفى" ومنحت له شهادة ماجستير المتخصص عام ١٩٩٧م

٩ـ وألقيتُ فى المؤتمر العالمى المنعقد حول شخصية الإمام الأعظم أبى حنيفة تحت رعاية ادارة البحوث الإسلامية، اسلام آباد فى عام ١٩٩٨م بحثا بعنوان "فى ظلال الفتاوى الرضوية" وطبع معه مقال آخر عنوانه "الإمام أحمدرضاالحنفى القادرى فى ميزان الإنصاف".

١٠ـ وألقى الشيخ محمدأنور المشاهدى بحثا قيّما فى المؤتمر الإسلامى المنعقد فى مدينة موصل والتى تقع فى شمال العراق تحت عنوان:

"الإمام أحمدرضاخان وخدماته العلمية فى العالم العربى"

وهو مشتغل فى إعداد كتاب يردّ فيه على كتاب "البريلوية" والذى ألفه إحسان الهى ظهير.

١١ـ وأيضا أتم فى العراق بحثا علميا الدكتور عدنان الفراجى نائب رئيس جامعة صدام حسين عن "حياة الإمام أحمدرضاالادبية"

١٢ـ وقد طبعت "قصيدتان رائعتان" للإمام أحمدرضاخان فى بغداد باللغة العربية.

١٣ـ فضيلة الدكتور عدنان الفراجى نائب رئيس جامعة صدام حسين، ببغداد وفضيلة الدكتور أحمد شحاذة مشتغلان بإعداد كتاب باسم "الإمام أحمدرضاخان ـــ حياته وأشعاره الأدبية وتاثيره فى المجتمع الإسلامى".

وملخص الكلام أن الإمام أحمدرضاخان القادرى البريلوى رحمه اللّٰه تعالىٰ عالم عبقرى كثير الجوانب قد توجه إليه المحققون فى جامعات العالم، منهم صاحب هذا البحث الفاضل الشاب السيدعتيق الرحمٰن حفظه اللّٰه تعالىٰ وجزاه الجزاء الأوفىٰ.

١٨/من ذى الحجة ١٤٢٣/٥/٢٠من فبراير ٢٠٠٣م

السيد وجاهت رسول القادرى
الرئيس المركز ادارة تحقيقات للامام احمدرضاانتر نيشنل
الباكستان

محمد عبدالحكيم شرف القادرى
عميد المكتبة القادرية

ترجمة الباحث الوجيزه

هو القاضى السيد عتيق الرحمن بخارى بن السيد محمد سليمان شاه النقشبندى، ولد يوم الأربعاء، الرابع عشر من شهر جنورى عام ١٩٧٣ء فى مدينة لورالائى، الواقعة فى إقليم بلوجستان، الباكستان۔

ينحدر من قبيلة السيد، البخارى إحدى القبائل من اهل البيت، ان أباه وجده كانا عالمين زاهدين حيث يعدان من كبار الصوفياء الإسلاميين فى السلسلة النقشبندية ببلوجستان، ولذانشاء الباحث وتربى فى الأسرة الدينية والبيئة الصوفية،

أخذ العلوم الإبتدائيه فى بلوجستان، ثم تتلمذ الكتب الفارسية علىٰ يد الشيخ فيض محمد شاهجمالى الثانى وابيه الشيخ محمد اكرم شاهجمالى وذلك فى دارالعلوم الصديقية الشاهجماليه بمدينة ديره غازيخان ثم انصرف إلى مدينة الأولياء ملتان (بنجاب) والتحق بالجامعة الغوثية ہداية القرآن وأخذ العلوم إلى الشهادة العالمية عن المفتى ہدايت الله بسرورى والشيخ نذير أحمد المهروى والشيخ سعيد أحمد السعيدى والشيخ عبدالرشيد واساتذه آخرين بالجامعة هداية القرآن ملتان، والجدير بالذكر أن باحثنا حصل و سام الجائزة الأولى فى درجتى الخاصة والعالية والجائزة الثانية فى درجة الشهادة العالمية على مستوى باكستان، وذلك عام ١٩٩٢م،

ثم قبل فى الجامعة العالمية الإسلامية باسلام آباد وقبل فى مرحلة الماجستير بكلية اللغة العربية وقدم رسالة الماجستير هذه، تحت إشراف الدكتور عبدالكبير محسن،

بعد ذلك عُين "قاضيا" تحت رعاية العدالة العالية كوئته بلوجستان، عام ٢٠٠١م

وله اسهامات فى مجال التحرير والكتابة حيث ألّف عشرين كتيبا ورسالة فى اللغة الأُردية وستة عشر كتيباً وبحثا باللغة العربية واثنين بالإنجليزية۔

نحن نتضرع إلى المولىٰ الكريم أن يجعل هذه المساهمة العلميه منه فى ميزان حسناته يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم۔

مقدمة

حامدا ومصليا ومسلما وبعد

أ ـ من هو أحمد رضا؟

والحق ان الله تعالى شرف أرض الهند بكثير من الراسخين في العلم ولكل منهم جهود مشكورة في نشر العلم والأدب، بل تركوا لنا خلفهم تراثا يستحق الدراسة، فالشيخ أحمد رضا أحد هؤلاء الأفذاذ، وكان حقا علينا دراسة تراثه العلمي والأدبي، ولا شك أن العرب والعجم قد تأثروا بهذا العالم الجليل والأديب الكبير كما يشهد عليه تاليف الدكتور حازم محفوظ المصري "محمد أحمد رضا خان والعالم العربي"[(١)] الذي جمع فيه آراء علماء العرب قديما وحديثا في أديبنا، ومدى تأثرهم به.

ومن ذلك جمع ديوانه العربي وتحقيقه وتنقيحه على يد أحد أبناء جامعة الازهر [(٢)] وكذلك قام الدكتور مجيب المصري بترجمة قصيدة أديبنا السلامية ـ التي لقبت بالبردة الأردية[(٣)] ـ إلى النظم العربي ونشره اياها من مصر، ومن ذلك رسالة السيد مشتاق أحمد لنيل درجة تخصص الماجستير في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٩٧م تحت عنوان "الامام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي" ثم تابعه أحد ابناء الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ممتاز أحمد السديدي بتقديم رسالته تخصص الماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٩٩م تحت إشراف الدكتور رزق مرسي أبو العباس وكان عنوانها: "الشيخ محمد أحمد رضا خان الهندي شاعراً عربيا.

أما المقالات العلمية والمباحث الأدبية التي قدمها الباحثون في جامعات شبه القارة فعددها كبير فوق الإحصاء.

---

(١) اهتم بطبعه ونشره: رضا فاونديشن ـ لاهور ، عام ١٤١٩هـ وقبل ذلك طبع من مصر على نفقه المؤلف.

(٢) هو الدكتور حازم المحفوظ.

(٣) الشيخ كوثر النيازي، الإمام أحمد رضا خان وشخصيته الموسوعية، ص:٢٥.

ب ـ لِمَ اخترت هذا الموضوع؟

إذن ينشأ السؤال في الذهن وهو إذا كان الشيخ أحمد رضا قد نال مكانة مرموقة في الدراسات العلمية في أنحاء العالم فلماذا اخترت هذا الموضوع؟ فالجواب انني اخترته لوجوه تالية:

أولا: لم ينل نثر أديبنا حظا من الدراسة بل انه لم يتعرض أحد من الدراسين لهذا الجانب ودراسته الفنية. وكان نثر أديبنا العربي متناثرا في مكتبات عديدة منذ أكثر من خمسين سنة وينتظر الباحثين.

ثانيا: كان أديبنا عجميا مع ذلك نراه يملك زمام اللغة العربية كأنها هي لغته الأم حتى نرى فصحاء العرب وبلغاءهم يعجبون به.

ثالثا: ومن هذه الوجوه حبي بهذه الشخصية الفذة منذ ان عرفته نهراً يستمد منه علماء العرب والعجم على حد سواء، ويعجبون بغزارة علمه وسرعة قلمه، ويصفونه برب البلاغة من به الدنيا زهت[١].

فلتلك العوامل اخترت هذا الموضوع، والموضوع مرغوب فيه وان يتراي سهلاً بيد أنه يقتضي المساعي الجزيلة والمصاعب الطويلة.

ج ـ المشاكل التي واجهتها أثناء البحث

كنت أدرس في الجامعة ولم أصل إلى نصف المواد الدراسية حتى امتنع والدي الكريم من دفع رسوم الجامعة، فأجبرت على تأجيل الدراسة فجعلت أطوف بين الإخوة والأصدقاء وأذكرهم بآية القرآن "من ذالذي يقرض الله قرضا حسنا".

تيسرت لي العودة إلى الجامعة مرة أخرى، فمر عليّ ما مر من أيام المرة، كأنها ظلمات بعضها فوق بعض ولكن الله تعالى منّ علي بكرمه ووفقني حتى أكملت المواد الدراسية ونجحت في تسجيل الموضوع قبل إنهاءها.

---

(١) الشيخ علي بن حسين المالكي،المدرس بمسجد الحزام آنذاك، حسام الحرمين على منحر الكفر والمين، ص: ١٩٨.

انقطعت عن الجامعة ومكتباتها القيمة مدة من الزمن بعد إكمال الدراسة لأن الظروف قاست وضعفت، وأخيرا مكنني الله تعالى من تسجيل المعلومات المتعلقة بالموضوع وجمع أطرافه من هنا وهناك وكم تحملت مشقات في سبيل الحصول على المواد.

د ــ منهجي في البحث:

أما منهجي في دراسة هذا البحث المتواضع هو أنني قسمت الرسالة إلى مقدمة، وفصلين (كل فصل يحتوي على تمهيد ومبحثين وبعد كل مبحث خمسة مطالب) ثم الخاتمة والتفصل كما يلي:

المقدمة: تناولت فيه موجز التعريف بالأديب، الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع، المشاكل التي واجهتها أثناء البحث، المنهج الذي أسلكه في دراسة الموضوع، وكلمة الشكر إلى كل من أحسن إلي.

الفصل الأول: يحتوي على موجز تعريف الأديب وحياته الاجتماعية ورحلاته العلمية وأعماله الأدبية، وأيضاً تحدثت فيه عن عصر أديبنا من جانبي السياسي والديني، وكذلك ألقيت ضوءاً باختصار شديد على عقائده وذكرت آراء العلماء فيها.

أما الفصل الثاني: فيشتمل على نثر أديبنا الفني وأنواعه، فدرست فيه الرسائل، والإجازات، والخطب، دراسة تحليلية فنية، أفردت البحث لكل نوع من أنواع نثره وذكرت ملخص جميع ما توصلت إليه من المعلومات التي تتعلق بها، وأخذت نموذجا لكل نوع منها وحللتها تحليلاً لغويا وأدبياً، بالإضافة إلى ذكر الخصائص الفنية والسمات الأسلوبية التي في نثر أديبنا.

الخاتمة: ذكرت فيه نتائج البحث التي توصلت إليها.

هـ ــ كلمة الشكر والتقدير

يجب على أن أقدم جزيل الشكر ووافر التقدير إلى كل من ساعدني في دراسة هذا البحث المتواضع لأني اعتقدانه من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

أولا: اشكر فضيلة المشرف الدكتور عبد الكبير محسن حيث استفدت كثيرا من اقتراحاته القيمة.

ثانيا: الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري – أستاذ الحديث بالجامعة النظامية لاهور – الذي شد عضدي بتقديم المواد.

ثالثا: وكذلك الدكتور مسعود أحمد والدكتور مجيد الله القادري وغيرهما من أعضاء مجمع بحوث الإمام أحمد رضا كراتشي.

رابعا: لا يفوتني أن أقدم الشكر إلى أمي الحبيبة، والعم الحبيب السيد سعد الله شاه، وابن العم السيد تيمور شاه، والأخ عبد المجيد شاه، والعم السيد محمد يعقوب شاه رضا، هم الذين ساعدوني مساعدة مالية حتى نجحت في تقديم هذه الرسالة.

وأدعو الله تعالى أن يجزيهم خيرا، ويبارك فيهم على ما قدموا من مساهمات في هذا البحث وأن يشكر سعيهم.

الطالب: سيد عتيق الرحمن شاه

الفصل الأول

يحتوي على مبحثين وتمهيدين وخمسة مطالب

المبحث الأول: التعريف بالشيخ أحمد رضا خان

تمهيد: شخصية الشيخ أحمد رضا خان

المطلب الأول: حياته الاجتماعية

المطلب الثاني: حياته العلمية

المطلب الثالث: حياته الأدبية

المبحث الثاني: دوره في الحركات المعاصرة

تمهيد: عصر الشيخ

المطلب الأول: الحركات السياسية

المطلب الثاني: الحركات الدينية

تمهيد

شخصية الشيخ أحمد رضا خان

أ ــ اسمه ومولده

ب ــ نشأته وتربيته

ج ــ آباءه وأجداده

د ــ وفاته ودفنه

أ ــ اسمه ومولده:

هو الشيخ محمد أحمد رضا خان بن الشيخ محمد نقى علي خان القادري، بن الشيخ محمد رضا علي خان النقشبندي، بن الشيخ الحافظ كاظم علي خان، بن الشيخ محمد اعظم خان بن محمد سعادت يا رخان، بن سعيد الله خان.[1]

لم نستطع أن نعرف عن أجداد الشيخ أحمد رضا خان اللهم إلا عن خمسة أجداد، والجد الخامس سعيد الله خان كان نزح من أفغانستان إلى بلاد الهند.

ولد أديبنا الشيخ أحمد رضا خان يوم الاثنين العاشر من شهر شوال عام ١٢٧٢هـ الموافق لشهر يونيو سنة ١٨٥٦م في مدينة بريلى الواقعة في ولاية أوتاربرديش الهندية، يحدثنا الشيخ نفسه عن تاريخ ولادته قائلا: "تاريخ ولادتي المختار"(١٢٧٢هـ)، فلعل الكريم يتقبل ويختار، وذلك أن ولادتي وقت الظهر عاشر شوال سنة اثنين وسبعين بعد الألف والمأتيين، من هجرة سيد الثقلين، وسيلتنا في الدارين، عليه وعلى آله الصلوات والسلام.[2]

قام أديبنا باستخراج سنة ولادته بحساب الجمل من الآية القرآنية: أولئك الذين كتب في قلوبهم الإيمان وأيده بروح منه.[3]

هذا وقد أجمع المترجمون على أن اسمه كان "محمد" ولكن سماه جده" أحمد رضا خان" فاشتهر بهذا الاسم في أنحاء العالم، أما اسمه التاريخي فهو" المختار"

❖ كان يستخدم" رضا" لقباله في الشعر العربي والفارسي والأردي، ولكنه اشتهر في شبه القارة بلقب "أعلى حضرت" فإذا ذكر هذا اللقب لم يذهب ذهن السامع والقاري إلا إلى أديبنا الشيخ أحمد رضاخان.

---

(١) الشيخ بدر الدين القادري ، سوانح اعلى حضرت ص:٩٣.

(٢) الشيخ أحمد رضا خان، الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة ص:٤.

(٣) سورة المجادلة ، الآية: ٢٢.

وفي هذا يقول الشيخ كوثر النيازى. [1]عندما تستخدم كلمة"آن حضرت،" في اللغة الأردية يقصد بها سيدنا ومولانا محمد صلي الله عليه وسلم، أما لقب"أعلى حضـــرت" فيراد به أحد خدام الجناب النبوي هو الإمام أحمد رضا خان (١٢٧٢هـ ـ ١٣٤٠هـــ) ونجد عند التأمل أن هذه المرتبة لم تمنح له لحسن ظن اتباعه، إنما هي منحـة إلهيـة، أكرمه الله تعالى بها بسبب فنائه في حب الرسول صلـــي الله عليــه وسـلم وبسـبب شخصيته الجامعة وفي شبه القارة الهندية شخصيات كثيرة بارزة يتجلى فيـها صفـات الخير والصلاح ولكن... هي الشخصية الوحيدة التي يمكن أن تعتبر جامعة. [2]

والجدير بالذكر أن هذا اللقب قد كثر استعماله بين أحبائه ومعتقديه حتى أصبـح يرادف اسمه، فكم من كتب ومؤلفات ومقالات كتب حول شخصية أديبنا الشـيخ أحمـد رضا خان، أستخدم فيها لقبه هذا ونذكر بعضا منها على سبيل المثال:

سوانح اعلى حضرت[3]: للعلامة بدر الدين، وتذكرة خلفاء اعلى حضـــرت[4]: للشيخ محمد صادق القصوري والدكتور مجيد الله القادري، وخلفاء اعلى حضـــرت[5]: للدكتور محمد مسعود أحمد ومحمد عبد الستار طابر.

---

(١) هو الوزير السابق للأمور المذهبية والأقليات (١٩٧٤م – ١٩٧٧م) وكانت له منزلة عظيمة فـي مجـال الصحافة الباكستانية وسياستها، وكان أديبا دقيق الفكر وشاعرا بارع الخيال، وله نظرة عميقة فـي أبعـاد عصره، وكان يعد من فحول العلماء والأدباء في شبه القارة.

(٢) الشيخ كوثر النيازي ، الإمام أحمد رضا خان الحنفي البر يلوي وشخصيته الموسوعية ص:١٥.

(٣) كتب مؤلفه عن "حياة الشيخ أحمد رضا خان" إن هذا الكتاب من أهم المراجع عن ترجمة أديبنــا، نشـره المكتبة الرضوية بسكهر ١٩٨٧م.

(٤) جمع فيه مؤلفاه تراجم تلاميذ الشيخ أحمد رضا وخلفائه.
وقد بذلا جهداً مشكوراً، نشره مجمع البحوث الإمام أحمد رضا كراتشي.

(٥) ألف هذا الكتاب في نفس الموضوع وكلا الكتابين يعدان من أهم المراجع في ترجمة خلفاء أديبنا وتلاميذه.
واهتم بنشره، أكاديمية رضا لاهور.

ب ـ نشأته وتربيته:

هذا وقد بين الشيخ أحمد رضا خان في مقدمة بعض مؤلفه[1] انتماءه إلى دين الحبيب المصطفى صلي الله عليه وسلم وانتسابه إلى مذهب أهل السنة والجماعة واتباعه للمذهب الحنفي وحبه للطريقة القادرية البركاتية، ومسكنه مدينة بريلي ومدفنه المأمول المدينة المنورة بقوله التالي:

"عبد المصطفي[2] الشهير بأحمد رضا، المحمدي دينا، والسني يقينا، والحنفي مذهبا، والقادري منتسبا، البركاتي مشربا، والبر يلوي[3] مسكنا، والمدني البقيعي إن شاء الله مدفنا".

❖ ينحدر أديبنا الشيخ أحمد رضا من قبيلة "بريج" إحدى القبائل الأفغانية، وعلى رأس هذه القبيلة قيس عبد الرشيد بن عيش، الذي أسلم على يد نبينا محمد صلي الله عليه وسلم وبايعه على الإيمان والإسلام[4]

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، الزلال الأنقي، من بحر سبقة الأتقى ص:٤.

(٢) رأينا الشيخ اختار لنفسه"رضا" لقبا شعريا، وكذلك يلقب نفسه كثيرا" بعبد المصطفي" في نثره ، كنتيجة لحبه الشديد لسيدنا رسول الله لقد استخدم الرجل كلمة العبد بمعنى الخادم لا الغير، وفي هذا يقول الشيخ حازم المصري الأستاذ بجامعة الأزهر: ليس المقصود به إلا أنه الخادم المخلص للرسل الأعظم محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم الذي أرسله الله الواحد القهار رحمة للعالمين، وأننا لنجد آلاف من الناس في مصر ، وقد قيدوا في شهادات الميلاد الخاصة بأولادهم، اسمهم الأصلي" عبد المصطفي" وقد أصبح هذا الاسم اسما عاديا، بل يدعو إلى الفخر، ويتجلي منه مدي الهيام في العشق المحمدي، (محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٢٧).

(٣) البريلوية ليست فرقة حديثة كما زعم بعض الناس، بل هذه نسبة إلى مولد الشيخ أحمد رضا خان ومسكنه كما يقول الأستاذ ممتاز أحمد السنديدي الأزهري عنه: هندي بريلوي موطنا، تقع مدينة بريلي في يو ـ بي أحد الاقاليم الهندية ، وبسبب نسبته إلى هذه المدينة اشتهر بالبريلوي كذلك يرفع "الإبهام الشيخ كوثر النيازي الوزير السابق بباكستان بقوله:"مما يؤسف له أن أكثر الناس يزعمونه مؤسس الفرقة البريلوية رغم أنه باعتبار مسلكه حنفي وسلفي فقط. (انظر الإمام أحمد رضا وشخصيته الموسوعية ص ١٥،١٨).

(٤) الأستاذ محمد اكبر الأعوان، شاه أحمد رضا خان بريح افغاني ص:٧.

غادر جده الخامس سعيد الله خان من مدينة قندهار ــ الواقعة في أفغانستان ــ إلى الهند.

❖ وقد نشاء أدينا وتربى في بيت علم وفضل، حيث كان آباءه وأجداده من فرسان التاريخ في شتى الميادين العلمية والأدبية لاسيما في مجال القرآن والسنة والتصوف والزهد، والتدريس والإفتاء والتصنيف والتأليف، ليس هذا فحسب بل كانوا أصحاب الأراضي الواسعة، وتولي بعضهم منصب الوزارة[١]، فكل هذا له أثر بالغ في نشأة أدينا الشيخ أحمد رضا وتربيته.

❖ يحدثنا عن هذا الأستاذ مشتاق أحمد الأزهري[٢] قائلا:

إن البيئة والأسرة منذ النشأة الأولى هي التي تشكل الشخصية الفذة، وتظهرها، وكان أجداد الإمام أحمد رضا خان، هم قمة رجال عصرهم في شتي نواحي العلم والمعرفة... ولهذا نشاء إمامنا متقلبا في النعمة، وكان مزينا بالتقوى والطهارة، وكان متبعا للسنة النبوية، وكان مزينا بأوصاف حسنة في الطفولة وكان متصفا بذكاء خارق وذاكرة قوية.[٣]

يوافق رأيه باحث آخر من أبناء جامعة الأزهر الأستاذ محمد ممتاز أحمد السديدي[٤] حيث يقول: وقد أدت هذه البيئة إلى تخريج شاعر وأديب عربي كبير وهو

---

(١) وذلك من عام ١٩٧٤م إلى ١٩٧٧م.

(٢) تخرج من دار العلوم المحمدية ــ سركودها باكستان، التحق بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر قدم رسالة درجة التخصص "الماجستير" عام ١٩٩٧م عنوانها الإمام محمد أحمد رضا خان، وأثره في الفقه الحنفي، ذلك تحت إشراف الدكتور عبد الفتاح محمد النجار.

(٣) السيد مشتاق أحمد شاه، الإمام محمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي ص: ٨و٩.

(٤) هو ابن العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري، استاذ الحديث بالجامعة النظامية لاهور، تخرج من الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في مرحلة الماجستير بكلية اللغة العربية، ثم التحق بجامعة الأزهر، وقدم رسالة التخصص "الماجستير" عام ١٩٩٩م، موضوعها الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعرا عربيا، وأشرف عليه الدكتور رزق مرسي أبو العباس الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.

الشيخ أحمد رضا خان، ويكفيه فخرا أنه بدأ التأليف باللغة العربية، وكان عمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاما، ترى ماذا نقول في رجل بدأ يؤلف بلغته الثالثة وهو في هذه السن المبكرة... لكنها على كل حال كانت ميراثا طيبا أتت إليه عن طريق والده... وبالتالى كانت العربية ذات جذور في هذه الأسرة، وقد أثمرت ثمرات طيبة اهتم بها الباحثون.[1]

آباءه وأجداده:

لقد كان لآباءه وأجداده أثر كبير في تربيته يمكن أن نذكر هؤلاء الأفذاذ فهم:

- والده العلامة الشيخ محمد نقي علي خان ولد مستهل رجب عام ١٢٤٦هـ بالهند، ونشأ في حجر العلم والعرفان، تفقه على أبيه الفاضل محمد رضا علي خان، وصنف تصانيف جليلة تاقت خمسة وعشرين، من أجلها جواهر البيان، تفسير سورة الانشراح، وسرور القلوب في ذكر المحبوب، وأصول الرشاد لقمع مباني الفساد، وغير ذلك.[2] توفي سلخ ذي القعدة عام ١٢٩٧هـ[3] ويحدثنا الدكتور حسين مجيب المصري.[4] عنه أثناء حديثه عن تربية الشيخ أحمد رضا خان قائلا: فقد كان لأبيه باع وقدم راسخة في العربية ... الخ[5]

- جده العلامة الشيخ محمد رضا علي خان النقشبندي، فكان عالما كبيرا، وفقيها عظيما، بحراً التصوف والزهد يذكر الأستاذ المفتي شجاعت علي خان عنه فيقول:

---

(١) الأستاذ ممتاز أحمد السديدي، الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعرا عربيا ص:٤١١.

(٢) وقد ذكر الأستاذ الدكتور حازم المصري خمس وعشرين مولفا له (انظر محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ٢١ ص:٥٢ – ٥٣).

(٣) هذا ملخص ما ذكر الشيخ أحمد رضا خان في ترجمة والده، انظر في هذا مؤلفه أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص:٦٤٧ – ٦٤٨.

(٤) أستاذ كرس بكلية الأداب من جامعة عين شمس، والعضو الخبير بالمجمع اللغوي والحاصل على وسام الجدارة من الحكومة الباكستانية.

(٥) مولانا أحمد رضا خان واللغة العربية ـ مقال يتضمنه الكتاب التذكاري ص:٢٧.

كان خطيبا بليغا، وبارعا في علوم التصوف، متأدبا بآداب الفاضلة[1] توفي عام ١٢٨٢هـ، وأرّخ أديبنا الشيخ أحمد رضا خان سنة رحيله وفق حساب الجمل وذلك من الآية القرآنية: أَلاَ إِنَّ أَولِيَاءَ اللهِ لاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ يَحزَنُون. [2] وأنشد أديبنا قصيدة طويلة تحتوي على ٢٤٣ بيت، ذكر فيها والده وجده الكريمين قائلا:

❖ وارحم أبي وأباه رحما دائمـــا — واجعل قبورهما رياض جنان

❖ آنسهما اللـــهم فـي جدثيـهما — بالحور والغلمان والرضـوان

❖ أبدلـهما دارا وجـارا خـيْرًا — من هؤلاء الـــدور الجيران

❖ حتّى يقول النـــاظرون إليــهما — بتعجـب وتباشـر وتــبهان

❖ عبدان مرحومـــان رب غـافر — نزل، كريم، منزل روحـاني [3]

❖ والجد الثاني لأديبنا هو الشيخ محمد كاظم علي خان، وكان يرأس كتيبة مكونة من مائتي جندي في مدينة بدايون وكان له أراضي كثيرة[4].

❖ أما جده الثالث فهو الشيخ محمد أعظم خان، عين على منصب الوزارة في عهد المغول، ثم ترك الوزارة، وأعرض عن الحكومة واشتغل بالعبادة والزهد، ودعوة الناس إلى الله ورسوله[5].

❖ كان جده الرابع الشيخ سعادت يا رخان، أيضا تولي المنصب في نفس العهد، أما جده الخامس سعيد الله خان فنال منصب شش هزاري (ستة آلاف) في الجيش في عصر سلطان محمد شاه، وقد تلقي لقب شجاعة جنك بهادر "أي شجاع الحرب".[6]

---

(١) من هو أحمد رضا؟ ص:١٦.

(٢) سورة يونس، الآية:٦٢ / الشيخ أحمد رضا خان ، الرسائل الرضوية ص: ٣٠٤ ج ٢.

(٣) الشيخ أحمد رضا خان ، ــ ديوانه العربي ــ بساتين الغفران ص:٨٧.

(٤) الأستاذ محمد أكبر أعوان ، شاه أحمد رضا بريج أفغاني، ص: ١٢.

(٥) نفس المرجع ، ص:١٢.

(٦) السيد مشتاق أحمد ، الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي ، ص: ٢٣.

ج ـ وفاته ودفنه:

انتقل أديبنا الشيخ أحمد رضا خان إلى جوار ربه في الخامس والعشرين من صفر عام ١٣٤٠هـ الموافق الثامن والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٢١م يوم الجمعة المبارك وقت الظهر، ودفن في مدرسته بمدينة بريلي (الهند) [١] يحدثنا ابنه الأكبر وخليفته الأعظم الشيخ محمد حامد رضا خان عن وقت رحيله قائلا:" قال الشيخ أحمد رضا خان لأخيه اذهب وتوضأ وذلك في الساعة الثانية إلا خمس دقائق، فذهب أخوه، ثم أمر الشيخ ابنه أن يتلو سورة يسين وسورة الرعد عنده، فسمع الشيخ هاتين السورتين بالخشوع والخضوع، ثم جعل الشيخ نفسه يقرا أدعية السفر إلى أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعد دقيقتين صعدت روحه إلى بارئها ، وذلك في الساعة الثانية وتسع وثلاثين دقيقة، وكان المؤذن يقول حي على الفلاح وذلك يوم الجمعة ٢٥من صفر عام ١٣٤٠هـ والموافق ٢٨ أكتوبر عام ١٩٢١م ببلدة بريلي".[٢]

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشيخ أحمد رضا خان قد تنباء عن عام رحيله واستخرج تاريخ وفاته وفق حساب الجمل من الآية الكريمة: "وَيطافُ عَلَيهم بآنِيَةٍ من فضة وأكواب". [٣] (١٣٤٠) وذلك قبل رحيله بأربعة أشهر واثنين وعشرين يوماً.[٤]

---

(١) الشيخ بدر الدين القادري ، سوانح إمام أحمد رضا خان ص:٣٩١.

(٢) نفس المرجع ص:٣٨٨.

(٣) سورة الدهر، الآية: ١٥.

(٤) الشيخ بدر الدين القادري ، سوانح إمام أحمد رضا خان ص:٢٨١.

الفصل الأول

(المبحث الأول)

المطلب الأول: حياته الاجتماعية.

أ ـ زواجه وأولاده.

ب ـ شيوخه وأساتذته.

ج ـ تلاميذه وخلفائه.

أ ـ زواجه وأولاده:

لقد تزوج أديبنا في عام ١٢٩١ للهجرة، الموافق عام ١٨٧٤للميلاد من السيدة إرشاد بيكم بنت الشيخ افضل حسين، وابتعد أديبنا عن تقاليد الجاهلية ورسوم البدع في الزواج، فأكرمه الله المولي بخمس بنات وابنين صالحين.(١)

فيما يلي ترجمة موجزة لابني أديبنا الشيخ أحمد رضا خان.

الشيخ محمد حامد رضا خان:

سمي بمحمد ولكنه اشتهر باسم حامد رضا" وعرف بلقب حجة الإسلام بين أوساط العلمية والأدبية، ولد عام ١٢٩٢هـ بمدينة بريلي، أخذ العلوم العقلية والنقلية عن أبيه وأخذ الطريقة عن الشيخ أبي الحسين أحمد النوري ونال الخلافة منه، أيضا حصسسل على الإجازة في العلوم والطرق الصوفية عن والده الكريم، واعترف العرب ببراعته في الأدب العربي وله مؤلفات منها:

١- الصارم الرباني على إسراف القادياني.

٢- مجموعة الفتاوى.

٣- حاشية ملا جلال.

٤- الديوان في المدح النبوي صلي الله عليه وسلم.

٥- ترجمة مؤلفي والده " الدولة المكية وحسام الحرمين" إلى الأردية.

٦- مقدمة علمية بأسلوب أدبي رائع للإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة، باللغة العربية، توفي عام ١٣٩٢هـ الموافق عام ١٩٤٢م.(٢)

---

(١) أنوار رضا ص: ٨٦٤ لصفوة من العلماء.

(٢) الشيخ محمد صادق القصوري والدكتور مجيد الله القادري، تذكرة خلفاء اعلى حضرت ص: ٢٨٤ إلى ٢٩٨.

الشيخ محمد مصطفي رضا خان:

سمي "بمحمد" ولكنه عرف باسم " مصطفي رضا خان" ولد عام ١٣١٠هـ بمدينة بريلي، تتلمذ على يد الشيخ رحم الهي البنجلوري، وسافر إلى الحرمين الشريفين عام ١٣٩٠هـ ، أخذ سند الحديث عن الشيخ السيد علوي المالكي شيخ الحرم المكي، والشيخ السيد محمد بن أمين وذلك أثناء إقامته بالحجاز" وله مؤلفات منها:

الموت الأحمر، عروض النجاة ، فتاوى مصطفوية، إدخال السنان، الملفوظ في أربع مجلدات، الكادي في العادي، طرق الهدي.

توفي عام ١٤٠٢هـ الموافق عام ١٩٨١م[١]

ب ــ شيوخه وأساتذته:

ولم تكن أساتذته كثيرين، حيث أخذ كثيرا من العلوم والفنون عن أبيه الكريم وبالإضافة تتلمذ على يد بعض الأساتذة الأفاضل ونال عن بعضهم الإجازة، نذكر فيما يلي تراجم هؤلاء الأعلام بالإيجاز، وهم:

١- الشيخ محمد نقي علي خان القادري المتوفى عام ١٢٩٧هـ[٢]

٢- الشيخ آل رسول المارهروي:

ولد في عام ١٢٠٩هـ، أخذ أكثر العلوم والفنون عن الشيخ عين الحق الشاه عبد المجيد البدايوني والشيخ سلامة الله الكشفي البدايوني: وعن بعض آخرين من علماء فرنجي محل، وأخذ الحديث وعلومه عن الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي، ونال منه الإجازة في علوم الحديث الشريف والطرق الصوفية، فضلا عن هذا حصل على الإجازة والخلافة من والده الشيخ آل بركات وعمه الشيخ آل أحمد، وقدم الشيخ أحمد رضا خان إليه بمدينة مارهرة، تلقي منه الخلافة والإجازة في ثلاثة عشرة طريقة صوفية جنبا إلى جنب الطريقة القادرية، وذلك في ٥ من جمادى الأولي سنة

---

(١) المرجع السابق، ص: ٢٩٨.

(٢) انظر ترجمته ص ٧ فيما سبق.

١٢٩٤هـ، انتقل العارف بالله الشيخ آل رسول إلى ربه في ١٨ ذي الحجة عام ١٢٩٦هـ.[١]

٣- الشيخ السيد أحمد بن ذينى دحلان المكي:

ولد في سنة ١٢٣١هـ بمكة المكرمة، تتلمذ على يد الشيخ محمد سعيد المقدسي، والشيخ عبد الله سراج الحنفية، والشيخ السيد محمد الكتبي، والشيخ عثمان الدمياطي، مدحه كحالة قائلا: فقيه، مؤرخ، مشارك في أنواع من العلوم، مفتي الشافعية بمكة، من مؤلفاته، السيرة النبوية والآثار المحمدية، والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين، والجداول المرضية في تاريخ الإسلام، تشرف الشيخ أحمد رضا خان بنيل الإجازة منه عام ١٢٩٥هـ، توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن زيني دحلان عام ١٣٠٤هـ بالمدينة المنورة.[٢]

٤- الشيخ عبد الرحمن السراج المكي:

فقيه، ولي الإفتاء ورئاسة العلماء، وله مؤلفات منها، ضوء السراج على جواب المحتاج، ومجموعة في الفقه، توفي عام ١٣١٤هـ[٣] تشرف الشيخ أحمد رضا خان بحصول الإجازة منه عام ١٢٩٥.

٥- الشيخ حسين بن صالح جمل الليل المكي:

إمام الشافعية في الحرم توفي عام ١٣٠٢هـ وقد أعجب بما رأي من المواهب العلمية عند أديبنا، فأجازه في رواية الحديث وفق الصحاح الستة، قدم إليه إجازة مكتوبة من عنده للسلسلة القادرية وذلك عام ١٢٩٥هـ مدحه الشيخ أحمد رضا في الإجازات المتينة، وذكره بكل، إجلال واحترام.

---

(١) الشيخ محمود أحمد القادري، تذكرة علماء أهل السنة ص٢١ إلى٤٣ / الدكتور حازم المحفوظ المصري، محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص: ٣٢.

(٢) الشيخ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ص: ٢٢٩/ج:١/ الشيخ أبو جعفر الكتاني ، فهرس الفهارس ص:٢٢٩ - ٣٩١/ج:١/ الشيخ محمود أحمد القادري ، تذكرة علماء أهل السنة ص:٤٣.

(٣) الشيخ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ص: ١٤٩ - ١٥٠ /٥.

٦- الشيخ أبو الحسين أحمد النوري:

ولد عام ١٢٥٧هـ بمدينة مار هرة ـ الواقعة في اتر برد يش بالهند ـ وأخذ العلوم عن الشيخ محمد سعيد البدايوني والشيخ فضل الله الجاليري والشيخ نور أحمد البدايوني، وأخذ الطريقة عن جده الشيخ آل رسول المارهروي، أخذ عنه الشيخ أحمد رضا خان علم التكسير وعلم الجفر، توفي عام ١٣٢٤هـ.[١]

٧- الشيخ عبد العلي الرامفوري:

كان من أكبر تلاميذ الشيخ فضل حق الخير آبادي وأخذ الحديث عن الشيخ محمود إسحاق الدهلوي، والطب عن الشيخ صادق علي الدهلوي، تعلم الشيخ أحمد رضا خان عنده علم الهيئات لعدة أيام، توفي الشيخ عبد العلي عام ١٣٠٣هـ.[٢]

٨- الشيخ غلام قادر بيك اللكهنوي:

ولد عام ١٢٣٢ في لكهنو بالهند، وكان عالما ذا السيرة أخذ عنه الشيخ أحمد رضا خان بعض العلوم الابتدائية،[٣]

وقد اشتبه على بعض الناس وزعموا أنه الأخ الصغير للميرزا القادياني[٤] كلا! بل شبه لهم.[٥]

ج ـ تلاميذه وخلفاؤه:

تتسع دائرة تلاميذه وخلفائه ، حيث تتلمذ على يد أديبنا الشيخ أحمد رضا، ألوف من العلماء الأعلام، وأخذ عنه مئات الصوفية البررة، واستجازه العرب في العلوم والفنون والطرق الصوفية، والحق ما ذهب إليه الدكتور حازم المصري الأستاذ بجامعة

---

(١) الشيخ محمود أحمد القادري ، تذكرة علماء اهل السنة ص: ١١٣.

(٢) الشيخ محمد ظفر الدين البهاري، حياة اعلى حضرت ص:٣٣/ج:١.

(٣) نفس المرجع.

(٤) كما ذهب إليه الشيخ احسان إلهي ظهير في مولفه البريلوية ص:١٩ - ٢٠، والشيخ الدكتور مانع بن حماد الجهني في " الموسوعة الميسرة في المذاهب والفرق المعاصرة ص: ٥٥.

(٥) سياتي البيان عن هذا، ص: ٤٨.

الأزهر حيث قال: إننا لو أردنا إحصاء عدد تلاميذه في شبه القارة لما استطعنا أن نقوم بهذا العمل العلمي... وبالإضافة إلى تلاميذه وخلفائه ومريديه في شبه القارة هناك عددا كبيرا عن التلاميذ والخلفاء في العالم العربية. (١)

وفي هذا يقول الدكتور مختار الدين الأستاذ بجامعة علي كره (بالهند): يصعب علينا إحصاء تلاميذ الإمام أحمد رضا خان بالضبط إلا أننا نقول بالتاكيد أنهم ألوف(٢) والجدير بالذكر أنه قام الدكتور مجيد الله القادري والشيخ محمد صادق القصوري بجمع تراجم خلفاء الشيخ أحمد رضا خان وتلاميذه، وبذلا جهدا كبيرا في هذا الصدد فأخرجا مؤلفا باسم" تذكرة خلفاء أعلى حضرة" وكذلك تابعهما الشيخ عبد الستار طاهر بمحاولة تعديد الخلفاء العرب ولإخراج مؤلف قيم تحت عنوان" خلفاء أعلى حضرة" وقام الدكتور محمد مسعود أحمد عميد الكلية الحكومية سكر (باكستان) سابقا بتحقيق أنيق في هذا الصدد كما يبدو من مؤلفه " فاضل بريلوي علماء حجاز كي نظر مين" يعني" الشيخ البريلوي في عيون علماء الحجاز،

تلاميذه وخلفاءه من العرب:

لانستطيع أن نحصي خلفاءه العرب كما ذكرنا أنفا ولكننا نلقي الضوء الموجز على خمس وعشرين خليفة له من العرب في الفصل القادم(٣)

تلاميذه وخلفائه العجم:

ولهم عدد كبير لا يحصي، انهم بذلوا جهودهم في التصنيف والتأليف،والتدريس والإفتاء، وأسسو المدارس والجامعات، كما يقول الدكتور حازم المصري: تتلمذ على يد الأمام علماء أجلاء مشاهير، كان لهم الفضل في مواصلة رسالة أستاذهم، فقد انتشروا

---

(١) الدكتور حازم المحفوظ المصري، محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٤٨ - ٤٩.

(٢) مجلة " جهان رضا" ص: ٣١ أبريل مايو ١٩٩٨م تصدر من لاهور.

(٣) انظر ص: ٦٦ إلى ٦٩.

في ربوع شبه القارة وشيّدوا المساجد والمدارس والجامعات الدينية، بهدف النهضة بالمجتمع المسلم في شبه القارة، وقد وفقوا في تحقيق رسالتهم توفيقا بالغا[1] نذكر منهم:

١-ابنه العلامة الشيخ محمد حامد رضا خان المتوفى ١٣٩٢هـ تحدثنا عنه فيما سبق[2]

٢-الشيخ أبو البركات السيد أحمد القادري المتوفى ١٤٠٠هـ، سيأتي ذكره فيما بعد[3]

٣-الشيخ نعيم الدين المراد آبادي المتوفى ١٣٦٧هـ وله تفسير القرآن بالأردية باسم" خزائن العرفان في تفسير القرآن" نشر أكثر من مرات في شبه القارة.

أسس "الجامعة النعيمية" بمدينة لاهور على اسمه وهي جامعة كبيرة تعد من أشهر جامعات لاهور وأكبرها.

٤- الشيخ أمجد علي الأعظمي المتوفى ١٣٦٧هـ مؤلف" بهار شريف" وهي موسوعة كبيرة وفق الفقه الحنفي باللغة الأردية وتحتوي على سبعة عشر جزء، يستفيد منه العوام والخواص على حد سواء، حتى يعتمد عليه المفتيون بشبه القارة.

٥-الشيخ عبد العليم ميرتهي المتوفى ١٩٥٤م والد المبلغ العالمي المعاصر العلامة الشاه أحمد نوراني القائد السياسي والديني بباكستان، وله جهود بالغة في نشر الإسلام في العالم لاسيما في الغرب.

وسيأتي الحديث عن بعض الآخرين في مبحث الإجازات من الفصل القادم إن شاء الله.

---

(١) الدكتور حازم المحفوظ المصري، محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٤٨.

(٢) انظر ص: ١١.

(٣) انظر ص: ٧٠.

الفصل الأول

(المبحث الأول)

المطلب الثاني: حياته العلمية

أ ــ علومه وفنونه

ب ــ مؤلفاته

ج ــ تعليقاته وحواشيه

د ــ الإنتاج العلمي بالحجاز.

حياته العلمية

جعل أديبنا الشيخ أحمد رضا يستمد من بحارا لعلوم الإسلامية والعربية في بلاد الهند، منذ صغره، وتتلمذ على يد والده العلامة الشيخ محمد نقي علي خان القادري، وبعض العلماء الأجلاء الآخرين، لقد أكمل دراسته ولم يتجاوز الرابع عشر من عمره كما ذكر أديبنا نفسه قائلا: بيد أني منذ فرغت من الدرس وعد اسمي في المحصلين وذلك لمنتصف شعبان ١٢٨٦هـ إذ ألف ومأتين وست وثمانين، وأنا ذاك ابن ثلاثة عشر عاما وعشرة أشهر وخمسة أيام، وفي هذا التاريخ فرضت على الصلاة وتوجهت إلى الأحكام[١] حصل أديبنا على إجازة الإفتاء عن والده الكريم بعد إنهاء الدراسة مباشرة، وهو مازال صبيا في سنه وشابا في ذكائه،كما يفهم من كتابه الذي أرسله إلى تلميذه الفاضل العلامة ظفر الدين ألبها ري المتوفى ١٣٨٢هـ حيث يقول فيه: بحمد الله أفتيت أول فتوى حينما كنت في الثالثة عشر من عمري، الرابع عشر من شعبان ١٢٨٦هـ ولو بقيت حياتي إلى العاشر من شعبان سنة ١٣٣٦هـ لبلغت مدة الإفتاء إلى خمسين سنة، وإني لا يمكن لي الثناء لله تعالى على هذه النعمة الكبرى كما كان حقه[٢] وقد اشتغل أديبنا منذ صباه بالتصنيف والتأليف والإرشاد، والوعظ وشرح الكتب المتداولة وركز أغلب جهده في التأليف والتصنيف، وله مؤلفات باللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية، تبلغ عددها زهاء ألف عددا في أكثر من خمسين علما وفنا، وفي هذا يقول الدكتور حازم المصري: وقد بدأ يكتب ويشرح ويؤلف ويحقق وينظم باللغة العربية على وجه الخصوص وهو في العاشرة من عمره، وهذا يدعوا إلى التأمل والعجب فقام بشرح كتاب " هداية النحو" في سن العاشرة ثم ألف كتاب "ضوء النهاية في أعلام الحمد والهداية" وهو في الثالثة عشر من عمره[٣] هكذا وصل أديبنا قمة رجال

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة ص:٣٩.

(٢) الشيخ محمد ظفر الدين البهاري، حيات اعلى حضرت ص:٢٨/ج:١.

(٣) الدكتور حازم المحفوظ المصري، مقدمة بساتين الغفران.

العلم والأدب بل تفوق على معاصريه كما قال الشيخ أبو الحسن الندوي عنه: "واشتغل بالعلم على والده ولازمه مدة طويلة حتى برع في العلم وفاق أقرانه في كثير من العلوم والفنون لا سيما الفقه والأصول.... الخ[1]

ولسفري أديبنا إلى الحجاز إنتاج غزير في مجال العلم والأدب، سنتحدث عنه في موضعه إن شاء الله.

أ ـ علومه وفنونه:

وقد اختلف المترجمون له والباحثون في محاولة تعديد العلوم والفنون التي برع فيها أديبنا أحمد رضا خان، وقيل، وقيل... وقيل... ولكننا لا نخوض في أعماق أقوال المترجمين لضيق المقام، ونعتمد في هذا الصدد على ماذكر أديبنا نفسه في الإجازات وذلك عام ١٣٢٤هـ أثناء إقامته بالحرمين فذكر أديبنا الشيخ أحمد رضا خان براعته في تسعة وخمسين علما وفنا وقسم عند التفصيل إلى ثلاثة أنواع التالى ذكرها:

أولا: العلوم والفنون التي أخذها عن والده الكريم وعن شيوخه الآخرين وهي أحد وعشرون علما وتفصيلها ما يلي: ١- علوم القرآن الكريم ٢- علم الحديث
٣- أصول الحديث ٤- الفقه الحنفي ٥- الفقه على المذاهب الأربعة
٦- أصول الفقه ٧- الجدل المهذب ٨- التفسير
٩- العقائد والكلام ١٠- النحو ١١- الصرف ١٢- المعاني
١٣- البيان ١٤- البديع ١٥- المنطق ١٦- المناظرة
١٧- الفلسفة المدلسة ١٨- التكسير ١٩- الهيئة ٢٠- الحساب
٢١- الهندسة ، تحدث الشيخ أحمد رضا عن هذه العلوم المذكورة أعلاها وقال "فهذه أحد وعشرون علما وأخذت جلها بل كلها عن إمام العلماء خاتم المحققين، سيدنا الوالد،

---

(١) نزهة الخواطر، جـ ٨، ص:٤١.

قدس سره الماجد وسائر المشائخ شرفوا بنعمة الإجازة فلنعم المجيزون ولنعم الإجازة.[1]

ثانيا: هي العلوم والفنون التي تعلمها أديبنا الشيخ أحمد رضا خان بنفسه، ثم تلقي إجازتها عن أصحاب العلم والفن وهي عشرة التالي ذكرها:

١- علم القراءة ٢- التجويد ٣- التصوف ٤- السلوك ٥ الأخلاق

٦- أسماء الرجال ٧- السير ٨- التاريخ ٩- اللغة ١٠- الأدب بفنونه، يقول الأديب الشيخ أحمد رضا خان عنها: مما لم أقرأه أصلا على الأساتذة، لكن قريحتي فيه لائذة، لكون ما تعلمت مغنيا عن تعلمه، أو بجري العادة مغنيا في تفهمه، حتى التصوف، أعنى قدر ما إليه سبيل التعرف، بالتعلم الظاهري، أو إمعان النظر، وحسن التدبر، وإنعام الفكر، وإلا فمعنا طور وراء العقول، لا طريق إليه قبل الوصول، رزقنا المولي حظا وافرا منه بجاه الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام المقبول.[2]

ثالثا: العلوم والفنون التي برع فيها أديبنا بفضل الله يؤتيه من يشاء وهي ثمانية وعشرون علما وفنا، التي لم يتوجه إلى كثير منها معاصروه من العلماء وهي:

١- الأرثماطيقي ٢- الجبر والمقابلة ٣- الحساب الستيني ٤- اللوغرثمات ٥- علم التوقيت ٦- المناظر والمرايا ٧- علم الأكر ٨- الزيجات ٩- المثلث الكروي ١٠- المثلث المسطح ١١- الهيئة الجديدة ١٢- المربعات ١٣- علم الجفر ١٤- الزائرجة ١٥- علم الفرائض ١٦- الحساب ١٧- الهيئاة ١٨- الهندسة ١٩- التكسير ٢٠- النظم العربي ٢١- النثر العربي ٢٢- النظم الفارسي ٢٣- النثر الفارسي ٢٤- النظم الهندي ٢٥-النثر الهندي ٢٦- خط النسخ ٢٧- خط النستعليق ٢٨- تلاوة القرآن بالتجويد.

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان، الإجازات المتينة لعلماء بكه والمدينة، ص: ٣٤.

(٢) نفس المصدر.

يحدثنا أديبنا الشيخ أحمد رضا خان عن العلوم والفنون المذكورة أعلاها قائلا: إنما تفضل القدير على هذا العاجز الفقير، إني حللتها بمحض نظري في كتبها وإعمال فكري من دون استناد ما إلى أحد غيري فكأني أبو عذرتها، وأول داخل في حجرتها[١] أن كل هذا ما ذكره أديبنا لم يكن منه دعوى محض بل ترك لنا التراث خلفه الذي يتمثل في مؤلفاته وحواشيه وتعليقاته، ويقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي عنه: كان راسخا طويل الباع في العلوم الرياضية والهيئة والنجوم والتوقيت ملما بالرمل والجفر، مشاركا في أكثر العلوم.[٢]

وليس هذا من باب الفخر والكبر، حاشا وكلا، بل كان من باب التحدث بنعمة الله عز وجل كما صرح أديبنا نفسه قائلا: وحاشا لله ما قلته تمدحا، بل تحدثنا بنعمة المنعم...الخ[٣]

ب ـ مؤلفاته:

كان أديبنا الشيخ أحمد رضا خان قد شغف بالتصنيف والتأليف وركز أغلب جهده في مجال التحرير حتى نلاحظ الدكتور أحمد إدريس المصري عند محاولته لجهود علماء شبه القارة في نشر اللغة العربية فذهب إلى أن أديبنا أكثرهم تأليفا باللغة العربية حيث قال في مقاله "الأدب العربي في شبه القارة الهندية" فأمير مثل النواب صديق حسن القنوجي المتوفى في ١٣٠٧هـ وله ستة وخمسون كتابا باللغة العربية وللشيخ أحمد رضا البريلوي المتوفى ١٣٤٠هـ ثلاثمائة مصنف كما للشيخ عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي المتوفى في ١٣٠٤هـ ستة وثمانون، وللشيخ أشرف علي التهانوي المتوفى في سنة ١٣٦٢هـ ثلاثة عشر كتابا.[٤]

---

(١) نفس المصدر ص:٣٨.

(٢) نفس المصدر ص:٤٢ – ٤٣.

(٣) نزهة الخواطر ص:٤١ /ج:٨.

(٤) حولية الجامعة العالمية الإسلامية ص: ١٥٩ العدد الرابع عام ١٩٩٦م.

لقد أشار الأستاذ أبو الحسن على الندوي إلى كثرة مطالعة أديبنا وحبه للتصنيف قائلا:وكان عالما متبحرا، كثير المطالعة، واسع الإطلاع، له قلم سيال، وفكر حافل في التأليف"وأعجبوا (أي علماء الحرمين) بغزارة علمه وسعة اطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره وذكائه[1] ومن المؤسف أن التراث العلمي لأديبنا الشيخ أحمد رضا خان قد انتشر في إنحاء العالم في مكتبات معاصريه واحتفائه، وقام الباحثون لجمع مؤلفاته المتفرقة من بين الكتب والكتيبات، وأقيمت إداراة عديدة في الباكستان والهند وغيرهما من البلاد لجمع تراثه العلمي من جانب والطبع والنشر من جانب أخر.

واختلف الباحثون في تعديد مؤلفات أديبنا لعدم وجودها في مكان واحد كما ذكرنا آنفا، ويقول الدكتور حازم المصري محقق الديوان العربي لأديبنا، وقد قام محمد مسعود أحمد(دكتور) بتتبع أقوال الإمام ومعاصريه والتابعين في هذا الشان إحصاء عدد مؤلفات الإمام محمد أحمد رضا خان في المراحل المختلفة من عمره فذكر أنه في الثلاثين من عمره ــ أي في عام ١٣٠٥للهجرة الموافق عام ١٨٨٧ للميلاد كان عدد مؤلفاته ثلاثمائة وخمسين مؤلفا في خمسين علما وفنا ، ثم ذكر ابنه حامد رضا خان أن عدد مؤلفاته يزيد عن الأربعمائة مؤلف، وبعد رحيل الإمام كتب العلامة ظفر الدين بهاري، أن مؤلفات الإمام تزيد على الستمائة مؤلف، وجاء في مجلة الميزان الصادرة في مدينة بمباي عام ١٣٩٦للهجرة الموافق عام ١٩٧٦ للميلاد أن عدد مؤلفات الإمام خمسمائة وثمانية وأربعون، وذكر مفتي إعجاز ولي خان المتوفى عام ١٣٩٣ للهجرة الموافق عام ١٩٧٣ للميلاد، أن مؤلفات الإمام الأكبر أكثر من ألف مؤلف[2] زلكن ثبت بالتحقيق النهائي أن لأديبنا زهاء ألف مؤلف من بين كتب وكتيبات كما يقول الدكتور حازم الأستاذ بجامعة الأزهر: ولعله كان أفضل معاصريه إجادة في اللغة العربية التي

---

(١) نزهة الخواطر ص:٣٨ – ٤١/ج:٨.

(٢) الدكتور حازم المحفوظ المصري، محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٣٦.

تعلمها في وطنه فقام بتأليف كثير من مؤلفاته التي تزيد على ألف ما بين كتاب في مجلدات وكتيب صغيرة[١] ويوافقه في رأيه الأستاذ المفتي شجاعت على القادري حيث يقول: كان الشيخ سريع القلم، مستحضر العلم، منتظم الفهم، موفقا من الله، فصنف في خمسين علما زهاء ألف كتاب[٢] ويؤيده الباحث مشتاق أحمد الأزهري إذ يقول: ثم مازال يكتب ويصنف على مدي ثمان وخمسين سنة هجرية حتى زاد عدد مصنفاته ما بين كتاب وكتيب على الألف[٣] وفي هذا يقول الدكتور محي الدين الألوائي الأزهري[٤] ويبلغ مجموع مؤلفاته ما بين مخطوط ومطبوع حوإلى ألف كتب في مختلف اللغات، وعلى كل، كان أديبنا شمس المؤلفين في شبه القارة وها أنا أقدم بموجز التعريف لمجموعة فتاواه كنموذج من مؤلفاته.

العطايا النبوية في الفتاوى الرضويه:

هي موسوعة كبيرة في الفقه وفق المذهب الحنفي، تتضمن فتاوى أديبنا واجتهاداته في المسائل القديمة والحديثة، كان يجيب السائل والمستفتي في لغة سأله، فتجد فيها استخدام أربع لغات العربية والأردية والفارسية والهندية نظما ونثرا، وقليلا من الإنجليزية، وبالإضافة هي تقع في ثلاثة عشر مجلدا ضخما وقد طبعت ونشرت مرات من شتى بلاد شبه القارة ، والجدير بالذكر قد قام صفوة العلماء تحت إشراف رضا فاونديشن بمدينة لاهور بترجمة العبارات إلى اللغة الأردية وتحقيق المصادر والمراجع ، وتنقيح الغوا مض فنشر منه سبع عشر مجلدا ويرجي أنها تتم في ثلاثين مجلدا، كما ذهب إليه عضو رضا فاونديشن العلامة محمد عبد الحكيم شرف

---

(١) نفس المرجع ص: ١٥٨.

(٢) من هو أحمد رضا؟ ص:٢٥.

(٣) الإمام أحمد رضا وأثره في الفقه الحنفي ص:١٤١.

(٤) أما الشيخ الألوائي فاشتغل أربعا وأربعين عاما بالأعمال العلمية بجامعة الأزهر ويقوم اليوم بنفس الأعمال بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (انظر حيات أعلى حضرت ص ١١ للدكتور مسعود أحمد).

القادري أستاذ الحديث بالجامعة النظامية لاهور[1] يقول الدكتور حازم المصري عن هذه الموسوعة بأنها: أعظم مجموعة ألفت في شبه القارة بعد الفتاوى الهندية[2] ويؤكد لنا الشيخ معين الدين أحمد الندوي رئيس التحرير مجلة معارف قائلا: إن فتاواه العلمية التحقيقية الجديدة بأن يطالع كل من رزق نصيبا من العلم سواء كان من مخالفيه أو موافقية[3] ويوافقه في نفس الرأي العلامة محمد إقبال إذ يقول : إن شبه القارة من أقصاها إلى أقصاها لم يولد فيها من يشبه أحمد رضا خان في عبقريته التي لا يجود الزمان علي أحد بما يدانيها، وهذا واضح بالوضوح الأتم في فتاويه... ويسعنا قولنا أنه يعد أبا حنيفة في عصرنا الحاضر[4] وقال الشيخ إسماعيل خليل المكي حافظ كتب الحرم بعد ما رأي بعض الصفحات من فتاواه، مسلطا الضوء على مكانتها المرموقة: والله أقول والحق أقول إنه لو رآها أبو حنيفة النعمان لأقرت عينه ولجعل مؤلفها من جملة الأصحاب.[5]

واعترف أبو الحسن علي الندوي فضله قائلا: يندر نظيره في عصره في الإطلاع على الفقه الحنفي وجزئياته ويشهد بذلك مجموعة فتاواه.[6]

ج ـ تعليقاته وحواشيه:

وكان من دأب الشيخ أحمد رضا أنه عند ما يطالع الكتب يعلق عليها، ولم يترك كتابا إذا كان في ملكه إلا علق عليه، كما قال أديبنا نفسه "ولي في كلها (أي تسعة وخمسين علما) أوجلها تحريرات وتعليقات من زمن طلبي إلى هذا الحين، فإني كلما

---

(١) في ظلال الفتاوى الرضوية ص:٢٥.

(٢) محمد رضا خان والعالم العربي ص:٣٩.

(٣) مجلة معارف " الشهرية تصدر من دار المضفين بأعظم كراه عدد سبتمبر عام ١٩٤٠م.

(٤) مقالات يوم رضا ص:١٠ الجزء الثالث من محاضرة الدكتور عابد أحمد مدير بيت القرآن لاهور.

(٥) الشيخ محمد المصباحي، مقدمة جد الممتار على رد المختار.

(٦) نزهة الخواطر ص:٤٠ ج: ٨.

قرأت كتابا أو طالعت، وكان في ملكي حين أطلعت، إلا ولي عليها بعض الحواشي، إما بالاعتراض أو برفع الغواشي".[١]

وللأسف الشديد كم من حاشية قيمة، وتعليق ثمين له لم تطبع بعد[٢]، كما يحدثنا عنها الشيخ رياست علي القادري مؤسس مجمع بحوث الإمام أحمد رضا كرا تشي": وهي حوإلى مائة وأثنين مخطوطة.[٣] وفي هذا يقول العلامة فيض أحمد الأويسي[٤]: "أن الإمام أحمد رضا خان كتب حوإلى أربع وأربعين حاشية على علوم الحديث الشريف وأثنين وثلاثين حاشية على الكتب الفقهية".[٥]

ويقول الدكتور محمد مسعود عميد الكلية الحكومية سكر سابقا: يكثر عدد المخطوطات التي لم تنشر حتى الآن وهي على الكتب المختلفة ففي مكتبتي صورة مائة مخطوطة وهي تشتمل على أكثر من ثلاثين علما وفنا.[٦]

نذكر هنا تعريف "جد الممتار على رد المحتار" كنموذج من حواشيه وتعليقاته:

جد الممتار على رد المحتار:

هذه الحاشية كتبها أديبنا على رد المحتار شرح الدر المختار للعلامة ابن عابدين الشامي المتوفى ١٢٥٢هـ ولم تنشر هذه الحاشية في حياته، ولكن قام صفوة من العلماء لجمع هذه الحاشية وترتيبها وتحقيقها بعد وفاته فنشرت في مجلدين كبيرين، قدمها الأستاذ محمد أحمد الأعظمي المصباحي. وأرى من المهم أن أذكر هنا اقتباسا منها ليتبين لنا أسلوب حاشية أديبنا هذه ومكانتها العلمية ومنزلتها الأدبية كما يقول

---

(١) الإجازات المتينة لعلماء بكه والمدينة ص: ٣٥.

(٢) وهي تنتظر الباحثين في مكتبات عديدة، على رأسها مجمع بحوث الإمام أحمد رضا ، كرا تشي.

(٣) "معارف رضا" ص، ٢٢. مجلة حولية تصدر من كرا تشي عدد عام ١٩٨٦م.

(٤) من كبار علماء بهاولفور (باكستان) وله مؤلفات أكثر من مائة، أكبرها شرح تفسير روح البيان للعلامة اسماعيل الحقي باللغة الأردية على عشرات مجلدات.

(٥) نفس المجلة عام ١٩٨٢م.

(٦) حيات الشيخ أحمد رضا خان ص: ١٠٦.

العلامة الأعظمي: ويحسن لنا أن نوزع محتوياته ومدلولاته في الأقسام التالية ثم نبسط الكلام، ونفصل القول، ونأتي بالشواهد حول كل قسم منفصلا عن آخر، وهاأنا أجمل الخصائص والمزايا للكتاب أو صاحبه وجيزة تالية:

١- بحوث نادرة وتحقيقات رائعة لم يسبق إليها ٢- تكثير الجزئيات واستخراج الفروع في ضوء الأصول ٣- تنبيهات وزلات وأخطاء ومسامحات صدرت من العلامة الشامي أو صاحب الدر المختار أو فقيه غيرها ٤- حل إشكالات عويصة ودفع إيرادات معقدة تتصل بعبارة للمتن أو شرح أو بمسألة فقهية ٥- سعة إطلاعه على الفقه مع دقة نظره فيه ٦- تقديم مسائل فاتت عن الشرح أو الحاشية وتبين ما أبهم وأوثق ٨- استنباط أحكام ليست بمنصوصه ٩- سعة النظر وبسطة اليد في علم الحديث مع قوة الاستنباط وبذرة الاستدلال ١٠- تائيد الأحكام بتوفير الدلائل ١١- التوفيق بين الأقوال المختلفة ١٢- الترجيح إذا لم يكن التوفيق بينهما، وخاصة عند اختلاف التصحيح أو الفتوى ١٣- وضع الأصول والضوابط أو التنبيه عليها، والتوجيه إلى رسم المفتي وقواعد الإفتاء ١٤- التوسع في العلوم كالهيئاة والنجوم والتوقيت واللغة واستخدامها للفقه ١٥- إشارات إلى نكات ولطائف وفوائد عوائد في كلمات جامعة مختصرة، وقيمة جد الممتاز من ناحية الإيجاز، ثم يقول العلامة المصباحي: وبعد تعديد المزايا والمحاسن وجمعها في خمسة عشر نوعا، كان لنا أن نمتع القراء بمناظرها الرائقة عن كتب ونقدم إليهم شواهد تتجلى عيونهم وتبصر قلوبهم وتضاعف علومهم وتنشط عقولهم..الخ[(١)]

د ـ الإنتاج العلمي بالحجاز المقدس:

تشرف أديبنا الشيخ أحمد رضا خان بزيارة الحرمين الشريفين مرتين، وكانت لهذه الرحلة السعيدة تأثير كبير في نتاج، سافر أديبنا لأداء حجه الأول مع أبيه الكريم وذلك عام ١٢٩٥هـ وهو في الثالثة والعشرين من عمره آنذاك، فحرص أديبنا على

---

(١) الشيخ محمد المصباحي، انظر مقدمة جد الممتاز على رد المختار ص:١٦ – ١٨/ج: ٢.

الإفادة من علماء الحرمين الشريفين واتصل بأكابرهما وتشرف بالأخذ عن بعضهم فمنهم: المحدث الكبير الشيخ أحمد بن زيني رحلان الشافعي والشيخ حسين بن صالح جمل الليل المكي إمام الشافعية بمكة المكرمة والشيخ عبد الرحمن السراج المكي مفتي الأحناف بمكة المكرمة أعجب أساتذته المذكورون بما رأوا فيه من المواهب العلمية حتى بادر شيخه العلامة حسين بن صالح قائلا: إني لأجد نور الله في هذا الجبين" ثم منحه إجازة الحديث الشريف وعلومه، واقترح إمام الشافعية عليه أن يشرح مؤلفه" الجو هرة المضيئة" فشرحه أديبنا في مدة يسيرة وسماه بالاسم التاريخي وفق الحساب الجمل" السيرة المضيئة في شرح الجوهرة المضيئة" ١٢٩٥هـ ثم قدم هذا الشرح بعد يومين فقط إلى شيخه حسين بن صالح بكل إجلال واحترام[1] وسافر أديبنا إلى الحجاز لأداء حجه الثاني عام ١٣٢٣هـ وحينئذ كان عمره اثنتين وخمسين سنة، كان معه ابنه الأكبر الشيخ محمد حامد رضا خان، جرت المناقشات العلمية بينه وبين علماء الحرمين الشريفين في عدة مسائل وألف بعض الكتب على اقتراحات علماء الحرمين، يحدثنا الشيخ أبو الحسن على الندوي عن هذا ويقول: سافر إلى الحرمين الشريفين عدة مرات وذاكر علماء الحجاز في بعض المسائل الفقهية والكلامية وألف بعض الرسائل أثناء إقامته بالحرمين وأجاب عن بعض المسائل التي عرضت على علماء الحرمين وأعجبوا بغزارة وسعة إطلاعه على المتون الفقهية والمسائل الخلافية وسرعة تحريره وذكائه....الخ[2]

فأقبل عليه العلماء الكبار منهم آئمة، ومحدثون وفقهاء، حرص هؤلاء الجهابذة على الأخذ عنه وإستجازوه، ودخلوا في زمرة خلفائه وتلاميذه أفواجا، كما يصور لنا رفيق سفره هذا ابنه الفاضل الشيخ محمد حامد رضا خان ذلك المنظر الذي شاهده وراه بعينه حيث يقول: فرأينا العلماء إليه مهر عين، وأكابر العظماء إلى إعظامه

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ص:٢٨٠ ج:١٠.

(٢) نزهة الخواطر ص:٣٩إلى ٤١/ج:٨.

مسرعين، فمنهم من يقتبس من أنوار علمه وضياءه ومن يلتمس البركة في محياه... حتى أن الجلة الجليلة الممتازة، طلبوا منه بركة الإجازة ودخل كبار في بيعة الطريقة. [1]

وصنف أديبنا في هذه السفرة المباركة أربعة كتب وسماها بالاسم التاريخي وفق حساب الجمل كعادته وهي ما يلي:

أولا: الدولة المكية بالمادة الغيبية (١٣٢٣هـ)،

اتهم المخالفون بأن الشيخ أحمد رضا خان يعتقد بمساواة علم الرسول صلى الله عليه وسلم بعلم الله تعالى، فسأله علماء الحرمين بأن يبدي رأيه لهم في هذا، أجابهم الشيخ بالتفصيل في مدة يسيرة بصورة هذا المؤلف وملخص رأيه وعقيدته في هذا، زهرو بهر مما تقرر، أن شبه مساواة علم المخلوقين طرا، بعلم ربنا إله العالمين، ما كانت تخطر ببال المسلمين، أما ترى العميان؟ أوله أن علم الله ذاتي وعلم الخلق عطائي.

ثانيا: وعلم الله واجب لذاته وعلم الخلق ممكن له.

ثالثا: علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي، وعلم الخلق حادث

رابعا: علم الله غير مخلوق وعلم الخلق مخلوق

خامسا: علم الله غير مقدور وعلم الخلق مقدور ومقهور.

سادسا: علم الله واجب البقاء وعلم الخلق جائز الفناء.

سابعا: علم الله ممتنع التغير وعلم الخلق ممكن التبدل. [2]

لقد نال هذا المؤلف إعجابا كبيرا من العرب حيث قراه الشيخ صالح كمال مفتي مكة، أمام حشد كبير من العلماء، فأعجبوا به واعترفوا بفضله بل أبدوا تائيدهم لكل ما جاء فيه من أدلة حاسمة وآراء قيمة وقاموا بكتابة التقاريظ لهذا التأليف، وصل عدد

---

(١) مقدمة "الإجازات المتينة"، تحدثنا عن بعض هؤلاء العلماء الأفاضل في مبحث الإجازات من الفصل الثاني.

(٢) الشيخ أحمد رضا خان ، الدولة المكية بالمادة الغيبية ص: ٢١٢.

هؤلاء العلماء العرب نيفا وخمسين عالما، وتجد هذه التقاريظ قد طبعت ونشرت في بداية هذا التأليف ـ ومما تجدر الإشارة إليه انه أقدم بعض أبناء جامعة الأزهر، وأساتذتها على كتابة التقاريظ لهذا التاليف، لقد جمعها واهتم بنشرها الدكتور حازم المصري.(١)

ثانيا: كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم(١٣٢٤هـ)

هذا ثاني عمله العلمي مماكتبه ارتجالا بالحجاز، إذ سأله علماء مكة المكرمة عن حكم البنكنوت والعملية الورقية فأجاب أديبنا الشيخ أحمد رضا خان عن هذه المسألة بلا مراجعة الكتب، فدهش العلماء وأعجبوا به وعن هذا التأليف أبو يقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي "يندر نظيره في عصره في الإطلاع على فقه الحنفي وجزئيات يشهد "مجموعة فتاواه" "كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" الذي ألفه في مكة.(٢)

ثالثا: حسام الحرمين على منحر الكفر والمين (١٣٢٤)

المؤلف الثالث من مؤلفات أديبنا العلمية بالحجاز، وتفصيل لذلك أن الشيخ أحمد رضا خان ألف " المعتمد المستند بناء نجاة الأبد" ذكر فيه عقائد أهل السنة والجماعة من ناحية ورد العقائد الباطلة من ناحية أخرى، ثم قدم مخلص هذا المؤلف إلى علماء الحرمين وطلب منهم آراءهم القيمة. (٣) وفي هذا يقول الأستاذ حازم المصري: وكان رأيهم مؤيدا كل التائيد للإمام وكتابه، بما جاء فيه من عقائد صحيحة هي عقائد أهل السنة والجماعة في كل مكان وأقدم هؤلاء العلماء على كتابة تقاريظ جاء فيهم رأيهم هذا. (٤)

---

(١) انظر محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:١٢١ إلى ١٢٦.

(٢) نزهة الخواطر ص:٤١ج:٨.

(٣) ثم جمع هذه الأراء والتقاريظ التي تصل لأربعة وثلاثين تقريظا ورتبها في مجموعة سماها بالاسم التاريخي "حسام الحرمين على منحر الكفر والمين".

(٤) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٨٥.

رابعا: الإجازات المتينة لعلماء بكه والمدينة (١٣٢٤هـ)

لقد ذكرنا فيما سبق أن أديبنا الشيخ أحمد رضا خان عندما وصل الحجاز، فأقبل عليه علماء الحجاز والآخرين من أبناء العرب وطلبوا منه الإجازات،فأجاز بعضهم بكتابة وآخرين بلسان، بعد رجوعه إلى الهند رتب الشيخ هذه الإجازات في مجموعة سماها "الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة" وضم إليها ما كان عنده من سند الحديث المسلسل بالأولية عن ثلاثة طرق، وهي طريق الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، والشيخ عبد العزيز الدهلوي، والشيخ أبي الحسين النوري، وبالإضافة أربعة سندات سند المصافحة الخضرية، وسند المصافحة المعمرية وسند المصافحة المنامية، وسند المصافحة الجنية[1].

---

(١) يمكنك أن ترى بشيء من التفصيل لهذه السندات على ص: ٧٦-٧٧.

الفصل الأول

(المبحث الأول)

المطلب الثالث: حياته الأدبية

أ ــ ديوانه العربي.

ب ــ ديوانه الأردي.

ج ــ ديوانه الفارسي.

حياته الأدبية:

لعلك إذا رأيت المؤلفات النثرية لأديبنا الشيخ أحمد رضا خان تتيقن بأنك أمام عالم أديب، يكتب في الموضوعات العلمية بأسلوب أدبي رائع، وسيأتي الحديث عن أسلوبه الفريد في موضعه، تراه يمتزج بين الأسلوب العلمي والأدبي في جميع نثره، كان أسلوبه مرج البحرين يلتقيان،ولذا يقول الدكتور رزق مرسي أبو العباس الأستاذ بجامعة الأزهر: ألست معي أيها القاري في أن أديبا عالما أو عالما أديبا سمه كما شئت فلن أختلف معك، لك أن تقدم أي الصفتين ثم تتبعا الأخرى، وعلى كل حال ستجد نفسك أمام جبل أشم وطود راسخ متمكن من قيامه، ملئ بذخائر الفكر، والتي قيل عنها: بأنه قد برع في خمس وخمسين علما وفنا، ومع كون الشيخ في عصرنا الحديث إلا أن مؤلفاته لم تنل حظها من النور بل ربما لم تنل حظها من الترتيب وجمع الإلف إلى إلفه، والأخ إلى أخيه، والصاحب إلى صاحبه[١] ألم تر الدكتور حازم المصري أثناء حديثه عن اللغات التي برع فيها أديبنا يقول: وقد رأيناه يؤلف وينظم بهذه اللغات جنبا إلى جنب اللغة الهندية وبمطالعة آثاره الخالدة بهذه اللغات يتبين أن مؤلف هذه الآثار الأدبية على الأخص ـ ما هو إلا أديب شاعر بالفطرة.[٢]

أما رأي الدكتور محمد إسحاق القريشي. يؤيد رأينا كل تائيد إذ يقول: " كان الشيخ أحمد رضا خان شغوفا باللغة العربية وآدابها، ولا نري في مؤلفاته العربية ما يشير أدني إشارة إلى عدم قدرته على التعبير بلغة الضاد، وبالتالى نفي عدم القدرة يشهد بوجود القدرة باعتبارها اللغة الثالثة تلقينا، الأولي إتقانا واهتماما.[٣]

وكذلك يوافقه في الرأي الدكتور حامد علي خان إذ يقول: كان الشيخ أحمد رضا خان شاعرا موهوبا في اللغة العربية، وقد أكرمه الله تعالى بملكة شعرية رصينة، ولا

---

(١) وقفة في ظلال بساتين الغفران، مقال يتضمنه الكتاب التذكاري ص:٦٧.

(٢) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٢٩ – ٣٠.

(٣) "معارف رضا" مجلة حولية ص:١٢٩ المجلد ١٢.

نجد له من معاصريه نظيرا فيما نظم وكتب بالعربية وقد أثني علماء العرب على طول باعه في اللغة العربية وآدابها فكان أديبا وشاعرا كبيرا في النظم والنثر العربيين.[1]

مئات من العرب الأفاضل اعترفوا بفضل أديبنا الشيخ أحمد رضا خان وبراعته في اللغة العربية وآدابها كما يبدوا من تفريظاتهم على شتى مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان ونذكر هنا رأي العالمين الكبيرين منهم، إذ رأي العلامة الشيخ أحمد أبي الخير المدرس بالمسجد الحرام مؤلف الشيخ أحمد رضا خان "كفل الفقيه" فجعل يقول: الحمد لله على وجود مثل هذا الشيخ، فأني لم أرمثله في العلم والفصاحة وسعة الباع مع حسن سبك العبارة[2] والعالم الأخر الشيخ محمد علي المدرس بالمسجد الحرام ابن الشيخ حسين مفتي المالكية بالحرم نظم بعض الأبيات في مدح أديبنا عام ١٣١٠هـ وعددها ستة وخمسين بيتا ونكتفي هنا بذكر بيتين منها:

رب البلاغة من به الدنيا ذهت	ذا خبرة مولي المعارف والهدي
ذا فطنة عنها العلوم تفجرت[3]	ذا عفة ذا حرمة عند الـمـلا

فالآن نأتي إلى الناحية الشعرية لأديبنا.

لم يكن الشيخ أحمد رضا خان من فرسان النـثر باللغات الثلاثة، العربية والفارسية والأردية فحسب، بل كان شاعرا مجيدا جياش العاطفـة، وبارعـا باللغـات الثلاثة المذكورة ، فإنه لم ينظم الشعر لتسلية الناس، وقضاء أوقاتهم، ولم يركز علـى الإتيان بالصور البيانية فقط، بل جعل شعره وسيلة للإصلاح الديني، وإثارة الحب الإلهي، والعشق المحمدي، وكانت عاطفته المشبوبة وراء أشعاره، الأمر الـذي جعل شعره يتجه صوب القلوب، ويلفت الأنظار والأذهان.

---

(١) أنوار رضا ص: ٥٦٨ لصفوة من العلماء.

(٢) كتاب الشيخ إسماعيل خليل المكي يتضمنه مقدمة "الإجازات المتينة لعلماء بكه والمدينة.

(٣) الشيخ أحمد رضا خان ، حسام الحرمين على منحر الكفر والمين ص: ١٤٦.

عند ما إطلع الأستاذ الدكتور محي الدين الألوائي الأزهري على بعض قصائد الشيخ أحمد رضا خان العربية بادر قائلا: قديما قيل إن التحقيق العلمي الأصيل، والخيال الذهني الخصيب، لا يجتمعان في شخص واحد، ولكن مولانا أحمد رضا خان كان قد برهن على عكس هذه النظرية التقليدية.[١]

وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي[٢] في مقاله عنه. أتقن الأردية والفارسية والعربية، بل ونظم بها كلها الشعر الرصين، إذ لم تقصر جهود الشيخ محمد أحمد رضا خان على خدمة العلوم الإسلامية والتراث الإسلامي فحسب بل كان شاعرا محلقا، ينظم الشعر بالأردية والفارسية والعربية ببلاغة وتميز"[٣] ويحدثنا الأستاذ ممتاز أحمد السديدي الأزهري[٤] عنه قائلا: وله ثلاث دواوين شعرية بهذه اللغات، وكان التوفيق حليفه في الجمع بين عصارة علومه الكثيرة، وعاطفته الشعرية الفياضة، فقد إرتضع حب اللغة العربية وآدابها منذ صباه، ونمت هذه المحبة مع نشأته ، كما ظلت ثقافته الإسلامية والعربية في تطور وازدهار مستمرين مع مرور الوقت، كان الدين مصدر حبه للغة العربية وآدابها، كما كان حب المصطفي صلي الله عليه وسلم من أكبر الدوافع إلى شغفه البالغ بالعربية.[٥]

---

(١) مجلة صوت الشرق، نقلا عن محمد رضا خان والعالم العربي ص:١٧٧.

(٢) الأستاذ بجامعة الأزهر ومعهد الدراسات الإسلامية، وعميد كلية اللغة العربية ـ الأسبق ـ من جامعة الأزهر والعضو الخبير بالمجمع اللغوي، ورئيس رابطة الأدب الحديث ومجلة الحضارة والحائز لوسام الأداب من الطبقة الأولي.

(٣) شيخ العلماء الإمام محمد أحمد رضا خان مقال يتضمنه ـ الكتاب التذكاري ص:٤٥.

(٤) هو ابن محمد عبد الحكيم شرف القاري أستاذ الحديث النبوي بالجامعة النظامية لاهور تخرج من الجامعة الإسلامية العالمية بتقدير ممتاز بمرحلة الماجستير في كلية اللغة العربية ثم التحق بجامعة الأزهر في نفس الكلية وقدم رسالة تخصص الماجستير عام ١٩٩٩م وكان موضوعها الشيخ أحمد رضا خان البر يلوي الهندي شاعرا عربيا.

(٥) الشيخ محمد أحمد رضا خان البر يلوي الهندي شاعرا عربيا ص:٥٠٩.

تناول الشيخ أحمد رضا خان الموضوعات الشعرية كلها، كما نجد عنده الرثاء، والهجاء، والغزل العفيف والمناجاة، ولكن نلاحظ أنه يتجنب عن المبالغة المرزولة، ويبتعد عن التشبيهات الكاذبة.

أ ـ ديوانه العربي:

مضى حين من الدهر على وفاة الشيخ أحمد رضا خان، وقام الباحثون في الجامعات بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه والمقالات العلمية ولم يقم أحد بجمع، قصائده العربية وأشعاره المتفرقة حتى قدم الأستاذ حازم محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ[1] من جامعة الأزهر إلى " باكستان" واشتغل بهذا العمل العلمي بمساعدة الأستاذ محمد عبد الحكيم شرف القادري، أستاذ الحديث الشريف بالجامعة النظامية بمدينة لاهور، وغيره من العلماء وذلك عام ١٩٩٥م، لقد بذل الأستاذ حازم جهدا كبيرا ونجح في جمع قصائد الشيخ وتبليغ أبياته سبعمائة وخمسة وتسعين شعرا، بالإضافة إلى تسعة وتسعين تاريخا شعريا بحساب الجمل، ثم رتبها وحققها وسمي هذا الديوان "بساتين الغفران"، طبع أول مرة عام ١٩٩٧م، واهتم بطبعه ونشره أكاديمية رضا ببريطانية، ورضا دار الإشاعة لاهور، ومجمع بحوث الأمام أحمد رضا خان كراتشي.

ولا شك أن المحقق لهذا الديوان جمع ما وصلت إليه يده من أبيات الشيخ أحمد رضا خان ولكننا نرجوا المزيد ولهذا يقول الدكتور حسين مجيب المصري[٢]: وبالذكر حقيقي أن ديوانه العربي الذي بين أيدينا لا يحوى كل ما نظم مولانا أحمد رضا في اللغة العربية، وما زلنا نقع على جديد ومزيد، مثال ذلك ما قام جامع الديوان بنشره في كتاب له تحت عنوان" محمد أحمد رضا خان والعالم العربي" منها سبع يمدح فيها أباه وجده

---

(١) عضو نقابة السادة الأشراف بمصر مدرس مساعد اللغة الأردية وآدابها بجامعة الأزهر وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

(٢) أستاذ كرس بكلية الآداب من جامعة عين شمس، والعضو الخبير بالمجمع اللغوي،والحاصل على وسام الجدارة من الحكومة الباكستانية.

والإمام عبد القادر الجيلاني، كما أنه ببيتين أخرين يتحدث بنعمة الله عليه، وتلك الأبيات ترشد إلى نوعية مدحه الذي ينحصر في نطاق ضيق أراد ألا يتجاوزه.[١]

ولا شك أن العرب ــ الأدباء والباحثين ــ دهشوا بهذا الديوان وأعجبوا ببراعة أديبنا في فن الشعر العربي ومعرفته بفنونه كما يقول المحقق[٢] نفسه: إن هذا الديوان قد جعل الإمام في طليعة شعراء العربية الأعلام في شبه القارة: بل أننا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن هذا الإمام يعد في جملة أكابر شعراء العربية في العصر الحديث، وبمطالعة هذا الديوان العربي "بساتين الغفران" نتيقن من أسلوبه ولغته العذبة، أن ناظمه لا بد أن يكون عربي اللسان والبيان، بيد أننا عند ما نطالع أغراضه وموضوعاته التي تصور المجتمع الهندي في عصره نقول إن ناظمه من تلك البيئة، ونتساءل أين وكيف ومتي تعلم وأجاد وأطلع على اللغة العربية وآدابها في عصورها المختلفة، ابتداء من العصر الجاهلي، وحتى العصر الحديث.[٣]

وعن هذا يصور لنا الدكتور رزق مرسي أبو العباس[٤] قائلا: بين أيدينا كم غير قليل، وعدد لا يستهان به من الأبيات العربية، التي تدل على ذوق رفيع وتنم من إحساس عميق، وإحاطة باللغة العربية إحاطة تامة غير منقوصة، وأول ما يستوقفنا أن شاعرنا عالج القريضة بلغات أربع، كان أكثرها كما وغزارة لغتنا العربية.[٥]

هكذا يعترف فضله الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم[٦] حيث يقول عنه: " فإن شعره يؤهله لأن يكون في طليعة صفوف شعراء العربية في شبه القارة.[٧]

---

(١) مولانا أحمد رضا خان واللغة العربية مقال يتضمنه الكتاب التذكاري ص:٣٥.

(٢) هو الأستاذ الدكتور حازم محمد محفوظ مدرس مساعد اللغة الأردية وآدابها بجامعة الأزهر وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

(٣) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٤٢.

(٤) أستاذ اللغة العربية وآدابها ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر.

(٥) وقفة في ظلال بساتين الغفران مقال يتضمنه "الكتاب التذكاري" ص:٦٦.

(٦) رئيس قسم اللغة الأردية وآدابها كلية الدراسات الإنسانية(بنات) بجامعة الأزهر.

(٧) انظر مقاله " أحمد رضا خان بين الأردية والعربية " في الكتاب التذكاري ص:٧٧.

لم يقف الأمر إلى هذا الحد، بل كتب عنه جامع ديوانه الشيخ حازم مقالا آخر تحت عنوان " شيخ مشائخ التصوف الإسلامي وأعظم شعراء المديح النبوي في العصر الحديث[١] كذلك للدكتور رزق مرسي أبي العباس بحث أدبي عنوانه " الإمام محمد رضا خان مصباح هندي بلسان عربي.[٢]

ومن ذلك مقال[٣] الأستاذ الدكتور القطب يوسف زيد[٤] يتضمنه " الكتاب التذكاري" تحدث فيه بالتفصيل عن رسالة تخصص الماجستير للشيخ ممتاز أحمد السديدي، التي عنوانها" الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعرا عربيا.

ب ـ ديوانه الأردي:

قد خلف لنا الشيخ أحمد رضا خان ديوانا بالأردية تحت عنوان حدائق بخشش (أي بساتين الغفران) يشتمل على ثلاثة أجزاء ، طبع الجزء الأول والثاني في حياة أديبنا أول مرة عام ١٣٢٥هـ أما الجزء الثالث الذي يحتوي على القصائد المنثورة والأشعار المتفرقة في شتى مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان، فقام الشيخ محبوب على بجمعها وذلك عام ١٩٢٣م بعد عامين على وفات أديبنا، فادرج فيه بعض الأشعار التي ليست لأديبنا لعله فعل ذلك سهوا، ثم قام الأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد بتحقيقها ولهذا الديوان شروحات عديدة، أكبرها شرح العلامة فيض أحمد الأويسي[٥].

يحدثنا الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم رئيس قسم اللغة الأردية وآدابها بجامعة الأزهر عن هذا الديوان قائلا: والمقام هنا لا يتسع الحديث عن ديوان حدائق بخشش

---

(١) مقال نشر في مجلة آفاق عربية العدد: ٣٩٦ تاريخ ١٤١٩/١١/٢هـ.

(٢) يتضمنه الكتاب التذكاري ص: ٦٠ إلى ٦٤.

(٣) تحت عنوان "الشاعر الشيخ أحمد رضا في رحاب جامعة الأزهر.

(٤) الشهير باسم الأستاذ الدكتور/ صفوت زيد، أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية من جامعة الأزهر.

(٥) عالم كبير أسس المدرسة الأويسية في مدينة بهاو لفور باكستان وله مئات مؤلفات واشتهر ترجمته لتفسير روح البيان (للعلامة إسماعيل حقي) إلى الأردية.

كاملا ولكنه يجب أن نقول بأن هذا الديوان يعد قدوة لشعراء المديح الأردي، وهو نموذج يجدر احتذاءه لما له من مميزات قل أن تجدها عند غيره.[١]

وقام الأستاذ الدكتور محمد مبارز ملك والدكتور حازم المحفوظ(من أساتذة جامعة الأزهر) بترجمة هذا الديوان إلى اللغة العربية وتم ترجمة ما يقرب من مائتي بيت.[٢]

والجدير بالذكر أن الباحثين في الجامعات نالوا شهادات الدكتوراه حول جوانبه الأدبية كما نال الأستاذ الدكتور سراج بستوي شهادة الدكتوراه من "جامعة كانفور" تحت عنوان إمام أحمد رضا خان كي نعتية شاعري" يعني المدائح النبوية عند الإمام أحمد رضا، ومن ذلك حصول الأستاذ الدكتور عبد المنعم العزيزي على شهادة الدكتوراه من جامعة روهيل كهند بالهند تحت عنوان "أردو نعت كي تاريخ كوئي مين إمام أحمد رضا كا مقام ومرتبة"، يعني مكانة الإمام أحمد رضا في تاريخ المدائح النبوية بالأردية.[٣]

وقد قام الأستاذ الدكتور غياث الدين (أستاذ جامعة برمنكم البريطانية) بترجمة "حدائق بخشش" إلى اللغة الإنجليزية وتم هذا العمل العلمي ونشر ذلك الترجمة في مجلة شهرية "Monthely Islamic Times" البريطانية.[٤]

حقيق بالذكر أننا نجد في هذا الديوان قصيدة فريدة بأسلوب متميز، التي تبرز موهبة الشيخ الشعرية في أبدع صورة حيث يحتوي كل بيت فيها على أربعة لغات العربية والفارسية والأردية والهندية مطلعها.

لم يأت نظيرك في نظر، مثل تونه شد بيداجانا
جك راج كو تاج تو ري سر سوهي تجهكو شاه دوسراجانا.[٥]

---

(١) الكتاب التذكاري ص:٨٠.

(٢) الدكتور حازم المحفوظ المصري، محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:١٤٩.

(٣) مجلة الإمام أحمد رضا كانفرنس ص:٥٠ عام ١٩٩٦م/ ص:٨٩ عام ١٩٩٧م.

(٤) نفس المرجع ص:٥٢ عام ١٩٩٦م.

(٥) حدائق بخشش، ص: ١٤.

يستمر أديبنا على هذا النحو إلى نهاية القصيدة، يحدثنا الأستاذ الدكتور حازم المصري عن صفة هذه القصيدة الرائعة، ويعجب بها قائلا: ظل الشاعر في منظومته هذه دقيقا للغاية من ناحية براعة اللغة والبيان، وفصاحة الأسلوب لم يحظ به أحد غير شاعرنا الإمام أحمد رضا القادري الحنفي، فهو مبتكر لهذا النوع من الشعر.[1] (*)

وفي هذا الديوان تجد قصيدة أخرى نال إعجاب العجم والعرب على حد سواء هي القصيدة السلامية، التي تضم ١٧١ بيتا وله شروحات عديدة أكبرها شرح العلامة المفتي محمد خان القادري.[2] في مجلد كبير، وقد قام الدكتور حازم المصري بترجمتها إلى العربية نثرا ثم شرحها وصاغها شعرا عربيا الدكتور حسين مجيب المصري، وقد نشر باسم" المنظومة السلامية في مدح خير البرية" على نفقة الدار الثقافية للنشر القاهرة عام ١٩٩٩م أول مرة.[3]

ج ـ ديوانه الفارسي:

لم يقم أحد بجمع قصائده الفارسية بأكملها، إلا أن الدكتور محمد مسعود أحمد جمع ١٥٤ بيتا من " المختارات" وسمي هذه المجموعة "أر مغان رضا" وذلك عام ١٩٩٣م، واهتم بنشره وطبعه المختار ببلي كيشنرز كرا تشي عام ١٩٩٤م.

---

(١) بساتين الغفران ص:١١.

(*) وإن كانت وجدت آثار شعرية على هذا النمط عند بعض شعراء الفارسية، مثل سعدي وحافظ والأمير خسرو وغلام علي آزاد وغيرهم ولكنه لم يتجاوز عن لغتين فحسب أما أديبنا فجاء بأربع لغات في كل شعر واستمر كذلك إلى نهاية القصيدة ولذا قيل عنه أنه مبتكر لهذا النوع.

(٢) أنه قام بشرح كل بيت على حدة شرحا وافيا واستخرج الآيات والأحاديث وأصلها وله طبعة جيدة فاخرة في لاهور.

(٣) ويقول عن القصيدة السلامية الكوثر النيازي: ولا أبالغ إذا قلت أن قصيدته الشهيرة هذه هي القصيدة البردة في الأردية (الإمام أحمد رضا خان وشخصيته الموسوعية ص:٢٥).

الفصل الأول

المبحث الثاني: دوره في الحركات المعاصرة

تمهيد: عصر الشيخ أحمد رضا خان

المطلب الأول: الحركات السياسية

المطلب الثاني: الحركات الدينية

تمهيد: عصر الشيخ أحمد رضا خان:

ولد أديبنا في عام ١٨٥٦م ، وكان الإسلام والمسلمون يواجهون مشاكلا وأحداثا آنذاك في جميع ميادين الحياة وعلى رأسها المجال السياسي والمجال الديني، حيث كانت الهند تحت سيطرة الإنجليز وبدأت فكرتهم تنتشر في أرض الهند من جانب، وقلم زعماء الهنادكة يخدعون المسلمين وجعل مكرهم يسيطر على عقول المسلمين من جانب أخر.

وقد نشاء أديبنا في مثل هذه الظروف والأحداث، وكان لها دور كبير في حياة الشيخ أحمد رضا خان جميعا لاسيما الجانب السياسي والديني.

نحاول عن نتحدث عن هذين الجانبين لحياة أديبنا ومدي تأثره باتجاه السياسي من جانب والديني من جانب أخر، ولا نخوض في أعماق الموضوع بالتفصيل لأن المقام لا يسعه ولذا نكتفي على إلقاء الضوء على كلا جانبيه بالإيجاز.

الفصل الأول

(المبحث الثاني)

المطلب الأول: الحركات السياسية في عصر أديبنا وموقفه عنها

أ ـ المؤتمر القومي الهندي وموقف أديبنا عنه

ب ـ حركة الخلافة وموقف شيخنا عنها

ج ـ حركة ترك الموالاة وموقف أديبنا عنها

د ـ حركة الهجرة وموقف شيخنا عنها

الحركات السياسية في عصر أديبنا وموقفه عنها:

نؤكد هنا بأن أديبنا لم يكن قائدا سياسيا، ولا عضو للحركات السياسية بل كان عالما ذا بصيرة وحكما ذا فراسة ولعله خير مصداق لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل"[1] وفي هذا المعنى يحدثنا الأستاذ الأديب كوثر النيازي قائلا:" ومما يجب أن يفهم أن الإمام أحمد رضا خان لم يكن زعيما سياسيا، إنما كان حكيما مدبرا، فالزعماء السياسيون يتبعون أهواء الشعب، أما الحكماء المدبرون فهم يتنبأون بالمستقبل ويخططون له.[2]

إليكم الحديث الموجز عن بعض الحركات السياسية وموقف أديبنا عنها، وهي:

أ- المؤتمر القومي الهندي وموقف أديبنا عنه:

وقد أحكم المسلمون قبضتهم على أرض الهند إلى ألف عام، ثم جاء الإنجليز واستولي على الهند، وقام باشد أنواع العنف والظلم والاعتداء، إلى أن أقبل على المعابد، وتوجه إلى المعاهد الدينية وأغلقها، وأسري كل من قام ضد الاستعمار الإنجليزي، وكانت نتيجة لهذا الظلم والاعتداء أن اشتعلت نار العداوة خلاف الاستعمار الإنجليزي في صدور المواطنين، حتى رفع المسلمون صوتهم، وتقدموا بثورة عام١٨٥٧ م ضد هذا الاستعمار الغاشم، ولكنهم انهزموا فيه، ولم يمض برهة من الزمن حتى قام أهل الهند بتأسيس "المؤتمر القومي الهندي" في مدينة بمبائي، تحت رئاسة لورد كرزن في عام ١٨٨٥م فانضم إليه أصحاب أفكار شتي وأديان مختلفة، وكان هدف هذه المنظمة تقديم اقتراحات أبناء الهند وأفكارهم إلى الحكومة البريطانية، سئل العلماء عن مشاركة المسلمين فيه فأجاز بعض العلماء كالشيخ رشيد أحمد الكنكوهي والشيخ محمود الحسن الديوبندي، إنهما جوزا ضم المسلمين إليه وأصدر

---

(١) الشيخ محمد بن عيسى ، الجامع الصحيح كتاب التفسير سورة الحج.

(٢) الإمام أحمد رضا خان الحنفي البر يلوي وشخصيته الموسوعة ص:٢٨.

فتوى عام١٨٨٨ م[١] فانضم إليه المسلمون وشاركوا فيه أفواجا منهم محمد علي جناح مؤسس باكستان. فظل مع الهنادكة إلى ربع قرن ولكنه ائس منهم وانفصل عنهم عام ١٩٢٠م.

ولكن الشيخ أحمد رضا لم يجوز مشاركة المسلمين في المؤتمر على الإطلاق، بل وضع بعض الشروط وملخص فتواه" أنه يجب على العلماء الراسخين في العلم أن يمعنوا النظر في أهداف هذا المؤتمر في العاجل والآجل، إذ وجدوا الظروف غير ضارة للإسلام فيجوز المشاركة فيه وإلا فلا، ولم يقف أديبنا إلى هذا الحديث بل أحس مكر الهنادكة بثاقب فكره، فأسس منظمة" رضائي مصطفي" عام ١٨٨٥م وكان هدفها الأساسي تنظيم المسلمين وإصلاح مجتمعاتهم، ووقاية المسلمين عن خدعة الهنادكة ومكرهم، وقد لعبت هذه المنظمة دورا كبيرا في حركة استقلال باكستان، وكذلك تحت رئاسة المحدث السيد محمد الكجوجي تلميذ الشيخ أحمد رضا والشيخ نعيم الدين المراد آبادي مفسر القرآن خليفة الشيخ أحمد رضا خان.[٢]

ب- حركة الخلافة وموقف شيخنا عنها:

لما انتهت الحرب العالمية الأولي التي دارت بين بريطانية وألمانية عام١٩١٨ م وكان قد شارك فيها المسلمون ضد الدولة العثمانية حيث وعدهم الإنجليز باحترام الأماكن المقدسة وتحرير الهند، لكن الإنجليز تخلفوا عن وعدهم وأخذوا يمزقون التركية، فقام المسلمون بإنشاء حركة الخلافة ضد الإنجليز.[٣] تحت رئاسة محمد على الجوهر وشوكت علي الجوهر، ولم يمض مدة من الزمن إلى أن انضم إليها غاندي زعيم الهنادكة وفجاءة بدا الحديث عن الخلافة.[٤] فكان أديبنا أول من أدرك مخاطر

---

(١) مسعود العلوي، نصرة الأبرار ص:١٩ إلى ٢٦ ط ـ لاهور.

(٢) الدكتور محمد مسعود أحمد، حياة الشيخ أحمد رضا خان ص: ٥٢.

(٣) وكان هدفها الأساسي، الحفاظ على الدولة العثمانية ومساعدتها.

(٤) وتحولت القيادة إلى غاندي.

الهندوس ومكرهم فتنبأ المسلمين عن مكر هؤلاء الهنادكة، وتبينت الأيام أن موقف الشيخ أحمد رضا خان كان صائبا، حيث اضطر مولانا محمد علي الجوهر زعيم الحركة بإلقاء الخطبة في مدينة بشاور في ٢٥/ ديسمبر عام ١٩٢٧م وقال:" من جعل المؤتمر الهندي مؤتمرا عاما لكل الهند؟ من أدخل الحياة في هذا المؤتمر؟ هم المسلمون فقط. (١)

ولقد خسر المسلمون في حركة الخلافة ونال الهنادكة ربحا عظيما، يحدثنا الشيخ كوثر النيازي عن هذا ويقول: وأن غاندي الذي كان لا يرفض قطعة أرض في الهند للمسلمين، بدأ يعمل لإقامة الخلافة الإسلامية على النطاق العالمي، لقد كان وراء هذه المبادرة المفاجئة ما ورائها، أدركه الإمام أحمد رضا فرفع صوته ضد فكرة غاندي القومية المتحدة الهندية، في الوقت الذي كان العلامة إقبال الشاعر القومي لباكستان ـ والقائد الأعظم ـ مؤسس باكستان ـ مقتنعين بفكرة غاندي وغير مدركين لخطورة أبعادها. (٢)

ج- حركة ترك الموالاة وموقف أديبنا عنها:

تحولت حركة الخلافة في العام القادم أي في ١٩٢٠م إلى حركة ترك الموالاة أي حركة مقاطعة الإنجليز وكان من أهدافها عدم التعاون مع الإنجليز و المقاطعة عنهم حتى في المعاملات وأخذ التسهيلات والمساعدة من الإنجليز للكليات و الجامعات،وترك الوظائف من الحكومة فتحمس المسلمون لحركة ترك الموالاة وعملوا على أهدافها بجد ونشاط، جنبا بجنب الهندوس، وقام بعض العلماء بتائيدها مثلا كما رأينا المولوي محمود الحسن وهو يلقي الخطبة في حلقة بمدينة دهلي عام ١٩٢٠م ويقول: أن عدم

---

(١) الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، "أندهيري سي أجالى تك" ص:٢٣٢ أي من الظلمات إلى النور.

(٢) الدكتور محمد مسعود أحمد، الإمام أحمد رضا خان الحنفي البريلوي ص:٣٠.

التعاون مع الإنجليز فرض ومشاركة الهندوس في حماية الدولة العثمانية تستحق الشكر [1]

ولكن أديبنا أحمد رضا خان أصدر فتواه تتجلى فيه بصيرته وقال:" حرم القرآن الكريم في كثير من آيا ته موالاة الكفار على الإطلاق تحريما قطعيا، فالمجوس واليهود والنصارى والهنادكة كلهم سواء، وأقبح وأسوء منهم المرتدون الهنود[2] ومن ذلك قوله:" إن سلوك غاندي وأتباعه يدل على نقيض دعواهم، أليس التمتع بالقطار والبريد والبرقية من المعاملة مع الإنجليز، والعجب أن أخذ المعونة حرام وإعطاهم المال باستخدام القطار والبريد والبرقية حلال لديهم، حسب قاعدة مقاطعة الإنجليز وعدم التعاون معهم. [3]

وكان رأي العلامة محمد إقبال موافقا لرأي أديبنا حيث ذكر في بعض رسائله قائلا:" حتى لو أن عدم المساعدة، قد اعتبر فرضا دينيا، فإن الأسلوب الذي اتخذ لتنفيذ يعد في نظري مخالفا لروح الشريعة المحمدية. [4] وافقه محمد علي جناح مؤسس باكستان في نفس الرأي حتى قال في خطبة له في معرض حديثه حركة ترك الموالاة:" إن هذه الحركة مهلكة للمسلمين لقد أغلقت مدارسهم وكلياتهم وجامعاتهم ولكن بقيت جامعة بفارس الهندوكية لم تغلق أبوابها ولو ليوم واحد. [5]

ويحدثنا الأستاذ كوثر النيازي عن مشاركين في هذه الحركة ومعارضين لها ويقول:" وفي الوقت الذي نجد القائد الأعظم مخالفا لحركة ترك الموالاة كان مولانا محمد علي جوهر، وشوكت علي بالإضافة إلى كثير من السياسيين المسلمين من

---

(1) الخطبة الرئاسية ص: ١٦ الجهد المقل ط، سادهوره الهند.

(2) الشيخ أحمد رضا خان ، الفتاوى الرضوية ص: ١٢٩ ج: ٦.

(3) الشيخ أحمد رضا خان ، الرسائل الرضوية ص:٨٦/ج:٢.

(4) العلامة محمد إقبال ص:١٣١.

(5) الشيخ محمد حسن الأعظمي، القائد الأعظم وقصة باكستان ص: ٢٨.

مؤيدي فكرة غاندي في هذا الأمر، ولم يفطن الزعماء المسلمون خبث الهندوس إلا من خلال كلمات الإمام أحمد رضا. [1]

د- حركة الهجرة وموقف شيخنا عنها:

كانت هذه الحركة نتيجة لحركة عدم التعاون إذ قام بعض علماء المسلمين المشاركين في حركة ترك الموالاة بإصدار الفتوى في ضوء الشريعة المحمدية بأن الهند دار الحرب والهجرة منها فرض على المسلمين، ويجب عليهم الجهاد ضد الإنجليز، فنجح الهنادكة في كيدهم للمسلمين، كما يصور لنا الشيخ رئيس أحمد الجعفري حالة المسلمين البائسة آنذاك إذ يقول:" ثم نشأت حركة الهجرة فهاجر ١٨ ألفا من المسلمين إلى أفغانستان بعد بيع بيوتهم وعقاراتهم، وأملاكهم واشتراها الهنادكة بثمن بخس ودراهم معدودة، ولما لم يجد المهاجرون هناك مكانا لهم، بل طردوا من هناك، واضطروا إلى العودة فمات كثير منهم في الطريق، والذين نجحوا في العودة إلى الوطن، عادوا في حالة يرثي لها، فقراء مفلسين لم يجدوا معينا ولا حاميا فبماذا نسمي هذه الحادثة، إن لم تعتبر هلاكا. [2]

هذه هي نتيجة مهلكة لحركة الهجرة وأدركها الشيخ أحمد رضا بدقة نظره، بان المسلمين حكموا في الهند مئات السنين ولم يجدوا أي حرج في تأدية أعمالهم وواجباتهم الدينية، ولذا لم يعتبرها أدبينا دار الحرب، وبالإضافة كان يري أنه إذا اعتبرت الهند دار الحرب فيحل الربا للمسلمين ويوجب الهجرة منها في نفس الوقت، قام الشيخ أحمد رضا بتأليف كتيب، سماه بالاسم التاريخي"إعلام الأعلام بأن هندوستان دار الإسلام"١٣٠٦هـ، وانكشف فيه سر هذه الحركة وتنباء المسلمين عن كيد الهنادكة " وبالإضافة تتجلى فراسة أديبنا فيما قال:" يتمني العدو لعدوه ثلاثة أمور. أولها: أن

---

(١) الدكتور محمد مسعود أحمد، الإمام أحمد رضا خان الحنفي البريلوي ص:٣١.

(٢) الشيخ رئيس أحمد الجعفري، حيات محمد علي جناح ص:١٠٨.

يموت ثانيها: إذا لم يحصل الأول فإبعاده عن نفسه بالتشريد. وثالثها: إن لم يحصل الأول والثاني فإبقاء عدوه مسلوب القوة ليعيش في ذلة. (١)

أما ترون أنه قد تحققت أمنية الهندوس الأول بدفع المسلمين إلى الحرب العالمية الأولى والثانية بحركة الهجرة، والثالثة بحركة عدم التعاون.

يحدثنا الدكتور حازم المصري عن بصيرة أديبنا السياسية، لا سيما رأيه الصائب في حركة الهجرة حيث يقول:" وحينما رأي أحمد رضا مدي الضعف العسكري للمسلمين ــ وهم أقلية ــ في شبه القارة الباكستانية الهندية ورغبة الهندوس ــ الأكثرية ــ في إيقاع حرب شاملة بين المسلمين والإنجليز، وإقدامهم على التدبير والتخطيط لذلك، بهدف هزيمة المسلمين... تدبر أحمد رضا الموقف من كل جوانبه وخاصة بعد حركة الهجرة التي نادي بها بعض القادة من المسلمين حين دعوا إلى ترك شبه القارة والاتجاه إلى أفغانستان، أو تركيا، ورأي أحمد رضا أن الصالح العام للمسلمين يقضى بوجوب البقاء في شبه القارة التي حكمها المسلمون أكثر من ألف عام، وكان يعتقد أن الضعف الذي يعترى أهل لا أله إلا الله ضعف مؤقت وسينجلي. (٢)

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، الرسائل الرضوية ص:٢٠٣/ج:٢.

(٢) "مولانا الإمام أحمد رضا خان" مقال يتضمنه "الكتاب التذكاري" ص: ٩١.

الفصل الأول

(المبحث الثاني)

المطلب الثاني: الحركات الدينية وموقف الشيخ أحمد رضا عنها

أ ــ الحركة القاديانية وموقفه عنها

ب ــ تنبيه

ج ــ حركة الشيعة وموقف شيخنا عنها

د ــ تنبيه هام

هـ ــ عقيدة الشيخ أحمد رضا خان وآراء العلماء فيه

الحركات الدينية وموقف الشيخ أحمد رضا عنها:

قد ذكرنا فيما سبق أن عصر الشيخ أحمد رضا كان مليئا بالأحداث منها: كثرة الفرق الضالة والمذاهب الباطلة، وانتشارها في الهند، فنقدم هنا عرضا موجزا عن بعض الطائفة الضالة وعقائدها وموقف أديبنا عنها.

أ ــ الحركة القاديانية وموقفه عنها:

هي طائفة تنتمي إلى الميرزا وغلام أحمد القادياني (١٩٣٩م ــ ١٩٠٨م)، وله أكثر من خمسين مؤلفا منها كتب ومقالات ورسائل، أنشاء حركته "القاديانية" عام ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم الحنيف وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام.[١] ومن أبرز عقائدها جواز مجيئه النبي بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم[٢] وإنكار دفع عيسي عليه السلام إلى السماء واعتقاد موته.[٣] ووجوب طاعة الحكومة البريطانية وحرمة الخروج عليها.[٤]

وكان يري أديبنا أحمد رضا خان أن هذه الطائفة من الفرق الضالة وقام بردها وتنباء المسلمين عن عقائدهم الباطلة، وفي هذا يقول الدكتور حازم المصري عنه:" ثم أفتي بفتواه الشهيرة التي تعد أول فتوى في شأن الخروج القادياني وأتباعه عن دائرة الإسلام.[٥]

ولقد ألف أديبنا كثيراً من الكتب والكتيبات في رد القاديانية، منها: السوء والعقاب على المسيح الكذاب ١٣٢٠هـ، وقهر الديان على مرتد بقا ديان ١٣٢٣هـ المبين، في خاتم النبيين ١٣٢٦هـ، الجزار الدياني، على المرتد القادياني ١٣٤٠هـ.

---

(١) الشيخ مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص:٣١١ إلى ٣١٣.

(٢) كما جاء الصراحة بذلك في مجلة " نور الإسلام" ص:١١٥ ــ ١١٦ عدد صفر ١٣٥٢هـ

(٣) المرزا غلام أحمد القادياني، "المجددون في الإسلام" ص:٢٥٢.

(٤) المرزا غلام أحمد القادياني، ضرورة الهام، ص:٢٣.

(٥) الدكتور حازم المحفوظ المصري، الكتاب التذكاري ، ص:٩٣.

ب ـ تنبيه:

ليس من الإنصاف أن ينسب أديبنا إلى القاديانية وكان موقفه جليا في هذه الطائفة ولو ألقينا نظرة عابرة على مؤلفاته المذكورة، ولكن من المؤسف جدا أن بعض الناس أبدوا أنه تتلمذ على أخ القادياني كما يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "والجدير بالذكر أن المدرس الذي كان يدرسه مرزا غلام قادر بيك كان أخا للميرزا غلام أحمد القادياني".[١] وكذلك اشتبه على باحث آخر الدكتور مانع بن حماد الجهني حيث قال عن أديبنا: ولد في بلدة بريلي بولاية أتراء برديش وتتلمذ على المرزا غلام قادر بيك الشقيق الأكبر للميرزا غلام أحمد القادياني.[٢]

كيف نشأ هذه المغالطة ومن أين؟ يحدثنا العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري عن هذا ويزيل الشبهة حيث يقول:" وهذه المغالطة مبني على الاشتراك الاسمي فقط حيث أن أستاذ الإمام أحمد رضا، مرزا غلام قادر بيك كان عالما وطبيبا توفى عام ١٩١٧م، أما أخو القادياني فكان مدير الشرطة في "دنيا نكر" وتوفى عام١٨٨٣ م، وبين وفاتهما أربع وثلاثون عاما[٣].

يوافقه في الرأي الدكتور حازم المصري ويقول: إن هذه المغالطة نعلمه جميعا، ولكن لبيان الصواب نقول: إن من أساتذة أحمد رضا المرزا غلام قادر بيك اللكهنوي البريلوي، وهذا الأستاذ ليس الأخ الأكبر للميرزا غلام القادياني، كما لا يمت بأدنى صلة قرابة به، إن الميرزا غلام قادر بيك من سكان مدينة لكهنو الذين استوطنوا مدينة بريلي بإقليم اترا برديش وهو من أكبر علماء أهل السنة والجماعة، ألست معي أخي القاري في أن هذه التهمة يقصد بها تشويه صورة أحمد رضا.[٤]

---

(١) البريلوية ص: ١٩ - ٢٠ ط.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص:٥٥ ط.

(٣) في ظلال الفتاوى الرضوية ، ص: ٣٢.

(٤) الكتاب التذكاري ص: ٩٤.

ج ـ حركة الشيعة وموقف شيخنا عنها:

إن هذه الطائفة تنقسم إلى فرق كثيرة، اشهرها :الإسماعيلية القرامطة انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٣هـ كان ظهورهم في البحرين والشام بعد أن شقوا عصا الطاعة على الإمام إسماعيل نفسه، ونهبوا أمواله ومتاعه فهرب من سلمية في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفا من بطشهم منها: الزيدية: هي أقرب فرق الشيعة من أهل السنة والجماعة حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والعلو كما أن نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين المتوفى ١٢٢هـ.

ومنها: الإمامية الإثناء عشرية: هم تلك الفرقة من المسلمين الذين تمسكوا بحق على في وراثة الخلافة دول الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين وقالوا بإثني عشر إماما.[1]

وقد قام أديبنا برد عنيف على عقائدهم الباطلة ومعتقداتهم الضالة، وألف في ردهم مؤلفات تتجاوز عشرين عددا، وأسماها بالاسم التاريخي فمنها:

- الكلام البهي، في تشبيه الصديق بالنبي ١٢٩٧هـ
- مطلع القمرين في إبانة سبقة العمرين ١٢٩٩هـ
- الجرح الوالج، في بطن الخوارج ١٣٠٥هـ
- الرائحة العنبرية عن الجمرة الحيدرية ١٣٠٥هـ
- لمعة الشمعة، لهدي شيعة الشنعة ١٣١٢هـ
- ذب الهواء الواهية، في باب الأمير معاوية ١٣١٢هـ
- أعالى الإفادة، في تعزية الهند وبيان الشهادة ١٣٢١هـ
- جمع القرآن وبم عزوه لعثمان ١٣٢٢هـ
- الأدلة الطاعنة في أذان الملاعنة ١٣١٦هـ

---

(١) انظر للتفصيل : الموسوعة الميسرة ص:٣٧، ٤٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢٣٧، ٢٤٣.

□ رد الرافضة ١٣٢٠هـ.

د ـ تنبيه هام:

ومما يجب أن ننبه القاري، أنه ذهب بعض العلماء إلى انتساب أديبنا وأسرته إلى التشيع واتهامه بأنه كان يعمل على حساب الشيعة ويروج دعوتهم.(١)

لاندري أين هم من الحقائق؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا؟

هـ ـ عقيدة الشيخ أحمد رضا خان وآراء العلماء فيه:

نشاء أديبنا في أسرة دينية تمسكت عقائد أهل السنة والجماعة ومذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وبذل جهده المشكور في نشر العقائد الإسلامية كما تشهد عليه فتاواه، ومؤلفاته، على الرغم من ذلك قام معارضوه من أعوان المستعمر الإنجليزي وبعض المسلمين بمحاولة التشكيك في معتقداته حتى انتسبوا إليه أنه مؤسس الفرقة البريلوية، وفي هذا يقول الدكتور حازم المصري جامع ديوانه العربي: استمالوا إليهم (المستعمر الإنجليزي) نفر من المنتسبين إلى الإسلام، فحرضوهم على أن يقوموا بقيادة حملة كبيرة يظهر فيها أن أحمد رضا خان يرغب في تأسيس فرقة جديدة، تشاوروا في اسم مناسب يطلقونه عليها وعلى أهل السنة والجماعة الملتفين حوله، وبعد بحث طويل راحوا إلى أن يطلقوا اسم" البريلوية" نسبة إلى المدينة التي ولد فيها أحمد رضا خان على الفرقة التي توهموا ابتكارها وحاولوا إلصاقها به وبأهل السنة والجماعة.(٢)

وعن هذا يحدثنا العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري أستاذ الحديث النبوي بالجامعة النظامية لاهور ويلقي الضوء على هذه الحقيقة ويؤكد لنا أن من يطلق عليهم اسم " البريلوية" هم أهل السنة والجماعة من الأحناف، وجاء بأقوال أكابر رجال الفكر الإسلامي التي ترشدنا إلى أن " البريلوية" ليست فرقة جديدة بل يحمل أصحابها العقائد

---

(١) الشيخ إحسان إلهي ظهير "البريلوية" ص: ٢١ إلى ٢٤.

(٢) "حقيقة الإمام أحمد رضا خان" مقال نشر في الصحيفة الأسبوعية "آفاق عربية" من القاهرة ثم ضمه صاحبه إلى مؤلفه الكتاب التذكاري انظر ص: ٩٦.

الإسلامية القديمة، والمذهب الحنفي، حيث يقول:" ومما لا بد من التنبيه عليه أن الإمام أحمد رضا خان لم يكن مؤسسا لفرقة حديثة، بل كان عاضا بالنواجذ على طريقة الأسلاف، وكان سنيا حنفيا، تقدم إليكم بعض الشهادات على هذه الحقيقة، قال العلامة سليمان الندوي رغم ميلانه إلى أهل الحديث بعد ما ذكر طائفتين من أتباع الإمام ولي الله المحدث الدهلوي:" والطائفة الثالثة التي أقامت على طريقتها بشدة وسمت نفسها أهل السنة والجماعة فأكثر زعمائهم كانوا من علماء بريلي وبدايون (حياة شبلي للسيد سليمان ص:٣٦)، قال المؤرخ الشهير محمد إكرام تحت عنوان "الطائفة البريلوية" إنهم ساروا بكل قوة على طريق الأحناف"(موج كوثر ص:٧٠) وقال الأديب الشهير مالك رام، رغم كونه متأثرا من القاديانية والندوية: "لاسيما قوله الحاسم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله أحد، لا معبود إلاهو، ومحمد صلى الله عليه وسلم رسوله الصادق،آمنت به، وديني هو دين الإسلام، وكل معبود سوى الله تعالى باطل، لا عبادة لغير الله، المحي هو الله الواحد، والمميت هو الله الأحد، والممطر هو الله الفرد، والرزاق هو الله الأحد، الإسلام هو دين الحق، والأديان كلها دون الإسلام باطلة. [1]

كما هو معلوم عند الكل أن البريلي هو موطن مولانا أحمد رضا خان رحمة الله تعالى عليه، وكان عالما متشددا قديم الخيال (نذر شرعي ص:١٣) وقال الشيخ ثناء الله أمرتسري، مدير مجلة" أهل الحديث" التي كانت تصدر من أمر تسر:" كان المسلمون كلهم قبل ثمانين سنة على عقيدة يسمي أصحابها اليوم البريلوية الحنفية، (شمع توحيد ص: ٤٠) [2]

اتخذ نفس الرأي الأستاذ شجاعت علي القادري إذ قال: وبعض الناس ينسبون أهل السنة والجماعة إلى هذا المجدد(أي الشيخ أحمد رضا خان) ويقولون لهم"

---

(١) الشيخ ظفر الدين البهاري، حيات اعلى حضرت ص:٩٥ – ٩٦.

(٢) الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، الإمام أحمد رضا الحنفي القادري على ميزان الإنصاف، ص:٢٧ – ٢٨.

البريلوية" حينما هذا القول لا أصل له لأن كلمة "بريلوي" نسبة إلى مدينة بريلي هند وهي تطلق على كل من سكنها مثلا: أحمد رضا بريلوي، ولم تكن للشيخ أحمد رضا بريلوي عقائد محدثة، بل كان متمسكا بعقائد أهل السنة والجماعة، عاضا بنواجذه على السنة النبوية، على صاحبها ألف ألف تحية، كما هو واضح على كل من طالع كتبه ورسائله البهية.[1]

وقد تحدثنا فيما سبق عن حياته العلمية، بأن بعض الناس حاولوا التشكيك في معتقداته، على رأسها قضية مساواة علم النبي صلي الله عليه وسلم بعلم الله، فألف الشيخ أحمد رضا كتابا قيما "الدولة المكية" في الموضوع المذكورة آنفا، أعجب به علماء الحرمين الشريفين وكثير آخرون من علماء العرب، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد بل أقدم هؤلاء الأعلام على كتابة التقاريظ لهذا الكتاب، ولبعض مؤلفاته الأخرى، وهم مئات من العلماء الإجلاء من أبناء العرب، منهم أئمة ودعاة، ومحدثون، وفقهاء، من الشام والسورية والعراق والمغرب العربي، وعلماء جامعة الأزهر، وفي هذا يقول الدكتور حازم المصري الأستاذ بجامعة الأزهر: وهم(أي علماء الأراضي الحجازية) أول من تعرفوا على الإمام وعرفوا به وهؤلاء تجاوز عددهم الخمسين ثم يأت بعدهم علماء الشام وسوريا ولبنان... وقام هؤلاء العلماء بكتابة تقاريظ لكتابه" الدولة المكية بالمادة الغيبية".[2]

ويحدثنا الدكتور حازم المصري عن تقاريظ علماء الأزهر على الكتب المذكورة تائيدا لمعتقداته إذ يقول: "بدأت علاقة علماء الأزهر الشريف بالإمام محمد أحمد رضا خان عن طريق إطلاعهم على بعض مؤلفاته التي كتبها باللغة العربية، إن أقدم ما وصلنا في هذا المضمار تقاريظ لعلماء الأزهر على كتاب " الدولة المكية بالمادة

---

(١) من هو أحمد رضا؟ ص: ١٣.

(٢) محمد رضا خان والعالم العربي ص: ١٠٢.

الغيبية"[١] وبالإضافة أقدم كثير من علماء العرب على كتابة تقاريظ على مؤلفه الأخر "حسام الحرمين" الذي يختص بالعقائد الإسلامية ويبين لنا الدكتور حازم عما جاء فيه من تائيد علماء العرب قائلا: وكان رأيهم مؤيدا كل التائيد للإمام وكتابه بما جاء فيه من عقائد صحيحة هي عقائد أهل السنة والجماعة في كل مكان، وأقدم هؤلاء العلماء على كتابة تقاريظ جاء فيهم رأيهم هذا،وقد تم جمع كل هذه التقاريظ التي بلغ عددها أربعة وثلاثين تقريظا ومنظومة في مدح الإمام...[٢] الخ.

وقد تحدث الدكتور حازم المحفوظ المصري عن تائيد علماء العرب قديما وحديثا لعقائد الشيخ أحمد رضا بالتفصيل وأورد النصوص في مؤلفه "محمد أحمد رضا خان والعالم العربي".

ومما تجدر الإشارة إليه أن أكثر ما جاء في " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" عن " البريلوية" كان مبنيا على التمخمين والظن الذي لا يغني من الحق شيأ ولذا قام العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري.[٣] بإرسال الخطاب[٤] وبعض مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان إلى الدكتور مانع بن حماد مؤلف الموسوعة، ودعاه إلى أن يعيد النظر في هذا الباب فرد إليه[٥] ووعده التغيير في هذا الباب في الطبعة الثالثة ولكنه لم يغير شيأ حتى الآن.[٦]

---

(١) نفس المرجع، ص: ١٢٠.

(٢) نفس المرجع ص: ٨٥.

(٣) أستاذ الحديث الشريف بالجامعة النظامية لاهور، وهو من أكابر أهل السنة والجماعة وأعظم مؤلفيها باللغات الثلاث في شبه القارة.

(٤) وذلك في ١٦ رجب عام ١٤١٠هـ

(٥) وقد نجحت في الحصول على صورة شمسية لكلا الخطابين عن فضيلة الأستاذ شرف القادري.

(٦) وذلك في ٧ رمضان المبارك عام ١٤١٠م.

الفصل الثاني

يحتوي على مبحثين وتمهيدين وخمسة مطالب

المبحث الأول: نثره الفني وأنواعه

تمهيد

المطلب الأول: فن الرسائل عند الشيخ أحمد رضا

المطلب الثاني: فن الإجازات عند أديبنا

المطلب الثالث: فن الخطب عنده.

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية والسمات الفنية

تمهيد

المطلب الأول: صفات الأسلوب في نثره والخصائص الفنية

المطلب الثاني: الصور البيانية والمحسنات البديعية

الفصل الثاني

المبحث الأول: نثره الفني وأنواعه

تمهيد

المطلب الأول: فن الرسائل عند الشيخ أحمد رضا

أ ـ التعريف بالرسائل وتاريخها عبر العصور

ب ـ أنواع الرسائل

ج ـ رسائل الشيخ أحمد رضا وعددها

د ـ أنواع رسائل الشيخ وأجزاءها

هـ ـ موضوعات رسائله

و ـ نموذج منها

تمهيد

قد تحقق لنا أن أديبنا بذل عمره في الكتابة وذلك في شتى ميادينها، ويكفينا شهادة على هذا شرحه لكتاب "هداية النحو" وهو في سن العاشرة من عمره.

وبالإضافة كان قد شغف حبا بالأدب كما تشهد عليه دواوينه باللغات الثلاث العربية، والفارسية، والأردية.

أما النثر فكان أديبنا يملك زمامه بالوجه الأكمل كما اعترف به علماء العرب حتى قال الشيخ علي بن حسين المالكي المدرس بالمسجد الحرام عنه:

ذا خبرة مولى المعارف والهدى

رب البلاغة من به دنيا زهت[١].

إننا لم نستطع أن نحيط جميع نثر أديبنا لكونه منتشرا في مكتبات عديدة ولكننا نحاول أن نتجول في أقسامه التالي:

١) رسائله

٢) إجازاته

٣) خطبه

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، حسام الحرمين على منحر الكفر والمين ص: ١٦٤.

أ ـ التعريف بالرسائل وتاريخها عبر العصور:

هي جمع رسالة وجاء في مختار الصحاح: راسله مراسلة فهو مراسل ورسيل وأرسله في رسالة فهو مرسل(بفتح السين). [١]

ويقول الدكتور محمد نبيه حجاب معرفا إياها: يراد بالرسالة أصلا ما ينشئه الكاتب إلى غيره في غرض من الأغراض فتشمل الخطاب كما تشمل الجواب، ومنه" التوقيع" وتشمل أيضا المقالات الإنشائية كوصف الصديق لابن المقفع، والكتاب للجاحظ، كما تشمل المناظرات الأدبية ، كمناظر البديع للخوارزمي، فإن صدرت عن الديوان وردت إليه متعلقة بشئون الدولة كانت" رسمية" وإلا فهي الرسائل" الشخصية الخاصة". [٢]

ما من شك أن العلوم والفنون تتطور عصرا بعد عصر، وتتغير أصولها وقواعدها وفق الأزمنة والأحوال، فكذلك فن الرسائل لم يبق على صورته الأولي مما كان فيه في أقدم العصور، بل كانت الرسائل في عصر النبي صلي الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين حتى عصر بني أمية على أسلوب فطري فلا سجع ولا تنميق ولا تعقيد، ولا تفخيم ولا محسنات، لها جمال الفطرة من حسن عرض ومتانة نسج حتى جاء عبد الحميد بن يحي كاتب مروان بن محمد بن مروان، وكان له مذهب خاص في الكتابة، فتحولت الكتابة من أسلوبها الفطري إلى الأساليب المسجوعة التي أحاطت بالألوان المختلفة من البيان والبديع.

يصور لنا أستاذنا الدكتور شعبان محمد مرسي هذا التغير الذي ازدهر في العصر العباسي حتى القرن الرابع الهجري فيقول: وعني الناس بالزخرف في رسائلهم، فاتبعوا السجع، وغالوا فيه مغالاة شديدة، حتى غلب على كل أنواع الكتابة، وانكمش الأسلوب المرسل وازدهر الأسلوب المقيد، وكثرت الاستعارات والتشبيهات

---

(١) الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح/ مادة ر س ل.

(٢) بلاغة الكتاب في العصر العباسي ص: ٩٥.

والكنايات والإشارات... واقترب بذلك النثر من الشعر في الخيالات، وأصبح الفرق في كتابة الرسائل كالفرق في الحياة العباسية نفسها، إذ كانوا يتفننون في زرتشة ملابسهم، ونمنة عماراتهم، وتلوين آنيتهم، حتى بلغوا أقصى درجة في القرن الرابع الهجري.[1]

ب ـ أنواع الرسائل:

قد عرفنا عند تعريفنا بالرسائل، أنها تنقسم إلى قسمين وهي:

رسمية وخاصة.

الرسائل الرسمية: هي التي تصدر عن الولاة والأمراء والكتاب في محيط الدوائر الرسمية ويطلق عليها تسمية" العامة" أو "الديوانية" أيضا.

الرسائل الخاصة: هي التي يكتبها الإخوان والأصدقاء والعلماء أو غيرهم في الشكوى والعتاب والتعزية والتهنية، والدعوة إلى فكرة وما إلى ذلك من الموضوعات، وهذا النوع من الرسائل تسمي"إخوانية"أيضا وبها نعتني في هذا الفصل.

ج ـ رسائل الشيخ أحمد رضا خان وعددها:

إن أديبنا قد بذل جهده الكبير في التصنيف والتأليف والوعظ والإرشاد وكان كذلك يراسل العلماء والأدباء وأصحاب الفنون المختلفة كما كان يهتم بالرد على رسائل المستفتين في أمور الدين وذلك بالعربية والفارسية والأردية على حد سواء كما تشهد على ذلك فتاواه ومؤلفاته.

والإجازات التي منحها أديبنا لعلماء العرب (سيأتي بيانها فيما بعد) هي تدل على علاقة الشيخ أحمد رضا بالعرب الأفاضل، وما كان بينه وبين هؤلاء الأعلام من الإفادة والاستفادة ولا سيما قوله" والآن أنا الرحيل، وسأرسل إلى السيد بعض التفصيل، بعد الوصول إلى بلدي بعون الملك الجميل [2] وذلك في الإجازة السابعة التي قدمها إلى السيد الشيخ محمد سعيد بن السيد محمد المغربي على طلبه وهو على بدء الرحلة بمكة

---

(١) الفنون الأدبية في العصر العباسي ص: ١٠٥.

(٢) الإجازات المتينة لعلماء بكه ومدينة ص:١٠٨ – ١١٠.

المكرمة، وكانت الإجازة مختصرة وجيزة، فألح الشيخ المغربي عليه أن يكتب له إجازة تفصيلية، فوعد الشيخ أحمد رضا بأنه يرسل إليه من بلده.

ويقول حازم المحفوظ الأستاذ بجامعة الأزهر: وعند ما نطالع أسماء العلماء العرب في الأراضي الحجازية، الذين كانت لهم صلة وثقي بالإمام محمد أحمد رضا خان، نقول إن علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة في صدارة علماء تجاوز عددهم الخمسين ثم يأتي بعدهم علماء الشام، سوريا ولبنان، فقد رأينا أن الصلاة بينهم وبين الإمام قد انعقدت في الحرمين الشريفين... وبمطالعتنا التقاريظ التي كتبت لكتاب" الدولة المكية بالمادة الغيبية"نجد تقريظين لعالمين من العراق، مما يؤكد أن للإمام علاقة وثقي مع هذين العالمين وغيرهما من أبناء العراق.[1]

هذا كله يؤكد لنا مدي الصلات الودية والعلاقات العلمية بين الشيخ أحمد رضا وعلماء العرب، مع ذلك لم يقم أحد الباحثين بجمع رسائل أديبنا العربية إلى يومنا هذا، بل من المؤسف جدا أن تراثه العربي لم ينل حظا من الدراسة، كم من مؤلف له في مجمع بحوث الإمام أحمد رضا خان بكراتشي لم يطبع بعد، وما زال في انتظار باحث يدرس هذا التراث العلمي والأدبي، مع أن للشيخ إسهامات كثيرة في اللغة العربية مثلا شرحه لهداية النحو الذي كتبه وهو حينئذ في العاشر من عمره ومؤلفه الأخر" ضوء النهاية في أعلام الحمد والهداية" التي صنفه بالعربية أثناء دراسته وهي لم تزل مخطوطة ولم تنشر بعد.

لقد قام الشيخ محمود أحمد القادري بجمع رسائل الشيخ أحمد رضا خان ولكنه ركز على رسائله الأردية فحسب، إلا أنه وجد ست رسائل عربية، وضمها إلى مجموعة رسائله الأردية، فسماها "مكتوبات الإمام أحمد رضا خان واهتمت" المكتبة النبوية لاهور" بطبعها ونشرها عام ١٩٨٦م أما الإجازات التي كتبها الشيخ لعلماء العرب بناء على طلبهم، فهي أيضا تدخل في باب الرسائل كما رأينا القلقشبندي.

---

(١) محمد رضا خان والعالم العربي ص:١٠٢ – ١٠٤.

وهو يدرجها في نطاق الرسائل ويعدها منها، وهي تحت عنوان " الإجازات بالفتيا والتدريس والرواية وعراضات الكتب ونحوها[١] ولكننا أفردنا البحث عنها وسوف ندرسها في "إجازاته" من المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

وهناك كثير من مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان من بين الكتب والكتيبات ألفها ردا على الرسائل وحلا للمسائل التي عرضت عليه وهي أيضا تدخل في أدب الرسائل كما ذهب إليه الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي حيث أقام عنوان" من رسائل الأسئلة والأجوبة"ثم قال" قد جرت عادة مشايخ الأدب والفضلاء والكتاب أنهم يكتبون إلى الأفاضل بالمسائل ليسئلوا عنها إما على سبيل الاستفهام واستماحة ما عند المكتوب إليه في ذلك، وإما على سبيل الامتحان والتعجيز. [٢]

في ضوء ما قاله العلامة القلقشندي يمكننا أن نقول: إن فتاوي الشيخ أحمد رضا خان وأغلب مؤلفاته التي أدلي بها ردا على أسئلة المستفتين هي من أدب الرسائل ولكننا لا نميل إلى هذا بل نعدها من الفتاوى فقط.

أما الرسائل العربية العادية فلم نتوصل إلا إلى ست رسائله، وهي التي يتضمنها كتاب "مكتوبات الإمام أحمد رضا خان" الأردية ولم نتوصل إلى رسائله الأخرى بالعربية، مع أنه ثبت لنا بالضبط بأنه كان يراسل العرب ويكتب في كل غرض، ويغرف من كل بحر، ويجلي في كل ميدان، نعم عند ما تضم إليها "الإجازات"فمجموعتها أحد وعشرون، أما إذا أضيفت إليها أكثر فتاواه أو مؤلفاته العربية التي كتبت جوابا لرسائل الناس، وحلا لمسائلهم، إذن عددها كبير لا يحصي.

ولكننا لا نتعرض لتلك الفتاوى والمؤلفات، لأننا لا نعرف عددها بالضبط، لكون بعضها منتشرة في مكتبات عديدة ، وهي ما زالت مخطوطة ولم تطبع بعد.

---

(١) الشيخ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشي ص: ٢٣٢/ج:١٤.

(٢) نفس المرجع.

د ـ أنواع رسائل الشيخ وأجزاءها:

لقد تحدثنا فيما سبق عن أنواع الرسائل في النثر العربي عند أهله، فرسائل الشيخ أحمد رضا خان كلها إخوانية وهي التي تتناول موضوعا خاصا بين شخصين وتسمي "بالشخصية" أو "الخالصة" أيضا وهي تقابل الرسائل العامة أو الديوانية التي تتعلق بأمر من أمور الدولة.

ولكني أري من المناسب أن أسمي بعض رسائل الشيخ بالرسائل الجوابية الإخوانية"لأنها لم تكتب ابتداء اعتمادا على غرض معين، بل كتبت ردا على الرسائل التي وجهت إلى الشيخ، فارتباطها موضوعيا يكون بالرسالة الأولي، وقد يمتد حبل التراسل فيمكن أن نسمي بعضها "رد الرد" .

البداية: فقد التزم الشيخ أحمد رضا خان في جميع رسائله أن يبدأها بالبسملة، عملا بقول سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم" كل أمر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو أقطع وأجزم." (١)

اسم المرسل إليه: لا يوجد اسم المرسل إليه في الرسائل الجوابية أو التي سميناها من قبل " برد الرد" ولكنك تجده في غيرها بالضبط.

الحمد لله والصلوة على نبيه صلي الله عليه وسلم: هذه سمة شاملة لجميع رسائله، سواء كانت في بداية الرسالة أو وسطها أو نهايتها، وقد تتكرر.

التوقيع: هذه الصفة توجد في جميع رسائله، كان يوقع باليد دون الخاتم، لأنه إذا حدث (التوقيع) بالخاتم، شعر القاري أو المخاطب بضآلة شخصية المرسل، ويشعر بوجود حاجز كبير بينه وبين كاتب الرسالة.

التاريخ: هي سمة بارزة عامة وشاملة لجميع رسائله، وهي مؤرخة مع التوقيع في نهاية الرسالة خلافا لمنهج العصر الحديث كما يوضع التاريخ في أعلى الصفحة إلى اليمين.

---

(١) محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة رقم الحديث: ١٨٨٤.

هـ ــ موضوعات رسائله:

أن الرسالة التي كتبها أديبنا إلى الشيخ المولوي عبد السلام الرام فوري.

موضوعها: التعزية على وفاة زوجته الحبيبة، وهي تتضمن الإشارات إلى قدره الله والصبر والتسليم إلى الله جلت قدرته وتسلية المعزي عما يسلبه، ووعده بحسن العوض في الجزاء مت.

أما الرسائل الخمس الأخرى التي وجهها أديبنا إلى الشيخ أبي الطيب المكي فهي رسائل النصح والإرشاد" وتتضمن" الموضوعات العلمية: والمسائل الكلامية" التي تتجلي فيها الفكرة الحارة والغيرة الدينية الواضحة، تفصيلها كالآتي:

الرسالة الأولي: جواب لرسالة الشيخ أبي الطيب المكي حيث سأله عن التقليد المعروف في المذاهب الأربعة، أهميته وضرورته، فأجابه الشيخ أحمد رضا خان وقدم إليه رأيه في قضية التقليد في ضوء القرآن والسنة وذلك في ٢٠ من جمادى الأخر عام ١٣١٩هـ، بأنه يعتقد وجوب التقليد على العوام لأن كل واحد من المسلمين لا يعرف حقيقة الفرائض والسنن وشرائطها بجميع جزئياتها مثلا يقول أديبنا مستدلا من الآية القرآنية: ألم تر أن ربك كيف يقول وقوله الحق" وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون".[1] الآية، فقد فرض التفقه في الدين، وأعفي منه عامة المؤمنين...ألم تر أن لله على خلقه فرائض لا تترك. ومحارم لا تنهك، وحدود من تعداها فقد ظلم وهلك، ولكل أوجلها شرائط وتفاصيل، لا يهتدي إليها إلا قليل، وما يعقلها إلا العالمون، فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، الآية.[2]

هكذا يخوض أديبنا في أعماق القرآن والسنة إلى نهاية الرسالة وهي تطول إلى خمس صفحات ، وهي من أكبر رسائله.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٣١ – ١٣٢.

الرسالة الثانية: أرسلها إلى الشيخ ابي الطيب جوابا لخطابه الثاني فيما سأله عن مكانة عباد الله المقربين، وتصرفاتهم في الآفاق، وماذا يري الشيخ أحمد رضا في هذا، فأجابه أديبنا في ٢/ من شعبان ١٣١٩هـ وأبدأ رأيه فيه، ملخصه أن عباد الله المقربين وأولياء الله الصالحين يتصرفون في العالم بإذن الله عزوجل، حيث كما أذن سبحانه وتعالى لجبريل وميكائيل، وغيرهم من مقربي حضرة الجليل، عليهم الصلواة والسلام بالتبجيل، في تدبير القطر والمطر والزرع والنبات والرياح والجنود، والحياة والمملت، وتصوير الأجنة في بطون الأمهات، وما إلى ذلك من الحوادث والكائنات، واستدل على موقفه هذا بكثير من الآيات القرآنية، وأيضا أزال عن الشبهات الواردة في الأذهان في هذه القضية الخطيرة، وكان يعرف أديبنا أنه من زلت قدمه في هذه المسئلة كأنه سقط في حفرة النار، أنظر إليه مثلا كيف يزيل الإبهام إذ يقول: " أما سؤلك عن تصرف الأولياء في العالم، واعترافك أنك لا تستطيع من معانيه إلا ما نعلم، فإن كان مرادك بتفويض أمر، ما يوجب تعطيل الأمر، كملك في الدنيا ولي أزمة أمر إلى بعض الأمراء، فتنفذ أحكامه فيه غنية عن أحكام الملك في خصوص ماجري، بل من دون علمه بما حدث واعترى، وكذلك بالعون والوزير، من هو للملك معين ونصير يتحمل عليه بعض ما عليه من الأوزار والأثقال، ويفيده عونا فيما يهمه من الأعمال والأشغال، فهذا لاشك شنع شنيع، لا محض شنيع بل كفر فظيع،...ماله في المسلمين أصل ولا أثر إن الشفع أن يكون المولي سبحانه وتعالى شرف جمعا من عباده المكرمين، بأن أذن لهم في التصرف في العالمين، من دون أن يجري في ملكه إلا ما شاء، أو يكون لغيره ذرة من ملك في أرض أو سماء، ويتوهم هناك شئ من تعطيل، أو تحمل وزر أو تخفيف ثقيل...الخ[1]

هذا هو الموقف للشيخ أحمد رضا خان وفي النهاية أشار أديبنا إلى مؤلفه الذي ألفه في نفس القضية وسماه" بالأمن والعلى لناعتي المصطفي".

(١) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص: ١٤٧ – ١٤٨.

يقول معرفا إياه: تجد فيه ستين آية وثلاثمائة أحاديث تميز الطيب من الخبيث، وفيما تلوته كفاية، لأولي الدراية وبالله الهداية.[1]

الرسالة الثالثة: هي من رسائل الشيخ القصيرة كتبها إلى الشيخ أبي طيب المكي في ٥ ذي القعدة ١٣٩هـ مطالبا جواب رسالتيه بالتفصيل(تقدم ذكرهما أنفا) وألح أديبنا على الشيخ أبي الطيب أن يبدي رأيه هو عما كتب إليه.

الرسالة الرابعة: هي ما سميناها " رد الرد" حيث أجابه الشيخ أبو الطيب عن رسائله الثلاثة ولم يقبل فكرته وبالإضافة أنه شتم الشيخ أحمد رضا وسبه فقام الشيخ أحمد رضا بالرد إليه وذلك في ٩/ ذي القعدة ١٣١٩هـ واعتذر أديبنا في هذه الرسالة عن السب والشتم في المباحث العلمية وحثه أن يختار الأسلوب العلمي في الجواب.

الرسالة الخامسة: كتبها الشيخ أحمد رضا خان في ١١ من ذي القعدة ١٩١٣هـ وهي تتضمن الحجة البالغة من عنده، حيث أنه تصدي الشيخ أبا الطيب المكي في الرسالة السابقة ودعاه إلى الأسلوب العلمي وطلب منه رأيه فيما كتب أديبنا إليه، ولكن الشيخ أبا الطيب المكي لم يجبه فكرر الشيخ أحمد رضا نفس الدعوة في هذه الرسالة.

و ـ نموذج من رسائله:

نختار الرسالة الثالثة من بين رسائله الخمس الموجهة إلى الشيخ أبي الطيب المكي كنموذج من بين رسائله [2] وهي كما يلي: [3]

وبعد فهذه رابع شهر منذ أرسلت الكتاب، ولم تحرر الجواب، وقد كان كصاحب الشابق الماضي عليه خمسة شهور، مشتملا على أسئلة دينية لا معة النور، فلم تجب عن هذا ولا ذاك، مع أنك أنت البادئ فيما هناك، وأنا أمهلك عدة أيام أخر، لتجيب مفصلا عن كل مستطر، فإن مضي يوم الخميس، تاسع هذا الشهر النفيس، ولم يأت

---

(١) نفس المرجع ص: ١٥٢.

(٢) ومن خلال هذا النموذج يمكننا إدراك المستوي الفني الذي كانت تسير عليه رسائله.

(٣) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص: ١٥٣ – ١٥٤.

منك الجواب، تبين أنك غلقت الباب، وطويت الصحف، وجف القلم بما سيجف، ولله الحمد في الأولي والآخرة، والصلوة الزاهرة، والتحيات الفاخرة، على سيدنا وصحبه واعترته الطاهرة آمين.

كتبه عبده المذنب أحمد رضا البر يلوي،

عفي عنه بمحمد المصطفي النبي الأمي صلي الله تعالى عليه وسلم، لخمس خلون من ذي القعدة يوم السبت ١٣١٩هـ.

انظر إلى رسالة أديبنا كيف تتجلى فيها السماة الأسلوبية والميزات الفنية حيث ترى السجع الفطري قد غلب على رسالته وكذلك يتمثل فيها مطابقة اللفظ للمعنى كما ترى كلماته قوية جزلة رهيبة وذلك لأن المقام يقتضيها ومن ذلك "المذهب الكلامي" الذي يعد من الألوان البديعي.

الفصل الثاني

المبحث الأول

المطلب الثاني: فن الإجازات عند الشيخ أحمد رضا خان

(ا) التعريف بالإجازات ومكانتها الأدبية

(ب) دور الإجازات في الحجاز

(ج) إجازات الشيخ أحمد رضا خان

(د) أنواع إجازاته

(ه) إجازات الشيخ دراسة موضوعية وأسلوبية

(و) نموذج من إجازاته.

(أ) التعريف بالإجازات ومكانتها الأدبية:

الإجازات جمع إجازة وهي نوع أخذ العلوم وجاء في المعجم الوسيط: "ويقال أجازه بجائزة... والعالم تلميذه أذن له في الرواية عنه"[١] الطالب قد يسمع عن الأستاذ فيطلق عليه مصطلح "السماع" وقد يقرأ التلميذ على أستاذه فيسميه أهل الفن" القرأة" وقد يجيز العلماء تلاميذهم باللسان أو بالكتابة فيسمي هذا النوع" بالإجازة" وفي هذا يقول الدكتور صبحي الصالح:" لا حظنا في السماع أن المتحمل يسمع من لفظ الشيخ وفي القرأة أن التلميذ يعرض على شيخه قرأته فكلتا الصورتين تشتمل على الرواية مع الإسناد المتصل...والإجازة لا تشتمل على شئ من هذا لأنها عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته ولو لم يسمعها ولم يقراها عليه[٢] تحتوي الإجازة على مقدمة، واسم المجاز، والفن الذي أجيز فيه، قد تطول الإجازة وقد تتوسط وقد تقصر ولها دور كبير في النثر العربي كما يحدثنا الدكتور إبراهيم فوزان والفوزان مسلطا الضوء على الإجازات ويقول: الإجازات جمع إجازة، وهي الوثيقة الخطية التي يمنحها العلماء لطلابهم بعد طلب العلم عليهم وتشتمل الإجازة على (مقدمة) مستوحاة من " الفن" الذي أجيز فيه الطالب، وقد تطول فتبلغ الصفحتين وقد تقصر...وهي تقابل الشهادات التي يحصل عليها الطلاب مدة الجامعات في العصر الحديث.[٣]

ونري العلامة القلقشندي يتحدث عن الإجازات ويقول: أما الإجازات بالفتيا، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس، ويكتب له بذلك، وجرت العادة أن يكون ما يكتب في الغالب في قطع عريض.

---

(١) المعجم الوسيط ص:١٣٦/ج:١.

(٢) علوم الحديث عرض ودراسة ص: ٩٤.

(٣) الأدب الحجازي الحديث ص:٢٢٧/ج:١.

(١) هذا ما ذكره القلقشندي تحت عنوان الإجازات بالفتيا والتدريس والرواية وعراضات الكتب ونحوه. (٢)

ولهذا الفن دور كبير في النثر العربي كما تناوله العلامة القلقشندي والباحثون الآخرون فيما سبق، لأنه يعكس لنا صورة لثقافة المجيز وأسلوبه في الكتابة ومدي تمكنه باللغة العربية، فيمكن للدارس إدراك المستوي العلمي والأدبي للمجيز من خلال إجازاته، ويتجلى فيها مكانته العلمية ومنزلته الأدبية، بالإضافة هي تحتل مكانة مرموقة حيث أنها تساوي مصطلح الشهادة في العصر الحديث كما مر بنا آنفا قول الدكتور فوزان الفوزان.

(ب) دور الإجازات في الحجاز:

إذا كان سبع إجازات من إجازات أديبنا الشيخ أحمد رضا خان قد صيغت من علماء العرب وعلى أرض الحجاز، فنري من المهم أن نقف قليلا عند دورها في الحجاز.

ولقد شهد الحجاز في أوا خر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، دورا كبيرا لحلقات التدريس في الحرمين الشريفين، والطائف والمدين، كانت تمنح فيها تلك الإجازات، حتى تجلت في أوساط الدراسات العلمية والأدبية كظاهرة أما رأيت الدكتور فوزان الفوزان وقد وجد عشرات بل مئات الإجازات في الحجاز وتحدث عن بعضها بالتفصيل فمن ذلك قوله: وقد ثبت لنا ذلك من خلال ما اطلعنا عليه من الإجازات الخطية التي تمتلكها جامعة الرياض، وأكثرها لعلماء الحجاز، في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ...التي يمكن أن تعطينا صورة من الأساليب النثرية لدي أوائل رواد النهضة. (٣)

---

(١) صبح الأعشي ص:٣٢٢/ الجزء الرابع عشر

(٢) نفس المرجع، ص: ٣٢٢/ الجزء الرابع عشر.

(٣) الأدب الحجازي الحديث ص: ٢٢٧ – ٢٣١ /ج:١.

(ج) إجازات الشيخ أحمد رضا خان:

ولقد توصلنا إلى "خمس عشرة إجازة" له منح سبعا منها لعلماء العرب بناء على طلبهم، وقد ذكرنا فيما سبق بشيء من التفصيل أن أديبنا إذا وصل الحجاز عام ١٤٢٤هـ لأداء حجه الثاني، فأقبل عليه علماءه منهم أئمة ومدرسون ومحدثون وفقهاء، واقتبسوا من علمه واستجازوه، فكتب لبعضهم" الإجازات" وأذن للآخرين أن ينقلوا عن هذه الإجازة أو تلك، وأجاز لأكثرهم باللسان، فأنشأ سبع نسخ للإجازات[١]، أما العلماء المستجيزون الذين تشرفوا بنيل هذه الإجازات الخطية ودخلوا في زمرة تلاميذ أديبنا وخلفائه فهم خمسة وعشرون خليفة[٢] إليكم موجز التعريف لهذه الإجازات الخطية وأصحابها دون التفصيل لضيق المقام.

النسخة الأولى: هي من أطول إجازات أديبنا ، لقد حصل عليها محدث المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني [٣] والشيخ حسين جمال بن عبد الرحيم.[٤]

النسخة الثانية: هذه أيضا من أطول إجازاته الخطية ونال بها الشيخ صالح كمال جمل الليل المكي. [٥] والشيخ إسماعيل خليل المكي [١] والشيخ السيد مصطفي خليل.[٢]

---

[١] ثم جمعها بعد عودته إلى الهند ورتبها في مجموعة وأسماها بالاسم التاريخي بحساب الجمل" الإجازات المتينة لعلماء بكه والمدينة (١٣٢٤هـ)

[٢] ولكن الدكتور محمد مسعود أحمد والشيخ عبد الستار طاهر ذكرا أسماء أربع وثلاثين خليفة الذين كان لهم شرف بنيل الإجازة الخطية. وذلك في مؤلفهم "تذكرة خلفاء اعلى حضرت".

[٣] كان من الأشراف، وله ستون مؤلف في علوم الحديث، وقد اشتهر مؤلفه" فهرس الفهارس" في أوساط علماء الحديث وعرف بلقب " محدث المغرب" أجازه الشيخ أحمد رضا في تسعة وخمسين علما وفنا بالإضافة إلى طرق الصوفية ، توفي عام ١٣٣٢هـ (تذكرة خلفاء اعلى حضرت ص:١٠٢)

[٤] كان رفيقا للشيخ عبد الحي الكتاني، واستجاز أيضا فأذن له أديبنا أن ينقل عن نفس الإجازة وذلك في ٢٧ ذي الحجة عام ١٣٢٣هـ.

[٥] مفتي الأحناف بمكة المكرمة، ولد عام ١٢٦٣هـ بمكة وترعرع في بيت العلم والعرفان، أخذ العلوم عن الشيخ السيد أحمد دحلان والشيخ رحمت الله مؤسس مدرسة صوفية وبعض أخرين، كان يدرس في المسجد الحرام عقب باب النبي صلى الله عليه وسلم وعين قاضيا في جدة عام ١٢٩٧هـ وأختير مشيرا

النسخة الثالثة: تفضل بها أديبنا على الشيخ أحمد الخضراوي.[٣]

النسخة الرابعة: التي كتبها أديبنا لخمسة عشر عالما من علماء مكة المكرمة منهم الشيخ أبو الحسن محمد المرزوقي بن الشيخ عبد الرحمن المكي[٤] والشيخ بكر رفيع المكي[٥] والشيخ أسعد الدهان[٦] والشيخ عبد الرحمن الدهان.[٧]

لشريف المطلب بن غالب حاكم مكة قيل عنه عند وفاته "اليوم مات فقه أبي حنيفة". (مجلة "معارف رضا" عام ١٩٩٩م ص:١٩٥ - ١٩٦) ومقال الشيخ المفتي عليم الدين النقشبندي تحت عنوان (إمام أحمد رضا كي جند خلفائ حجاز ص: ١٩٥ - ١٩٦).

(١) كان حافظ كتب الحرم الشريف ومن كبار علماء مكة، بعد عودة الشيخ أحمد رضا إلى الهند جرت المراسلة بينهما، (وطبع رسالتاه منها في مقدمة مجموعة " الإجازات المتينة")

(٢) هو أخ الشيخ إسماعيل خليل وكان عالما كبيرا نشأ وترعرع في حجر العلم والفضل مدحه أديبنا في الإجازة بقوله " النجيب الحسيب اللبيب أخو الوفاء والصدق والصفا السيد مصطفى أعطاه الله العلم والمنى والغناء والهنا فوق مانتمنى(الإجازات المتينة ص:٣٢).

(٣) لم نعثر على ترجمته

(٤) ولد في عام ١٢٨٤هـ بمكة المكرمة، كان يؤم في صلواة التراويح، وأخذ العلوم عن الشيخ محمد صالح كنبي والشيخ صالح كمال جمل الليل المكي، والشيخ عبد الحق اله آبادي وغيرهم من أعلام العرب، وعين مدرسا بالمسجد الحرام، وجعل قاضيا بمكة في العصر العثماني وكذلك تولي على شتى مناصب للحكومة في العصر الهاشمي وفي العصر السعودي، توفى عام ١٣٣٥هـ(امام أحمد رضا كي جند خلفائ حجاز أي عدة خلفاء الحجاز للإمام أحمد رضا ص: ١٩٧)

(٥) كان عالما كبيرا من علماء مكة، نال الإجازة عن أديبنا في ٣ صفر عام ١٣٢٤هـ مدحه الشيخ أحمد رضا في الإجازة قائلا: ذو القدر المنيع، والفخر البديع، مولانا بكر رفيع المكي(انظر الإجازات المتينة ص٣٤)

(٦) تتلمذ على يد الشيخ عبد الرحمن السراج مفتي الحنفية بمكة والشيخ عبد الحميد داغستاني والشيخ رحمت الله ، تولي على مناصب جليلة في عصر شريف حسين حاكم مكة منها تعيينه على منصب القاضي وكونه رئيسا لمجمع بحوث الوظائف وعضو مجلس التعزيزات، بالإضافة كان يلقي الدرس في حلقة قائمة بقرب الباب السليمانية في المسجد الحرام،توفي عام ١٣٣٨هـ(انظر إمام أحمد رضا كي جند خلفائي حجاز أي بعض خلفاء الحجاز للإمام أحمد رضا ص:١٩٤ - ١٩٥).

(٧) هو الأخ الصغير للشيخ أسعد الدهان، كان له منزلة مرموقة في العلماء حذوا بحذو أخيه الفاضل

والشيخ محمد عابد بن حسين المكي [1] والشيخ علي بن حسين المكي [2] والشيخ محمد جمال بن الشيخ محمد أمير المكي [3] والشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد أبي الخير مرداد [4] والشيخ عبد الرحمن بن حسن العجيمي [5] والشيخ السيد سالم بن عيدروس البار العلوي الحضرمي [6] والشيخ السيد علوي بن حسن الكاف الحضرمي [7] والشيخ السيد أبو بكر بن سالم البار العلوي الحضرمي [8] والشيخ السيد عبد الله دحلان بن

---

(1) أخذ أكثر العلوم عن أبيه الكريم الشيخ حسين مفتي المالكية بمكة المكرمة آنذاك، عين مدرسا بالمسجد الحرام وجعل مفتيا في نفس المسجد، قد تحدث عنه الأستاذ ذكريا في مؤلفه الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والإيمان(انظر تذكرة خلفاء اعلى حضرت ص:٦٢.)

(2) هو أخو الشيخ عابد المذكور آنفا وكان له حلقة التدريس بالمسجد الحرام بجنب أخيه، وله تقريظ على مؤلف الشيخ أحمد رضا " الدولة المكية" وأيضا على " حسام الحرمين" (انظر تذكرة خلفاء اعلى حضوت ص:٦٨ ـ ٦٩.)

(3) هو ابن أخ الشيخ بن حسين والشيخ على بن حسين المالكي، كان له مكانة رفيعة ومنزلة عظيمة في أصحاب العلم والمعرفة.

(4) كان يؤم في المسجد الحرام وصارا سببا لتأليف الشيخ أحمد رضا" كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" المعروف ، وتولي على منصب شيخ الخطباء ببلد الله الحرام واستمر على نفس المنصب إلى خمسين سنوات متتالية توفى عام ١٢٥٧هـ(معارف رضا ص:١٠/ ابريل ٢٠٠٠.)

(5) ولد عام ١٢٥٣هـ بمكة، أخذ العلوم عن الشيخ جمال بن عبد الله، والشيخ رحمت الله، والشيخ السيد أحمد دحلان والشيخ عبد الرحمن السراج المكي وغيره من العلماء الأفاضل، وتشرف بنيل الإجازة عن كل من هؤلاء المذكورين وعين قاضيا بالطائف، ثم اختير أمين الفتوى للشيخ عبد الرحمن السراج وتوفى عام ١٣٠١هـ(إمام أحمد رضا كي جند خلفاء حجاز ص،١٩٦)

(6) حصل على الإجازة عن أدبينا في ١١/ صفر عام ١٣٢٤هـ كان عالما كبيرا، تتلمذ على يد الشيخ محمد سعيد بالصبيل والشيخ صالح بافضل، والشيخ أسعد الدهان والشيخ عبد الرحمن الدهان، توفى عام ١٣٢٧هـ (نفس المرجع ص ١٩٧)

(7) كان يعد من كبار الصوفية الإسلاميين في عصره، نال الإجازة عن أدبينا في عام ٢٤/صفر عام ١٣٢٤هـ بمكة المكرمة.

(8) أخذ العلوم والفنون عن الشيخ حسين حبشي مفتي الشافعية، والشيخ محمد سعيد بالصبيل، وغيرهما من أكابر العلماء ، أذن له أن يدرس بالمسجد الحرام وكانت له حلقة بين الباسطية وباب العتيق، وقد كان درس

صدقة أخ العلامة السيد أحمد بن زيني دحلان[1] والشيخ محمد عثمان دحلان[2] والشيخ محمد يوسف المدرس.[3]

النسخة الخامسة: نال بها الشيخ عبد القادر الكردي[4] وابنه الشيخ عبد الله فريد.

النسخة السادسة: حصل عليها الشيخ محمد عمر بن الشيخ أبي الرشيدي.[5]

النسخة السابعة: تشرف بنيلها الشيخ محمد سعيد المدني.[6]

في كل من المدرسة الفخرية ومدرسة الفلاح/ والمدرسة الصولتية، وكان يداوم بمجالس الذكر ليلة السبت والجمعة (نفس المرجع ص: ٢٠٠ – ٢٠١)

(١) ولد عام ١٢٩١هـ بمكة المكرمة، نشا وتربى في بيت العلم والفضل ، وتشرف بإمامة مسجد الحرام والتدريس فيه ، كان قد عين على مناصب شتى في الحكومة وذلك في العصر العثماني لما ظهر بعض النزاعات بين المسلمين، فترك مكة وهاجر إلى أندونيشيا، فنجح بتأسيس الجمعية الخيرية وبجنبها مدرسة إسلامية في أندونيشيا، ليس هذا فحسب بل سافر إلى بلاد شتى لنشر الإسلام وقام بتاسيس كثير من المدارس الدينية في بلاد كثيرة ومن مؤلفاته زبدة السيرة النبوية، وتحفة الطلاب في قواعد الإعراب، وإرشاد ذوي الأحكام، وخلاصة الرياق من سموم الشقاق توفى عام ١٣٦٠هـ (إمام أحمد رضا كي جند خلفاء حجاز ص: ١٩٨ – ٢٠٠.)

(٢) هو من أبناء بيت العلم والفضل بيت دحلان لقد نال الإجازة في ٢٤/ صفر ١٣٢٤هـ بمكة المكرمة.

(٣) حصل على الإجازة في نفس التاريخ، كان عالما ذا البصيرة والفراسة، وكان يدرس في المدرسة الصولتية وله تقاريظ على بعض مؤلفات اديبنا.

(٤) ، لم نعثر على ترجمة هذين العالمين من علماء الحجاز.

(٥) عاش أديبنا الشيخ أحمد رضا خان في مكانه وذلك أثناء إقامته بمكة عام ١٣٢٤هـ، وجرت المذاكرات والمناقشات بين أديبنا وعلماء الحجاز على مكان الشيخ محمد عمر، ولم يكن له ولد، إذ رأ الشيخ أحمد رضا وأعجب بما رأى فيه من المواهب فقال لو رزقني الله ولدا اسمية أحمد رضا، وفي هذا يحدثنا الشيخ أحمد رضا في الإجازة حيث يقول: وقد كان نوي السيد رجاء البركة بحسنه الجيد، لن المولي تعالى إن رزقني ولدا مرتضي، يسميه باسم هذا الفقير أحمد رضا. فقلت بل سموه عثمان، إن شاء الرحمن ليكون السيد عثمان بن السيد عمر بن السيد أبي بكر ، وكان إذ ذاك العلامة الجليل مولانا الشيخ صالح كمال حاضرا في مجلس فأفاد لن سموه الأول عثمان وإذا رزقتم ولدا ثانيا فسموه كما نويتم أحمد رضا (الإجازات المتينة ص ١٠٦)

(٦) كان معروفا بلقب " شيخ الدلائل" وكان مرجع العلماء بالمدينة المنورة، وله تقاريظ على بعض مؤلفات الشيخ أحمد رضا (تذكرة خلفاء أعلى حضرت ص ٧٠)

وقد تحدثنا إلى هنا عن "الإجازات السبعة" التي منحها أديبنا لعلماء العرب، أما سائر نسخ الإجازات (الثمانية) التي عثرنا عليها فقد كتبها الشيخ أحمد رضا لأصحاب الفضيلة علماء شبه القارة، ونؤكد أيضا أننا لم نتوصل إلى جميع إجازاته، لعدم وجود تراثه العلمي في مكتبة واحدة كما ذكرنا في الفصل الأول، وقد فتشنا كثيرا واتصلنا بمكتبات عديدة، فهذا ما وصلنا إليه ، فإليكم الحديث عن تلك الإجازات وأصحابها.

إحداها: نال بها الشيخ عبد السلام الرام فوري. [١]

ثانيها: حصل عليها الشيخ غلام أحمد الفريدي. [٢]

ثالثها: كتبها أديبنا للشيخ محمد إبراهيم القادري المدراسي الحيدرآباد. [٣]

رابعها: نال بها الشيخ أبو محمد ديدار علي العلوي. [٤]

وابنه الفاضل أبو البركات السيد أحمد القادري. [٥]

---

(١) وهي نسخة وجيزة، نال بها في ٣/ ذي القعدة عام ١٣١٣هـ أوردها الشيخ حازم المصري في الديوان العربي ــ بساتين الغفران ــ ولم نعثر على ترجمة صاحبها.

(٢) وهي أيضا نسخة مختصرة حصل عليها في ٢٠/ ذي الحجة ١٣٣٧هـ وجدنا صورتها الشمسية في "بساتين الغفران"

(٣) أفرد أديبنا بحثا (عن هذه الإجازة) يتضمنها فتاواه بالاسم التاريخي وفق حساب الجمل "أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار" ١٣٠٥هـ هي أكبر نسخ الإجازات كلها" حيث أنها تحتوي على إجازة صلوة الأسرار أي صلوة الحاجة وطريقة أدائها، وهي مأثور عن الشيخ عبد القادر جيلا ني.

(٤) ولد عام ١٨٥٦هـ رحل آباءه من العراق إلى الهند، وأسس" جامعة حزب الأحناف" في مدينة لاهور وله آلاف من التلاميذ واشتهر بلقب" ملك المدرسين" وكان يقول الشعر بالعربية والفارسية والأردية ومن مؤلفاته تفسير ميزان الأديان (لسورة الفاتحة) وتحقيق المسائل، وفضائل رمضان، وله ديوانان بالفارسية والأردية وتوفى عام ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م (انظر تذكرة أكابر أهل السنة ص: ١٤٠ - ١٤٣ للعلامة شرف القادري.

(٥) ولد عام ١٨٩٦م، كان خطيبا بارعا، وفقيها عظيما، وكان له طول الباع في الحديث الشريف وعلومه، وقد ألف في كثير من العلوم والفنون من مؤلفاته تفسير الحسنات بالأردية وطيب الوردة في شرح قصيدة البردة، مخمس الحافظ الشيرازي ومسدس الحافظ شيرازي، انتقل إلى جوار ربه عام ١٩٦١م أنظر نفس المرجع ص: ٤٢٣/٤٢٨. وقد وجدت نسخة الإجازة الخطية له ولوالده الكريم في مكتبة العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري أستاذ الحديث بالجامعة النظامية لاهور.

خامسها: حصل عليها الشيخ إمام الدين السيالكوتي.[1]

سادسها: كتبها أديبنا للشيخ أحمد بخش النظامي السليماني بن المفتي دين محمد.[2]

سابعها: منحها للشيخ أبي يوسف محمد شريف السيالكوتي.[3]

ثامنها: تشرف بها ابنه الأكبر الشيخ محمد حامد رضا خان.[4]

د ـ أنواع إجازات الشيخ أحمد رضا:

ويمكننا أن نقسم إجازات أديبنا من حيث حجمها إلى ثلاثة أقسام:

الطويلة: هي أربعة، الإجازتان الأوليان والإجازة الرابعة التي منحها الشيخ أحمد رضا خان لعلماء العرب، وإجازة صلواة الأسرار التي كتبها أديبنا للشيخ محمد إبراهيم القادري.

القصيرة: هي النسخة الثالثة من "الإجازات المتينة لعلماء بكه والمدينة" التي نال بها الشيخ أحمد الخضراوي.

---

(١) ولد بسيالكوت مولد العلامة محمد إقبال، وبذل عمره في الوعظ والإرشاد والتصنيف والتأليف وكان أديبا بارعا وشاعرا مجيدا، وله مؤلفات منها نصرة الحق، واحتياط الظهر وهداية الشيعة وقد طبع إجازته في تذكرة أكابر أهل السنة مع ترجمته انظر ص:٨٥/٨٦.

(٢) كان من كبار العلماء والأدباء، وقام بترجمة الجزء الأول من القرآن الكريم إلى لغته الأم (أو المحلية) وهي السرائكية وله مؤلفات باللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية، وقدم الطالب محمد اشفاق أحمد، رسالة الماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها جامعة بنجاب لاهور وكان عنوانها : الشيخ أحمد بخش حياته وشعره" وذلك تحت إشراف الدكتور مظهر معين عام ١٩٩٤م، وجدنا صورة "إجازته الخطية" و ترجمته في " إمام أحمد رضا وعلماء ديره غازيخان ص:٨٤ للدكتور مجيد الله القادري.

(٣) كان من أكابر فقهاء الهند ومحدثيها وله مؤلفات تشهد بنبوغه في الحديث وعلومه والفقه وأصوله وكان رئيس التحرير للمجلة الأسبوعية "الفقيه" ومن مصنفاته كتاب التراويح وصداقة الأحناف، وضرورة الفقه وكشف الغطاء، توفى عام ١٩٥١م (انظر تذكرة أكابر أهل السنة ص:٤٨٤/٤٨٥)وجدنا عكس إجازته في ختام مؤلفه "تماز حنفي مدلل" بالأردية.

(٤) انظر ترجمته في الفصل الأول، أما الإجازة التي حصل عليها عن والده فهي إجازة جامعة، أجازه أبوه فيها في كثير من العلوم والفنون لاسيما في التعيين على ولي عهده، قد حصلنا على صورتها الشمسية في المكتبة القادرية عند العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري بمدينة لاهور.

المتوسطة: هي إجازات دون الخمسة المذكورة.

هـ ـ إجازات الشيخ أحمد رضا ومحتوياتها،دراسة موضوعية وأسلوبية:

إن إجازات أديبنا أحمد رضا تعطينا صورة طيبة لثقافته الأدبية الغزيرة، كما تعرفنا بجوانب سيرته الذاتية، يحدثنا الدكتور حازم المصري، عن "الإجازات المتينة" مسلطا الضوء على أهميتها فيقول: ويعد هذا الكتاب (أي الإجازات المتينة) من الأهمية بمكان نظرا للمعلومات الغزيرة التي وردت به، وهي تتعلق بالسيرة الذاتية للإمام أحمد رضا خان [1] وبالإضافة إلى ذلك تتضمن إجازاته سبع عشرة بيتا قرضها أديبنا في مدح علماء العرب فهي تدل على مدي حبه مع علماء العرب واعتزازه بهم من جانب، وتكشف للدارس عن الثقافة الأدبية لدي أديبنا وتمكنه من نظم الشعر العربي من جانب آخر هانحن نقدم هنا ملخص جميع ما توصلنا إليه من خلال هذه الإجازات المذكورة سابقا من أسلوب الشيخ أحمد رضا خان وأفكاره ومعتقداته وما إلى ذلك من حياته العلمية والأدبية.

تاريخ ولادته: تجد أديبنا يورخ لنا عام ولادته في الإجازات كما ذكرنا في الفصل الأول[2] وهكذا يبرز لنا موهبته في فن حساب الجمل بالإضافة إلى تقديمه إلينا تاريخ ولادته.

عام فراغه: وترى شيخنا يذكر عام فراغه من دراسة المقررات وإكماله العلوم الرائجة آنذاك في شبه القارة، وقد سردنا فيما سبق قوله عن هذا عند حديثنا عن حياته العلمية[3].

شيوخه وأساتذته: وفي "الإجازات الطويلة" ترى ذكر ستة شيوخه الأجلة[4].

---

[1] محمد أحمد رضا والعالم العربي ص:٨٩.

[2] انظر ص: ٣.

[3] وانظر ص: ١٨.

[4] وهم أبوه الشيخ نقي على خان والشيخ آل رسول المارهروي والشيخ السيد أحمد بن زيني دحلان والشيخ عبد الرحمن السراج المكي والشيخ حسين بن صالح جمل الليل المكي، والشيخ السيد أبو الحسين أحمد النوري.

خلفائه وتلاميذه: كذلك تبين لنا من هذه الإجازات أن لأديبنا عشرات تلاميذ وخلفاء من أبناء العرب وغيرهم.

علومه وفنونه: كذلك اطلعنا على العلوم والفنون التي تضلع بها أديبنا وبرع فيها وهي "٥٩" علما وفنا، ذكرناها بالتفصيل فيما سبق.[١]

حبه ببعضها: قد ذكر الشيخ في الإجازة الثانية من "الإجازات المتينة" أحب العلوم والفنون إليه كأنه قد شغف بها حبا ملخصها كما يلي: أولها: حماية جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وثانيها: نكاية المبتدعين، وثالثها: الإفتاء وفق المذهب الحنفي، بعد سرد ذكرها يقول أديبنا: فهذه موئلي، وعليها معولي، وما أبرد على صدري أن أكون لها وتكون لي ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولي ونعم الولي[٢].

كراهته عن بعضها: وعرفنا من خلال نفس الإجازة أن أديبنا قد ترك الفلسفة وكان يكرهها كما يقول: فمذ ذاك تركت الفلسفة، لأني لم أر فيها إلا زخرفة، ورأيت ظلمتها تأتي بالرين، وتجلب الشين، وتسلب الزين".[٣]

استخدامه بالعلوم الفلكية وبيان الحكم الشرعي عنها: تراه في الإجازات أنه يستمد عن بعض العلوم الحديثة والقديمة على حد سواء منها استخدامه علم الجفر من جانب وإشارته إلى جوازه الشرعي من جانب آخر كما يقول في معرض حديثه عن سنة ولادته ١٢٧٢هـ: وكان الطالع بحساب صور الكواكب في الزهر فيما حاسبت منزل غفر، فلعل الغفور عفا وغفر، والفال الحسن في الشرع معتبر.[٤]

وكذلك نراه في الإجازات يلعب دورا كبيرا في فن استخراج الجهات، ويبرز فيه موهبته الفنية كما صور لنا جهة العراق وجهة المدينة المنورة من مولده مدينة بريلي

---

(١) انظر ص:١٩/٢٠.

(٢) الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة ص: ٧٦.

(٣) نفس المصدر ص: ٧٤.

(٤) نفس المصدر ص: ٧٤.

بالهند، وذلك بعدة طرق برهانية، أكثرها من مبتكرات أديبنا[١] ومن ذلك ما تحدث أديبنا عن نكات لطيفة وفوائد رشيقة لعدد أحد عشر (لعلاقة هذا العدد بوفاة الشيخ عبد القادر جيلاني) حيث حوله إلى "يا" أو "أي" وفق حساب الجمل ، ثم جاء ببحث نفيس عن كلتيهما، وبعد ذلك استخرج كنوزا من حركاتها، وفي الختام كشف لنا أسرار ترتيب الألف والياء "إي" وعكسه "يا" وفق الأبجدية المتداولة.[٢]

استخراجه المسائل الفقهية: قد يستخرج أديبنا المسائل الفقهية في إجازاته بأسلوبه هو ، مثلا عند ذكره بعض الأوراد والأذكار ، يشبه تأثيرها بالسيوف ويبين لنا مسئلة فقهية عمن قتل بها حيث يقول: فمن قتل بهذه كمن قتل بتلك وإن لم يقتص منه في الشرع المجيد، فحكمه بالظاهر، وثمة يوم تبلى السرائر[٣].

براعته في فن أسماء الرجال: ومن خلال تلك الإجازات يمكن للدارس إدراك مدي تمكن أديبنا من معرفة أسماء الرجال كما رأيناه عند حديثه عن بعض العلماء الأجلة ورجال الفكر الإسلامي الذين رووا "صلوة الأسرار" وثبتوها في مؤلفاتهم، وكان من بينهم " الإمام أبو الحسن نور الدين علي بن جرير اللخمي الصوفي الشطنوفي" ولكن الشيخ أحمد رضا لم يكتف بذكر اسمه فحسب، بل ميز الخبيث عن الطيب، وبيّن لنا أنه ليس بابن جهضم الذي تكلم فيه العلامة الذهبي بل شتان بينهما[٤].

مؤلفاته: وكذلك تجد في أكثر إجازاته يذكر لنا عدد مؤلفاته التي زادت على المأتين آنذاك (أي عام ١٣٢٤هـ)، حيث يقول: وكذلك أجزته بجميع مؤلفاتي التي نافت المأتيين، وما عسي أن يقع لي بتوفيق ربي إلى حين الحين، منها فتاواي الملقبة "

---

[١] انظر إجازة صلوة الأسرار ص:٦٤٢ – ٦٤٣ يتضمنها فتاواه، المجلد ١٥.

[٢] نفس المصدر ص:٦٥٥ – ٦٥٨.

[٣] الإجازات المتينة ص: ٨٤.

[٤] ازهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص:٦٣٦.

بالعطايا النبوية في الفتاوي الرضوية" وهي الآن مع حذف المكررات في سبع مجلدات. ونرجو المزيد من فضل ربنا المجيد [١].

حواشيه وتعليقاته: يبدو لنا من خلال هذا الإجازات وأنه كان من داب أديبنا وضع الحاشية والتعليق على كل كتاب أو كتيب إذا كان في ملكيته كما ذكرنا نصه عن هذا في الفصل الأول [٢].

الطرق الصوفية: ولاريب أن الشيخ أحمد رضا خان كان يعد من كبار الصوفية الإسلاميين في عصره وخير دليل على ذلك فتاواه ومؤلفاته، ويؤيدنا مقال الدكتور حازم المصري تحت عنوان: " شيخ مشائخ التصوف الإسلامي وأعظم شعراء المديح النبوي في العصر الحديث [٣] ولقد عرفنا من خلال بعض إجازاته أنه لم يكن عنده طريقة أو طريقتان من طرق الصوفية بل أجاز خلفاء العرب في ثلاث عشرة طريقة كما جاء في إجازته للشيخ صالح كمال المكي وغيره حيث يقول: أجزتكم بجميع سلاسل الطريقة الأنيقة، التي أنا مجازبها وماذون فيها بالإستخلاف لإرشاد الخليفة، وهي الطريقة العلية القادرية البركاتية الجديدة، والقادرية الآبائية القديمة، والقادرية الأهدلية، والقادرية الرزاقية، والقادرية النورية، والجشتية النظامية العتيقة، والجشتية المحبوبية الجديدة، والسهروردية الواحدية، والسهروردية الفضلية، والنقشبندية العلائية الصديقية، والنقشبندية العلائية، نسبة إلى الكريم الهادي، المولى أبي العلاء الأكبرآبادي، والسلسلة البديعة، والعلوية المنامية [٤].

الأوراد والأذكار: كما سبقت الإشارة آنفا أن أديبنا قد تربي وترعرع في جو التصوف الإسلامي، ونشأفيه، فمن المهم أن يلازم الأوراد والأذكار كما هو دأب الصوفية

---

(١) انظر ص: ٢٤.

(٢) الإجازات المتينة ص:٩٨.

(٣) نشر مقاله في المجلة الأسبوعية" آفاق عربية" من القاهرة، ثم ضمه صاحبه إلى مؤلفه الكتاب التذكاري مولانا الإمام أحمد رضا ص:١١٧.

(٤) الإجازات المتينة ص:٨٠ – ٨٢.

الإسلاميين ورجال الزهد والتقوى، فإنهم يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، وهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله المولى، فهذه الإجازات تعطينا معرفة عن هذا الجانب لشيخنا أحمد رضا خان، وحبه للأوراد والأذكار وشغفه بها، ولقد رأيناه في نفس الإجازة مثلا، يجيز علماء العرب وخلفائه في أربعة وعشرين وردا من هذا الصنف[١].

ومن ذلك المصافحات الأربعة التي أجاز العلماء بها حيث قال: وهاأنا أصافحكم بالمصافحة الأربع الخضرية والجنية والمعمرية والمنامية، المتصلات مني إلى حضرة الرسالة، والخليفة الأعظم لذي الجلالة.[٢]

ذكر الكرامات: وقد تصدر الكرمات من أولياء الله الكاملين كما هو المعروف عند الصوفية الكرام منذ القديم، فنجد الحديث عند أديبنا في بعض إجازاته عن الكرامات، منها كرامة والده الكريم حيث نهاه أن يمعن النظر في بعض علوم الهندسة، وعن هذا يحدثنا الشيخ قائلا: ولا أدري ما رأي مني سيدي الوالد، قدس سره الماجد، حتى قال لي حين قرأت عليه الشكل الأول، لا حاجة لك إلى إطالة العمل، ستحل كلـه بفكرك وذهنك، فاشتغل بالك بعلوم دينك، وقد شاهدت بركة مقاله الكريم رأي العين...الخ.[٣]

---

(١) وهي خواص القرآن، والأسماء الإلهية، ودلائل الخيرات والحصن والحصين، والقصر المتين، والأسماء الأربعينية وحزب البحر، وحزب النصر، وسائر أحزاب الشاذلية، وحرز مائة ألف وأربعة من الأولياء، وحرز الأميرين، والحرز اليماني، والدعاء المغني، والدعاء الحيدري، والدعاء العزرائيلي، والدعاء السرياني، والقصيدة الخمرية، وصلوة الأسرار، وقصيدة البردة ودعاء بشمخ وتكبير عاشقان، ونيم تكبير، وارسال الهواتف (انظر نفس المصدر ص :٨٢ – ٨٤).

(٢) الإجازات المتينة ص:٨٦.

(٣) نفس المصدر ص:٧٨.

ومن ذلك ما ذكر عن الأنوار الإلهية والتجليات القدسية التي عكست على قلبه المصفي أثناء اشتغاله بصلوة الأسرار.[١]

أسناده: إذا كان للسند والسلسلة أهمية عند أصحاب الفنون المختلفة: فرأينا أديبنا يذكر لنا في إجازاته أحد عشر سندا له في شتي العلوم والفنون وطرق الصوفية، إليكم شئ من التفصيل لتلك الأسانيد،

أولها: سند الحديث المسلسل بالأولية عن طريق الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي.[٢]

ثانيها: نفس السند عن طريق الشيخ عبد العزيز الدهلوي.[٣]

ثالثها: نفس السند عن طريق الشيخ أبي الحسين أحمد النوري.[٤]

رابعها: سند الطريقة القادرية، المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر جيلاني وذلك عن الشيخ آل رسول الماهروي.[٥]

وخامسها: سند إجازة صلوة الأسرار وهي صلوة الحاجة المأثورة عن الشيخ عبد القادر جيلاني.[٦]

سادسها: سند الطريقة العلوية المنامية.[٧]

---

(١) أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص: ٦٥٢ – ٦٥٣،

(٢) أوردها في إجازته للشيخ عبد الحي الكتاني،محدث المغرب،انظر "الإجازات المتينة"، ص:١١١.

(٣) نفس المصدر ص:١١٥.

(٤) نفس المصدر ص:١١٧.

(٥) أشتهر الشيخ أحمد رضا بهذه الطريقة الصوفية في أوساط رجال التصوف الإسلامي، ويصل سنده هذا بثماني وثلاثين واسطة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. انظر الإجازات المتينة ص:٣٨.

(٦) أفرد شيخنا رسالة عن صلوة الأسرار وطريقتها وأجاز بها الشيخ محمد إبراهيم، فذكر فيها هذا السند.

(٧) أورده أديبنا في الإجازتين الثانية والرابعة لعلماء العرب وقال عن هذه الطريقة: هذه أقرب سلاسلي في البيعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (الإجازات المتينة ص:١٠٠) حيث إن الشيخ أحمد رضا بايع على يد الشيخ آل رسول المارهروي الذي بايع على يد الشيخ عبد العزيز الدهلوي، أنه بايع في روياه الصالحة على يد على رضي الله تعالى عنه الذي بايع على يد حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا سلسلته هذه.

سابعها: سند المصافحة الجنية، المنسوبة إلى الجن الذي أسلم على يد حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم. [١]

ثامنها: سند المصافحة الخضرية، المنسوبة إلى سيدنا أبي العباس الخضر الذي صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم. [٢]

تاسعها: سند المصافحة المنامية، المنسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الباغوزائي الذي تشرف برؤية النبي صلى الله عليه وسلم وزيارته في رؤياه الصالحة. [٣]

عاشرها: سند استحباب استقبال المدينة في الدعاء ويصل هذا السند إلى عالم المدينة مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه حيث سأله أبو جعفر المنصور قائلا: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله عز وجل يوم القيامة بل استقبله، واستشفع به، فيشفعك الله. [٤]

ونقدم هنا سنده هذا كنموذج من بين أسناده المذكورة، وهو. [٥]

"قال الفقير أحمد رضا غفر الله له أنبأنا سراج الحنفية عبد الرحمن بن عبد الله السراج المكي، عن مفتي الحنفية جمال بن عمر المكي عن المولي عابد السندي المدني عن الشيخ صالح الفلاني عن محمد بن سنة عن الشريف محمد بن عبد الله عن محمد

---

(١) يسير هذا السند عن طريق الشيخ عبد العزيز الدهلوي ويصل إلى السيد المصطفى العيد روسي، الذي صافحه جني كان إسمه غانم، وذلك عام ١٠٩٨م،وكان غانم من أصحاب سورة الجن تعمر أكثر من سبعمائة سنة، تشرف بمصافحة النبي صلى الله عليه وسلم (الإجازات المتينة ص:١١٩ – ١٢٠).

(٢) ويجري سنده هذا بطريق الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشر واسطة، (انظر نفس المصدر ص:١٢٢).

(٣) هذا السند أيضا يسير عن طريق الشيخ ولي الله الدهلوي، ويصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعشر واسطات، نفس المصدر ص:١٢٢.

(٤) انظر كتاب الشفاء ص:٣٥/ج:٢. فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم، للقاضي عياض المالكي ونسيم الرياض، شرح الشفاء ص:٣٩٨/ج:٣.للعلامة الخفاجي.

(٥) انظر أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص:٦٤٩ – ٦٥٠.

بن ارقماش، عن الحافظ بن حجر العسقلاني عن أبي إسحاق القنوجي عن أبي المواهب ربيع بن أبى عامر يحيي بن عبد الرحمن بن ربيع، أنا الحسن بن علي الغانقي، أجازنا القاضي عياض ثنا القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري، وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازو نيه قالوا أنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث، نا أبو الحسن علي بن فهر أبو بكر محمد بن أحمد بن فرج، أبو الحسن عبد الله بن منتاب، يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فذكر الجديث.

استدلاله بالقرآن الكريم وبراعته في علومه:

إن هذه الإجازات تزيدنا معرفة عن كثرة إستدلال المجيز بالقرآن الكريم من ناحية وبراعته في علومه من ناحية أخرى، والأمثلة لذلك كثيرة كثيرة، من ذلك حديثه عن استحباب تقديم الصدقة قبل صلوة الحاجة إذ يقول: "وأحب إلى أن يقدم صدقة فإنها أسرع في الإنجاح، وأسد لأبواب البلاء، وقد أمر الله تعالى من ينادي رسوله أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة[1]، فنجوي الله أحق... والوجوب وإن نسخ رحمة من الله فلا مرية في الاستحباب.[2]

استدلاله بالحديث النبوي ومعرفته بعلومه: وقد عرفنا من خلال إجازاته أن أديبنا برع في الحديث النبوي وعلومه، حيث تجده كثيرا ما يستدل على موقفه بالحديث الشريف، ويزين رأيه به، كما رأيناه مثلا يؤكد لنا أهمية الحمد لله والثناء عليه بعد صلوة الأسرار أي صلوة الحاجة مباشرة، ويفضل فيه الصيغ المأثورة عن النبي صلى الله

(١) سورة المجادلة: ١٢.

(٢) لزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص:٦٣٨ – ٦٣٩.

عليه وسلم، ويبين لنا ثماني دعوات مرويات عن حبيبنا صلى الله عليه وسلم[1] ومن ذلك مؤقفه عن استحباب تجديد الوضوء قبل ركعتي صلوة الأسرار حيث يقول: "وإن جد لهما الوضوء فهو أضواء، وقد عهدنا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم في صلوة الحاجة وإلا فهو بسبيل من الرخصة.

ومنها قوله [2] في معرض حديثه عن تقديم الصدقة قبل صلوة الأسرار: "والأفضل الإسرار بنص القرآن الكريم، وهي تقي مصارع السوء كما في الحديث والحسن أن يتصدق بزوجين بفضل ذلك ورد حديث.

أفكاره مع البراهين: اطلعنا من خلال إجازاته على أن أديبنا لا يقدم فكرة دون دليل، ولا موقفا بغير برهان، بل تراه دائما يأتي بالأفكار المؤيدة بالدلائل، والمزينة بالبراهين وذلك بأسلوب رائع سلس ومن ذلك حديثه[3] عن فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء وبعده حيث يقول:" ولأن الصلوة عليه السلام مقبولة لاشك فإذا استجيب الطرفان فالله تعالى أكرم من أن يدع ما بينهما، وليكن الدعاء وترا فإن الله وتر يحب الوتر [4] وليصل بعد كل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم ير شئ أجلب من الصلوة والسلام... وليجتهد أن تخرج دمعة فإنها علم الإجابة فإن لم يبك فليتباك[5] فمن تشبه بقوم فهو منهم[6] وعلى هذا النحو يستمر أديبنا إلى نهاية الموضوع.

---

(1) نفس المصدر ص:٦٣٩ – ٦٤٠.

(2) نفس المصدر ص:٦٣٨ – ٦٣٩.

(3) أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص:٦٤٨ – ٦٤٩.

(4) الامام محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري كتاب الدعوات / الامام مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم كتاب الذكر.

(5) الامام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجة ابواب الزهد، الحزن والبكاء.

(6) الامام أبو داود سليمان بن الاشعث، سنن أبي داود كتاب اللباس.

التزامه بآثار السلف الصالح: ولقد بدا لنا من خلال مطالعة إجازات أديبنا، أنه يلتزم بآثار السلف الصالح، وأئمة المسلمين، يأمل أديبنا أن تعود الأمة إلى سابق عهدها، ولآثار السلف قوة في نفوس الأحياء وسلطان كبير في قلوبهم، ولذا ترى أديبنا يأتي بأقوالهم القيمة وأعمالهم الحسنة تأييدا لكل ما جاء من موقفه وعقيدته والأمثلة على ذلك كثيرة في إجازاته منها مازاد من عنده كلمتي "سيدنا ومولانا" في الصلوة الغوثية[1] فقال:" إعلم أن لفظة "سيدنا ومولانا" من زيادات الفقير... [2] وقد زاد أمير المؤمنين عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما،على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاز العلماء زيادة السيادة في الصلوة كما في در المختار الخ. [3]

ومن ذلك رأيه في استحباب استقبال المدينة عند الدعاء من الله عز وجل كما ذكرنا قصته من قبل. [4]

براعته في النظم العربي: وقد تبين لنا من خلال هذه الإجازات براعة أديبنا على نظم أشعار عربية ، حيث أقدم في بعض إجازاته أبياتا بالعربية، وبلغ مجموعتها "سبعة عشر بيتا" وهي في مدح علماء العرب، نختار منها بيتين قرضهما أديبنا في مدح الشيخ صالح بن كمال المكي ضمن إجازته وهي:

عين الرضا عن كل عيب كليلة فتحسب مثلي صالحا لكمال

وما بي صالح للكمال كمالها كما لا قذي في صالح بن كمال [5]

و ــ نموذج من إجازات أديبنا

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلى على رسوله الكريم، الحمد لله أحد لا أحد له، وسند لا سند له، وأفضل الصلاة وأكمل السلام على سيد الكرام وسيد الأنام، منتهى سلاسل الأنبياء العظام، وعلى آله وصحبه، رواة علمه ووعاة أدبه وبعد:

---

(1) هي الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم المأثورة عن الشيخ عبد القادر جيلاني الملقب بالغوث الأعظم.

(2) يقصد به الشيخ أحمد رضا نفسه متواضعا ويوافق قول الله عز وجل إذ قال والله الغني وأنتم الفقراء. (سورة محمد:٣٨).

(3) أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار ص:٦٤١ – ٦٤٢.

(4) فيما سبق في نفس الفصل، ص:٨٢.

(5) الشيخ أحمد رضا خان ، ــ ديوانه العربي ــ بساتين الغفران ص:٩٧/ الإجازات المتينة ص:٥٠.

فلما من على ربي، بجاه نبي، وهو حسبي، صلى الله عليه وعلى وصحبه بتقبيل هذه العتبة العلية النبوية، على صاحبها وآله أفضل الصلاة والتحية، سنة ١٣٢٤، تفضل المولى الفاضل العالم، العامل الورع البارع، الفرع الفارع، من أصل النبوة، وروح الكرام والفتوة، قرة عين الشريعة الأمينة، وفلذة كبد المدينة السكينة، شيخ الدلائل، ومرجع الجلائل، وجامع الفواضل، ومنبع الفضائل، مولانا السيد الشيخ محمد سعيد بن السيد الأجل، العلامة الأكمل، الشهير في مشارق الأرض ومغاربها، والحائز لمقاصد الشريعة ومآربها، مولانا السيد محمد المغربي، تغمده الله بالفضل الموهبي،[1]

وكان علي أن آتيه لكن تقدم والتقدم للكرام

ولما تشرفت بحضور بركته، سمع مني الحديث المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعه مني، وسألني إجازة جميع ما أجاز ني به مشائخي الكاملون، وما كنت أهلا لذلك ولكن الكرام حسان الظنون، فما كان لي بدا لامتثال أمره الشريف، والائتمار بحكمه المنيف، فأجزته بجميع ما تصح لي روايته، وبتصانيفي التي نافت المائتين، وبجميع سلاسل الطريقة الواصلة إلي، وهي ثلاثة عشر من القادرية والجشتية والسهروردية والنقشبندية وغيرها، والآن أنا الرحيل، وسأرسل إلى السيد بعض التفصيل، بعد الوصول إلى بلدي بعون الملك الجميل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على هذا الحبيب الكريم وآله وصحبه وزويه أجمعين، آمين.

كتبه عبده المذهب أحمد رضا البريلوي، عفي عنه بمحمد المصطفى النبي الأمي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان، الإجازات المتينة، ص: ١٠٩/١١٠.

الفصل الثاني

المبحث الأول

المطلب الثالث: فن الخطب عند الشيخ أحمد رضا خان

أ – دور الخطب عبر العصور.

ب – الفرق بين خطب العرب وخطب شبه القارة.

ج – خطب الشيخ أحمد رضا خان وأنواعها.

د – خطب المنابر ونموذج منها.

ه – خطب الدفاتر دراسة أسلوبية وفنية.

و – نموذج من خطب الدفاتر.

أ ـ دور الخطب عبر العصور

الخطابة في العصر الجاهلي:

إن بداية الخطابة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ القديم، وكان للخطابة مكانة عظيمة وتأثير كبير في العصر الجاهلي، حتى تفوق النثر على الشعر وأصبح فن الخطابة وسيلة لبيان الأغراض المختلفة وجعل الخطباء يستخدمون الخطابة في شتى مناسباتهم، كثرت موضوعاتها منها النصح والإرشاد، والحث على قتال الأعداد، والدعوة إلى الأمن، والمنافرة والمفاخرة، ثم توسعت ميادينها وتعددت مجالاتها كما يبين لنا الدكتور شوقي ضيف قائلا: وكانوا يخطبون في الأسواق والمحافل العظام، والوفادة على الملوك والأمراء متحدثين عن مفاخر قبائلهم ومحامدها[١].

وذكر لنا الجاحظ مئات الخطباء البلغاء لهذا العصر في مؤلفه" البيان والتبيين" ولكننا نكتفي على ذكر أسماء بعض الخطباء المصاقع دون أن نخوض في التفصيل عنهم لضيق المقام، فمنهم:

ابن ربيعة خطيب قريش يوم بدر، وسهيل بن عمرو الأعلم وقد أسلم وحسن اسلامه، ونفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب، وابن عمار الطائي خطيب مذحج كلها، لبيد بن ربيعة العامري، وهرم بن قطبة الفزازي صاحب المنافرة المشهورة بين علقمة وعامر بن الطفيل، وعمر بن كلثوم خطيب تغلب، وخويلد بن عمرو خطيب يوم الفجار، وأكثم بن صيفي وقيس بن عاصم، وضمرة بن ضمرة، وغيرهم.[٢]

الخطابة في العصر الإسلامي:

بقيت الخطابة في صدر الإسلام على ما كانت عليه في الجاهلية من الإزدهار والرقي، إلا أن موضوع التفاخر والتكاثر بالأحساب والأنساب تخلفها حيث أن الإسلام نهي عنه، والرسول صلى الله عليه وسلم نفسه كان أخطب العرب، إذ لقبه الله المولي

---

(١) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص:٢٧.

(٢) انظر للتفصيل البيان والتبيين ص:١٨٩، ٢٦٦، ٣٤٩، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٥. المجلد الأول.

في القرآن داعيا إلى الله بإذنه، فكان يخطب كثيرا، ويدعوا إلى الدين الحنيف، فمن أشهر خطبه " خطبة حجة الوداع".

ثم كان دعاته من أصحابه خطباء مصاقع، ولذلك يقول السيد أحمد الهاشمي: والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقي ما وصلت إليه في اللسان العربي حتى ممن عليهم اللحن ولم تسعد العربية بكثرة خطباء، ووفرة خطب مثل ما سعدت به في هذا الصدر الأول.(١)

الخطابة في العصر الأموي:

ازدهرت الخطابة في عصر بني أمية، لأنه كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها، منها الانقلابات السياسية والمذهبية والعقلية والاجتماعية، وكثرت الأحزاب السياسية التي تعارض بني أمية وأتخذ كل من هؤلاء الخطابة وسيلة إلى نقد خصوصه واستمالة الناس إليها منهم قطري بن الفجارئة وتجد خطبه الرائعة عند الجاحظ، وأبو حمزة الخارجي وله خطبة طويلة ألقاها في مكة المكرمة، وزيد بن جندب خطيب الأزراقة(٢).

وكان يقف في الصف المقابل من هؤلاء خطباء الأحزاب السياسية خطباء بني أمية يدعون الناس إلى الاعتصام بحبل الجماعة، ويذكرونهم بفروض الطاعة، ومنهم عتبة بن أبي سفيان والى معاوية على مصر، وعبيد الله بن زياد، وسعيد بن العاص وموسى بن نصير، وطارق بن زياد فاتحا الأندلس، وقتيبة بن مسلم ونصر بن سيار فاتحا التركستان.

وعلى هذا النحو كان لكل حزب خطباءه، وقد بعث ذلك على نهضة الخطابة في هذا العصر نهضة واسعة، كذلك نمت الخطابة الحفلية وازدهرت في هذا العصر إذ كان تأتي الوفود من الأمصار والبادية فكانوا يخطبون بين يدي الخليفة، ممن وفد على

---

(١) السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب ص:٤١٥.

(٢) انظر للتفصيل البيان والتبيين ص:٤٢/١، ١٢٢/٢، ١٤٦/٢.

معاوية عمرو بن الأشرق والنحار بن أوس العذري[1] ولما توفى معاوية وجلس يزيد مكانه دخل عليه عطاء بن أبي فخطب بين يديه[2] وكان عبد المالك يجلس للوفود[3] وعلى هذا النحو كانت تفد الوفود على الولاة[4] ويسوق الجاحظ لنا أخبارا كثيرة عن هذه الصور من الخطابة في هذا العصر.

مازال مكانة الخطابة في النفوس وسلطانها على القلوب إلى صدر العصر العباسي ثم اختلط العرب بالأعاجم وجعلت الخطابة تضعف، واستمر في ضعفها حتى يومنا هذا، وفي هذا يقول الدكتور شعبان محمد مرسي، "هذا الفن (أي فن الخطب) قديم عند العرب، وقد ازدهر في صدر الإسلام، وفي زمن بني أمية لكثرة الدواعي إليه، فلما دالت دولة الأمويين، وقامت دولة العباسيين استمرت الخطبة في إزدهارها،لأن القائمين على أمور الدولة كانوا عربا فصحاء، فعنوا بهذا الفن،..ولما ضعفت قوي الخلفاء واستبدلهم وزراءهم، وتحكم فيهم الأعاجم، ضعفت الخطابة". [5]

وكذلك الخطابة الدينية، اعتراها الضعف في أواخر الدولة العباسية وبقيت الخطابة منحصرة في المناسبات الدينية من الجمعة والعيدين والزواج ونحو ذلك، أخذ الخطباء يحفظونها ويكررونها في المناسبات، ولاإنشاء ولا تجديد، يصور لنا الشيخ حسن الزيات هذه الحالة البائسة قائلا: "فلما استوثق الأمر لبني العباس... ضعفت الخطابة لضعف القدرة عليها، قلة الدواعي إليها... وقصر خطب الجمع والعيدين والزواج، على أن الخلفاء أنفسهم ما برحوا... ولما استعجم المسلمون وبلغ العي ألسنة الوعاظ فلم يستطيعو إنشاء الخطب في الموضوعات المختلفة عمدوا إلى استظهار

---

(1) انظر البيان والتبيين ٢٣٣/١ ٣١٥/١.

(2) نفس المصدر ١٩١/٢.

(3) نفس المصدر ٣١٦/١ ، ١٩١/٢/.٣١٩٩ ، ١٩٢.

(4) نفس المصدر ١١٨/١ ،٣٠١/١.

(5) الفنون الأدبية في العصر العباسي ص:١١٢ إلى ١١٤.

خطب أسلافهم، كابن نباتة المصري، وأخذوا يرد دونها فوق المنابر من غير فهم لمعناها، ولا علم لمغزاها".[1]

يوافقه الشيخ السيد أحمد الهاشمي في الرأي إذ يقول فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدولة حتى بطل شان الخطابة إلا قليلا في المغرب أيام الحفل وقدوم الوفود وبقيت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك[2].

وكذلك جاء في " الفنون الأدبية في العصر العباسي": ولكن اعتراها (الخطابة) الضعف في أواخر الدولة العباسية لغلبة الزخرف عليها، وكان السجع هو الغالب في بنائها، وقد وضع بعض المشائخ مجموعات من الخطب، تقال كل منها في مناسبة معينة فخطبة لعيد الفطر، وخطبة لأضحى، وخطبة لعاشورا وخطبة لأسراء، وخطبة لنضف شعبان... وصارت هذه الخطب تحفظ وتكرر وتعاد هي هي بألفاظها، ولاتجديد.[3]

الخطابة في العصر الحديث: ولا نشك أن الخطابة إذا كان حالها هذا في أخر العصر العباسي ، فوصلت إلى أقصي درجة الضعف في العصر الحديث، لا سيما في شبه القارة، فهي لم تتعد المساجد، ولا الجمع والعيدين والزواج ولا يقوم بها إلا فئة ناقلة، ترددها في المناسبات المعينة دون أن تفهم معناها هي أو سامعوها، ويستغني من هذا الحكم شيوخ قلة.

ب ــ الفرق بين خطب العرب وخطب شبه القارة:

نرى من المهم أن نذكر لكم الفرق بين الخطب الشائعة في العرب وبين الخطب المروجة في شبه القارة، لأن الثاني يختلف تماما عن الأول، وشتان بينهما، حيث ترى

---

(١) تاريخ الأدب العربي ص:٢١٨ – ٢١٩.

(٢) جواهر الأدب ص: ٤١٥.

(٣) الدكتور شعبان مرسي ، الفنون الأدبية في العصر العباسي ص:١٤١.

الخطباء والعلماء في بلاد العرب عندما يلقون الخطبة في الجمعة أو في مناسبة ما، فلا يعتمدون الخطبات المأثورة عن السلف، بل لهم ألفاظ وفقرات من عندهم، وكذلك تجد كثيرا من المساجد في بلد واحد، ولكل خطيب له طريقة في الإلقاء والاستنباط والاقتباس من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويختلف خطيب عن خطيب أخر حسب قدرته وبلاغته وأسلوبه.

أما الخطب المعروفة في شبه القارة فهي خطبات مأثورة عن السلف الصالح، تردد في المساجد كل جمعة، هي هي بألفاظها لا تجديد، ولا تغيير، ولا تعديل، وتجد نفس الأسلوب في خطب الأعياد والزواج، إلا أنك ترى كل خطيب يقدم النصح والإرشاد والوعظ بلغته الأم وذلك في جميع البلاد والمدن، ويسمونها" التقرير، أو الوعظ" باللغة الأردية وتستخدم لها نفس المصطلح في أكثر اللغات الشائعة في شبه القارة، ثم يقوم الخطيب ويقرأ الخطبة المأثورة عن العلماء السابقين باللغة العربية، وبعدها تقام الصلوة إن هذا النوع من الخطب التي أنشاءها الأفذاذ والراسخون في العلم لم يحظ بنصيب وافر، وأكثر العلماء الذين وضعوا مثل هذه الخطب لم يأتوا بشيء جديد.

ج ـ خطب الشيخ أحمد رضا خان وأنواعها:

ما من شك أن أديبنا كان من فحول الخطباء البلغاء في عصره، وكان يلقي المحاضرات العلمية والأدبية ويخطب في المناسبات المختلفة بأسلوبه الفريد، وكان يستخرج من بحر القرآن والسنة اللولؤ والمرجان ولنأخذ مثالا على ذلك خطبته التي ألقاها في حلقة القرآن الكريم بمدينة بدايون في الهند، وهو يفسر سورة " الضحى" استمر في تفسيرها إلى ست ساعات متتالية، فقال، في ختامها " لا يمكن لي أن أفسر

هذه السورة الحبيبة بأكملها، لأنني مرة بدأت أكتب تفسيرها فتجاوز تفسير بعض آياتها ستمائة صفحة، فكيف يمكن لي إكمالها ولي أشغال أخرى أيضا.[١]

من المؤسف جدا أنه لم تجر العادة في شبه القارة على جمع مثل هذه الخطب إلا نادرا، لاسيما خطب أديبنا الشيخ أحمد رضا لم تنل حظا من الدراسة.

ولكننا ندرس بعض خطبة من "مجموعة خطب الشيخ احمد رضا" التي أنشأها أديبنا لتقال في مناسبات معينة وأيضا نتناول خطبة في مستهل كتبه، هي التي يسميها الشيخ محمد علي بن علي التهانوي بخطبة الدفاتر.[٢]

الخطب التي كتبها الشيخ أحمد رضا خان تنقسم إلى نوعين:

أولها خطب الجمعة والعيدين والثاني خطب الدفاتر التي تناثرت في بداية مؤلفاته جميعا، ولها مزايا فنية نتحدث عنها في موضعها.

د ـ النوع الأول: خطب المنابر ونموذج منها:

نعني بها خطب الجمعة والعيدين بالنسبة لهذا النوع وضع الشيخ ثلاث خطب خطبة الجمعة، وخطبة عيد الفطر، وخطبة عيد الأضحى، نشرت مجموعتها عدة مرات من باكستان والهند، إنك ترى اليوم مئات الوعاظ والخطباء في شبه القارة الهندية يحفظونها ويداولونها ويكررونها في الجمع والعيدين.

أهم الموضوعات التي تدور حولها هذه الخطب هي التحميد والثناء على الله عز وجل والصلوة والسلام على نبيه صلى الله عليه وسلم ومناقب الصحابة وأهل البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحبيب التقوى إلى الناس وترغيبهم في العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وترهيبهم عن الفحشاء والمنكر والبغي وفضيلة المناسبة التي تقال عنها الخطبة، ندرج فيما يلي خطبته التي وضعها لعيد الفطر.[٣]

---

(١) حكي هذه القصة الشيخ العلامة ظفر الدين المحدث البهاري وهو من أكبر تلاميذ الشيخ أحمد رضا وخلفائه، انظر للتفصيل مؤلفه حيات اعلى حضرت ص:٩٧/ج:١.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، ص: ٤١٥/ج ١.

(٣) الخطبات الرضوية ص:١٢ إلى ٢١.

الحمد لله حمد الشاكرين، الحمد لله كما نقول، وخيرا مما نقول، الحمد لله قبل كل شئ، الحمد لله بعد كل شئ، الحمد لله مع كل شئ، الحمد لله كما ينبغي بجلال وجهه الكريم، الحمد لله كما حمده الأنبياء والمرسلون، والملائكة المقربون، وعباد الله الصالحون، الله اكبر، الله اكبر، لا إله إلا الله والله اكبر الله أكبر ولله الحمد، وأفضل صلواة الله، وأزكي تحيات لله، على خير خلق الله[1]، وسراج أفق الله[2]، وقاسم رزق الله، وإمام حضرة الله، وزينة عرش الله، وعروس مملكة الله، نبي الأنبياء، عظيم الرجاء[3]، عميم الجود والعطاء[4]، ماحي الذنوب والخطاء[5]، حبيب رب الأرض والسماء، الذي كان نبيا وآدم بين الطين والماء[6]، نبي الحرمين إمام القبلتين، وسيلتنا في الدارين، صاحب قاب قوسين، المزين بكل زين، المنزه من كل عيب وشين[7]، جد الحسن والحسين، در الله

---

(١) مدح أديبنا نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة تتبعاً للإمام البوصيري صاحب القصيدة البردة إذ قال: مولاى صل وسلم دائماً أبداً * على حبيبك خير الخلق كلهم.

(٢) وصف الشيخ نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة أخذا عن قول الله عزوجل "سراجا منيرا".

(٣) اقتبس من الحديث النبوي "إنما أنا قاسم والله يعطي" رواه مسلم في كتاب الزكاة هذا أيضا اقتباس من الحديث الشريف حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) هذا أيضاً اقتباس من الحديث الشريف.

(٥) الرجاء ضد يئس وصفه أديبنا كما وصفه الأديب الآخر البوصيري إذ قال هو الحبيب الذي ترجي شفاعته لعل أديبنا يصف نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مشيرا إلى قول الله المولى "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك... فاستغفرلهم الرسول لوجد والله توابا رحيما (سورة النساء:٦٤)

حيث أرشد الله الظالمين أن يأتوا باب النبي ويستغفروا لأنفسهم فلا يكفي استغفازهم حتى يستغفر لهم الرسول.

(٦) مقتبسا من الحديث النبوي إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (رواه الترمذي في باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم).

(٧) جمع أديبنا بين الأمرين المتضادين ما يسميه أهل البلاغة "المقابلة".

المكنون، سر الله المخزون، نور الأفئدة والعيون، سرور القلب المخزون، عالم ما كان وما يكـون[١]، سيد المرسلين خاتم النبيين، أكرم الأولين والأخرىن، قائد الغرالمحجلين[٢]،

معدن أنوار الله، ومخزن أسرار الله، وخزائن رحمة الله، نبينا وحبيبنا وشفيعنا وغيثنا وغياثنا ومغيثنا، وعوننا ومعيننا، ووكيلنا وكفيلنا سيدنا ومولانا، وملجأنا ومأوانا، محمـد رسـول رب العـالمين وعلى أله الطيبين، وأصحابه الطاهرين وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنـين المعظمين، وأولياء ملتـه الكاملين العارفين، وعلماء أمته الراشدين، علينا معهم يا أرحم الراحمين، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه إلهـا واحدا أحدا صمدا فردا قيوما ملكا جبارا، للذنوب غفارا، وللعيوب ستارا[٣]، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفي بالله شهيدا، الله اكبر الله اكـبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله اكبر ولله الحمد، أما بعد:

فيا أيها المؤمنون رحمنا ورحمكم الله، اعلموا أن يومكم هذا يوم عظيم، ألا وللصـائم فرحتـان، فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرحمن[٤]، ألا وإن في الجنة بابـا يقـال لـه الريـان، لا يدخلـه إلا الصائمون[٥]، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، بارك الله لنـا ولكـم في القرآن العظيم، ونفعنا وإياكم بالآيات والذكر الحكيم، إنه تعالى ملك كريم، جواد، بر، رؤف الرحيم،

---

(١) هكذا يعتقد بعض أكابر العلماء والمفسرين كما ذهب إليه الشيخ علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن حيـث قـال في تفسير "خلق الإنسان علمه البيان": وقيل أراد بالإنسان محمداً علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لأنه ينبئ عـن خبر الأولين والأخرىن وعن يوم الدين (انظر تفسير الخازن ص ٢ ج ٧).

(٢) تحدث ابن المنظور في كلمة حجل وقال: منه الحديث أمتي الغر المحجلون أي بين مواضع الوضوء مـن الأيدي والوجه والأقدام، استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكـون في وجه الفرس ويديه ورجليه (أنظر لسان العرب مادة حجل ص ٧٨٨/ج٢).

(٣) قدم الجار والمجرور للغرض البلاغي وهو الحصر.

(٤) كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة يقول الله صلى الله عليه وسلم وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه (رواه مسلم في كتاب الصيام رقم الحديث: ٢٦٠٢).

(٥) وفي هذا المعنى ما روي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة بابا يقـال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم (رواه مسلم في كتاب الصيـام رقـم الحديث ٢٦٠٦).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات. إنه هو الغفور الرحيم، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

انتهت الخطبة الأولى لعيد الفطر أما الثانية فهي:

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله بالهدي ودين الحق أرسله، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبارك وسلم أبدا، لا سيما على أولهم بالتصديق، وأفضلهم بالتحقيق[١]، المولى الإمام الصديق، أمير المؤمنين، وإمام المشاهدين لرب العالمين[٢]، سيدنا ومولانا الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعلى أعدل الأصحاب، مزين المنبر والمحراب، الموافق رأيه بالوحي والكتاب[٣]، سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين، وغيظ المنافقين، إمام المجاهدين في رب العالمين، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعلى جامع القرآن، كامل الحياء والإيمان، مجهز جيش العسرة في رضي الرحمان[٤]، سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين، إمام المتصدقين لرب العالمين، أبي عمر وعثمان بن عفان رضي الله عنه، وعلى أسد الله الغالب، إمام المشارق والمغرب، حلال المشكلات والنوائب[٥]، دفاع المعضلات والمصائب، أخ الرسول، وزوج البتول، سيدنا ومولانا

---

(١) ألف أديبنا كتيبا في هذا وسماه بالإسم التاريخي.

(٢) المشاهدة من المصطلحات الصوفية بناء على الحديث النبوي الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه رواه البخاري.

(٣) كما جاء في صحيح مسلم قول سيدنا عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى (انظر صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة).

(٤) صفات معروفة لسيدنا عثمان رضي الله عنه.

(٥) كما جاء في "جواهر خمسة" للشيخ محمد غوث كوالياري "ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب كل هم وغم سينجلي بولايتك يا علي يا علي يا علي (انظر ص: ٢٨٢).

← تنبيه: إن كتاب "جواهر خمسة" له مكانة عظيمة عند السلف الصالح، حيث فيه مناجات وأدعية مأثورة وكان الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي يعتمد عليه إذ يقول: عن الشيخ أبي طاهر "ايشان بعمل آنچه در جواهر خمسة است اجازت دادند يعني أجازني الشيخ أبو طاهر ما في "جواهر خمسة" من الأوراد (انظر الانتباه في سلاسل أولياء الله ص: ١٣٧).

الإمام أمير المؤمنين، وإمام الواصلين إلى رب العالمين، أبي الحسن على بن أبي طالب كرم الله وجهه الكريم، وعلى ابنيه الكريمين السعيدين الشهيدين، القمرين المنيرين، النيرين الزاهرين الباهرين، الطيبين الطاهرين سيدينا أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين رضي الله تعالى عنهما، وعلى أمهما سيدة النساء البتول الزهراء، صلوات الله تعالى وسلامه على أبيها الكريم، وعليها وعلى بعلها وابنيها وعلى عميه الشريفين المطهرين من الأدناس، سيدينا أبي عمارة الحمزة وأبي الفضل العباس رضي الله تعالى عنه، وعلى سائر فرق الأنصار والمهاجرة، وعلينا معهم، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، اللهم أنصر من نصر دين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبارك وسلم ربنا يا مولانا واجعلنا منهم، وأخذل من خذل دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبارك وسلم ربنا يا مولانا ولا تجعلنا منهم، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، إن الله يأمر بالعدل والاحسان، وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون ولذكر الله تعالى أعلى وأولي وأجل وأعز وأهم وأتم وأعظم وأكبر[١].

هـ ــ النوع الثاني: خطب الدفاتر دراسة أسلوبية وفنية:

التي تكون في مستهل المؤلفات ونعني بها مقدمات الكتب، وأيضا تسمي بالخطب أو خطب الدفاتر، تحدث عنها الشيخ محمد على التهانوي حيث قال معرفا إياها: إن الخطبة بالضم هي عبارة عن كلام مشتمل على البسملة والحمدلة والثناء على الله تعالى بما هو أهله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وتكون في أول الكلام، ثم خطبة المنابر غير خطبة الدفاتر، لأن خطبة المنابر تشتمل على ما ذكر من اشتمالها على الوصية بالتقوى، والوعظ والتذكير، ونحو ذلك بخلاف خطبة الدفاتر فإنها بخلاف ذلك.[٢]

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، الخطبات الرضوية، ص ١٢ إلى ٢١.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ص:٤١٥/ج:١.

إن أديبنا الشيخ أحمد رضا خان كان يعني عناية فائقة بإعداد مقدمات رائعة لمؤلفاته، ولذا أتت لطيفة ورشيقة في أجمل صورة، وأبهي قالب بياني، تشد أذن السامع والقارئ، وتجذب إنتباه المخاطب، وتهيئ النفس لاستقبال ما يأتي بقبول حسن، وترى لها مشوقة جذابة، وجديدة غير مبتذلة أو مشاعة، الأمر الذي يجعل المخاطبين متشوقين لصلب موضوعها، متطلعين إلى فكرتها، وهو يحرص من خلال هذه الخطب ومقدمات مؤلفاته على أن ينشط الأذهان والأفكار بعواطفه ومشاعره، ويبتعد كل البعد عن المقدمات المحفوظة، وكذلك تجد أغلب صفات مقدمات الخطب التي ذكرها الدكتور توفيق الواعي في مقدمات مؤلفات أديبنا أحمد رضا خان لأن مقدمات الخطب تقترب من مقدمات الكتب التي نحن بصددها غرضا وإنشاء، والتشابه بينهما واضح جدا، إنه يقول: ومقدمات الخطبة وافتتاحيتها يجب أن تكون مهيئة للموضوع وملفتة إليه، ومحركة للأذهان لشد السامعين نحوه وخفزهم إلى الإقبال عليه،بحيث تكون جذابة ومشوقة، ومثيرة للنشاط والحمية، وباعثة على التطلع إلى ما يريد أن يوصله الخطيب إلى المستمع، ثم يأتي بعد ذلك الموضوع الذي يلقيه الخطيب. (١)

إنما يستفتح بحمد الله سبحانه وتعالى والصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم بأسلوب متميز يتجلى منه حبه بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بناء على قوله عز وجل : "والذين آمنوا أشد حبا لله" (٢) وقول حبيبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ قال "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (٣) وهذه سمة شاملة لجميع مقدماته وخطبه يقول الجاحظ: "إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمعون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد

(١) الخطابة وإعدادها الخطيب ص:٩١ – ٩٢.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥.

(٣) الإمام محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم.

"البتراء" ويسمون ما لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم "الشوهاء"[1].

إن أغلب مقدماته تحتوي على مناقب الصحابة وأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين. وإنها تتوافق مع موضوعات الكتاب، ويتخير أديبنا أصح الألفاظ والكلمات التي لها ارتباط قوي بالموضوع. وبالإضافة إنها تتضمن ما يشير إلى موضوع المؤلف وجوهره ويرشد إلى فكرته أو مضمونه. وأيضاً تجد فيها الحشد الكبير من المحسنات البديعية المسجوعة، وبذلك تشعر منزلة أسلوبه الذي بلغ قمة في الفصاحة والبلاغة.

بني جميع خطبه على السجع من أولها إلى أخرها، وتدور حول الموضوع الذي يريد أديبنا الحديث عنه.

ومن مزاياها الفنية أنها تتوجه بالدرجة الأولي إلى عقل المخاطب فترى أديبنا أنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولذا هي تختصر أحيانا، وتطول أخرى وقد تكون متوسطة.

ومن السمات الأسلوبية وضوح أجزاء المقدمة لعقول القراء ومناسبتها لأذهانهم، فهي سلسلة واضحة، موزونة المعاني، دقيقة التعبير.

إنها لا تخلو من العاطفة، بل تحتاج إلى تفاعل وتعاطف حتى لا تبقي حقيقة ميتة في الواقع والضمير.

فلا تقتصر على العقل في توجهها بل تعمد معه إلى إثارة الوجدان للتأثير، لأن الإنسان ليس عقل وحده بل هو عقل ووجدان فلا بد من مراعاتهما معاً.

وتمتاز خطبه هذه بالرشاقة والإيجاز وغالبا ما تكون مليئة بالعاطفة كما قلنا إنها تستثير القراء بعد إقنائهم للتفاعل والتجاوب مع الموضوع لا مجرد الإقناع والتصديق.

---

[1] البيان والتبين ص:٦/ج:٢.

وقد حرص أديبنا في أغلب مقدمات مؤلفاته على تدعيمها بالأدلة القاطعة التي لا تترك موضع شبهة إلا ودحضته أو حقيقة من الحقائق إلا وأيدتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وهو ما زاد عمقا وحيوية في خطبه.

وقد تجد أديبنا يقرب الأمثال في خطبه ولها مزايا كثيرة منها بقاء صورة المعاني راسخة في أذهان المخاطب لا تذهب بطول الزمن، بالإضافة تألفها النفوس وتهش لها القلوب، وتساعد الأديب في تحقيق هدفه في سهولة ويسر.

ولذا يقول الأستاذ ممتاز أحمد السديدي الأزهري عن أكبر مقدمات مؤلفات أديبنا[1] ولقد جاء شاعرنا بنثر عربي رائع حين أقدم على كتابة مقدمة كتاب العطايا النبوية في الفتاوي الرضوية فأجاد وأبدع، واستطاع أن يشير إلى ثمانية وسبعين مرجعا فقهيا لتأليفه المذكور آنفا، كما تمكن من الإشارة إلى ثلاثة عشر شخصية ذات صلة بالفقه[2] ولكنه مع هذا وذاك استطاع أن يحتفظ بسلاسة العبارة ودقة التركيب ولطافة الأسلوب وظرف الجملة بصفة عامة.

لقد أعجب الدكتور حسين مجيب المصري بهذا النثر الفني وذكر لنا كثيرا من ملامحه ومزاياه. حيث قال: "بالنظر في هذا النثر الفني يستبين لنا أنه يتسم بسلاسة الكلام، فيه ينحدر ماء واحد آخذا بعضه برقاب بعض دونما تكلف أو إقحام، إن جمله قصار على غير ما نصادف في النصوص العربية المنسوبة إلى بعض العرب، وسجعه يأتي عفوا والمعنى في ظاهر اللفظ يدرك من غير كد للذهن وعنت للرؤية إنه يخلو من البديع المتكلف المفرط في استجلابه مما يجعله مستكره الصنعة تلك الصناعة التي قد تطمس المعنى وتصرفه عن وجهه وتجعل الكلام تلاعبا بالألفاظ وتهمل فيه العلاقة بين اللفظ والمعنى، فاللفظ على قدر المعنى، لا يكلف الكاتب اللفظ ما لا يحتمل من المعنى ولا يضيع أن يستكره لفظة معينة يألف منها موطنها، ولو عقدنا الموازنة بين هذا

---

(١) الإمام محمد أحمد رضا الهندي البريلوي شاعرا عربيا ص:٤١٢.

(٢) وذلك عن طريق براعة الإستهلال.

النص ونص فارسي من مناجاة عبد الله الأنصاري، وتضرعات سنان باشا التركية أدركنا أنه يقتصد في المجاز على حين يصرف عبد الله الأنصاري وسنان باشا فيهما، وهو أكثر ميلا منهما في رغبته في الإفادة، إنه لا يحاول فيه الفصاحة إلا بمقدار ولا يكره اللفظ على آداء المعنى بل يجعل اللفظ على قدر المعنى، أنه يركن إلى اللفظ والإزدواج، والسجع عنده سجعة أخرى، ولكن عفوا مما يقوم دليلا على أنه بطبعه شاعر له القدرة على إحكام القوافي.

كان الشيخ أحمد رضا خان فقيها ويكثر في كلام الفقهاء طول الجملة، ولكنه كان على خلاف ذلك لم تطل الجملة عنده إلى حد طول البيت فيما كتب من نثر، فكانت جملة قصيرة، أو لعل دافعه لذلك هو ما توجب به نفسه من موهبة أدبية، فلم يكن أسلوبه النثري متصفا بطول الجملة إلى حد طول البيت لأنه كان يفرق بين النثر والشعر، فلم تسيطر عليه موهبته الشعرية حتى تتسم جمله النثرية بالطول، كما لم يطغ على فنه النثري أثر لما شغل به من علوم بحيث يضعف من قيمة النثر الأدبي الذي ينبغ من قلمه، لذلك كانت موهبته هي التي تملي عليه قصر الجملة في نثره الفني[١].

و ـ نموذج من خطب الدفاتر:

الحمد لله هو الفقه الأكبر، والجامع الكبير لزيادات فيضه المبسوط الدرر الغرر، به الهداية، ومنه البداية، واليه النهاية، بحمده الوقاية، ونقاية الدراية، وعين العناية، وحسن الكفاية، والصلاة والسلام على الامام الأعظم للرسل الكرام، ما لكي وشافعي احمد الكرام، يقول الحسن بلا توقف، محمدْ الحسن ابو يوسف، فانه الاصل المحيط، لكل فضل بسيط، ووجيز ووسيط، البحر الزخار، والدر المختار، وخزائن الاسرار، وتنوير الابصار، ورد المحتار، على منح الغفار، وفتح القدير، وزاد الفقير، وملتقى الابحر، ومجمع الانهر، وكنز الدقائق، وتبيين الحقائق، والبحر الرائق، منه يستمد كل نهر فائق، فيه المنية، وبه الغنية، ومراقي الفلاح، وامداد الفتاح، وايضاح الاصلاح، ونور الايضاح، وكشف المضمرات، وحل المشكلات، والدر المنتقي، وينابيع المبتغى، وتنوير البصائر، وزواهر

---

(١) مقدمة المنظومة السلامية في مدح خير البرية.

الجواهر، البدائع النوادر، المنزه وجوبا عن الاشباه والنظائر، مغني السائلين، ونصاب المساكين، الحاوي القدسي، لكل كمال قدسي وانسى، الكافي الوافي الشافي، المصفي المصطفى المستصفى المجتبى المنتقى الصافي، عدة النوازل، وانفع الوسائل، لاسعاف السائل، بعيون المسائل، عمدة الاواخر وخلاصة الاوائل، وعلى آله وصحبه، واهله وحزبه، مصابيح الدجى، ومفاتيح الهدى، لاسيما الشيخين الصاحبين الآخذين من الشريعة والحقيقة بكلا الطرفين، والختنين الكريمين، كل منهما نور العين، ومجمع البحرين، وعلى مجتهدي ملته، وأئمة امته، خصوصا الاركان الأربعة، والانوار اللامعة، وابنه الاكرم الغوث الاعظم، ذخيرة الاولياء، وتحفة الفقهاء، وجامع الفصولين، فصول الحقائق والشرع المهذب بكل زين، وعلينا معهم، وبهم ولهم، يا ارحم الرحمين، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.

أما بعد فهذه بحمد الله، ورفد الله، وعون الله، وصون الله، تبارك الله، وبارك الله، ماشاء الله، لا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، جنات عالية، قطوفها دانية، فيها سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، من مسائل الدين الحنيفي، والفقه الحنفي، تجد فيها ان شاء الله عينا جارية من عيون تحقيقات السلف الكرام، مع رفرف خضر وعبقري حسان من تمهيدات الخلف الاعلام، وعرائس نفائس كانهن الياقوت والمرجان، لم يطمثهن قبلي انس ولا جان، من احكام حوادث جديدة، وتحقيقات مديدة، وتنقيحات سديدة، وتدقيقات مجيدة، وتوثيقات فريدة، واحكام الأحكام، والنقض والابرام، ما الهمنى الملك العلام، ببركة خدمة علوم الاعلام، مع الوف التبري، من حولي وقدري، وصنوف الالتجاء إلى الحول العظيم، والطول القديم، والف الف شهادة ان لا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم، وما ابرئ نفسي ان النفس لكثيرة الخطا، إلى الزلة والخطا، فكيف مثلي، في ظلمي وجهلي، وقلة الطاعة، وذلة البضاعة، وكثرة الذنوب، وسورة العيوب، ولكن الله يفعل ما يريد، فضله أوسع ولديه المزيد، ليس على الله بمستنكر، ان يلحق العاجز بالقادر، فما كان فيها من الصواب، وهو الرجاء من الوهاب، فمن ربي وحده وانا احمده عليه، وما كان فيها من الخطأ فمني ومن الشيطان وانا اعوذ بربي واعود اليه، الا وانا احمد رضا لربي، وهو حسبي، ان لم يخطر ببالى قط اني من العلماء، اوزمرة الفقهاء، او ان لي بجنب الأئمة مقالاً، أو في الحكم والحكم معهم مجالا، وانما انا منتم اليهم متطفل عليهم، فعنهم آخذ ومنهم

استفيض، ومنهم يفيض على ما يفيض، فبركة هذا فتح المولى على الابواب، ويسر الاسباب وهدى للصواب، إن شاء الله في كل باب، وانا اعرف حيث يحل للمقلدان يقول اقول، ففي ميداني حول، واليه احول، وما عوني وصوني الا بالله بالرسول، ثم بالسادة القادة الفحول، عليه وعليهم صلوات لا تزول، فهاك بحمد الله تعالى جنات لا ولى الألباب، مفتحة لهم الأبواب، حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين، ومن كرام كروم رياضها مجتنين، ومن بلال زلال حياضها مرتوين، وفي ظلال جلال غياضها ساكنين، فقد رتبت على الكتب والأبواب، فهل التناول وحق التداول بين الأصحاب، وستراها محذوفة التكرار، محفوظة الذمار، عن الاكثار والاكبار، بنقل فتاوى بني الاعصار، بل ما هي من فتاوى الفقير، الا النصف او ازيد بيسير، او قل الثلث والثلث كثير، وذلك ان سيدي وابي، وظل رخمة ربي ختام المحققين وامام المدققين، ما حي الفتن، وحامي السنن، سيدنا ومولانا المولوي محمد نقي عليخان القادري البركاتي، امطر الله تعالى على مرقده الكريم شآبيب رضوانه في الحاضر والآتي، اقامني في الافتاء للرابع عشر، من شعبان الخير والبشر، ١٢٨٦م ست وثمانين والف ومائتين، من هجرة سيد الثقلين، عليه وعلى آله الصلوات من رب المشرقين، ولم تتم لي إذا ذاك اربعة عشر عاماً من العمر، لان ولادتي عاشر شوال ١٢٧٢م اثنتين وسبعين من سنى الهجرة الاطائب الغر، فجعلت افتي، ويهديني قدس سره فيما أخطى، فبعد سبع سنين اذن لي، عطر الله تعالى مرقده النقي العلى، ان افتي واعطى ولا اعرض عليه ولكن لم اجترئ بذلك حتى قبضه الرحمن اليه، سلخ ذي القعدة عام سبع وتسعين(١٢٩٧)، فلم الق بإلى الى جمع ما افتيت في تلك السنينن، فهو اثنتي عشرة سنة، قرنا كاملا في الازمنة، وبعد ذلك ان اتى السؤال من بلاد قريبة دانية، وممالك بعيدة قاصية، عشر مرات فصاعدا، لم اثبت في الكتاب الاجوابا واحدا، الا لفائدة او عائدة زائدة، اوطرء نسيان، وقلما يسلم منه انسان، ومع فوات الكثيرة وروم الاختصار، قد بلغت الى الآن سبع مجلدات كبار، كل مجلد ما بين سبعين، كراسا كبيرا إلى ثمانين، والآن هي في ازدياد، الى ما يشاء الكريم الجواد فاستثقل الاحباب حجم المجلدات وجزؤها على اثني عشر، وما يرزق المولى من بعد ذلك فسيكون ديلا بعونه الاكبر، وسميتها بالعطايا النبوية، في الفتاوى الرضوية، جعلها الله، وسيلة لرضاه ونافعة في الدارين لي ولعباده، وجودا جائدا على جميع بلاده، واهب واهب

المراد قبول عليها وصانا من كل لدود جهول، فقد عذت برب الفلق، من شرما خلق، ومن شر حاسد إذا حسد، ومن ضرحا قداه احقد، اللهم من استعاذ بك فقد استعاذ بعظيم عزجارك وجل ثناؤ وجهك الكريم، صل وسلم وبارك على هذا الحبيب الرؤف الرحيم، وعلى آله وصحبه واوليائه وعلمائه بالوف التكريم، واشهد ان لا الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله بالهدى ودين الحق ارسله، صلى الله تعالى وسلم عليه، وعلى كل من هو مرضى لديه، وعلى كل مسلم ملتجئ اليه، في كل آن دائما ابدا، ما لا يحصيه احد عددا آمين [1].

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، مقدمة العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، المجلد الأول.

الفصل الثاني

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية والسمات الفنية لنثره

تمهيد: يحتوي على نكات تالية

أ ـ مدرسة أديبنا

ب ـ أسلوبه

ج ـ آراء العلماء في نثره

تمهيد

أ ـ مدرسته أديبنا:

يمتاز أديبنا بأشرف الدرجات الأسلوبية واعلاها وليست الكتابة عنده زخرفا برقا يلهو به ولا ثروة لغوية يكاثر بها الكتاب بل كانت الأدبية الممتازة مطبوعة فيه، وملكة مودوعة في ذاته لأن من ورائه كانت البيئة السامية الراقية التي غلبت على شخصيته، لا نكون مبالغين إذ قلنا إن أديبنا أحمد رضا مبدع ورائع في أسلوبه ولم ينهج فيه نهج غيره بل له أسلوب خاص به هو ما يسميه الأستاذ أحمد حسن الزيات "بالأصالة" إذ يقول يراد بالأصالة في الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة، وتلك هي الصفة الجوهرية لأسلوب البليغ وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس، وأن تكون أصيلا في نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك، فلا تستعمل لفظا عاما، ولا تعبيرا محفوظا ولا استعارة مشاعة.[١]

في ضوء ما قاله الأستاذ أحمد حسن الزيات نرى أن أديبنا الشيخ أحمد رضا فريد في أسلوبه وأصيل في نثره، أنه لم يتبع الكتاب المتقدمين ولم يتخذ طريقة أحد من هؤلاء، بل له أسلوب خاص به، اللهم إلا أسلوبه يشبه شيئا بمدرسة الجاحظ أي مدرسة التحليل والتعليل من ناحية، ومدرسة بديع الزمان أي مدرسة السجع والبديع من ناحية أخرى.

يحدثنا الدكتور محمد نبيه عن ميزة مدرسة الجاحظ قائلا: استمدت هذه المدرسة أسلوبها من رافدين زاخرين طريقة عبد الحميد القائمة على الإطناب والإزدواج، وطريقة سهل بن هارون القائمة على التحليل والتعليل والجدل والحوار جمع الجاحظ في طريقته بين هاتين[٢]

---

(١) دفاع عن البلاغة نقلا عن كتاب الحديث النبوي مصطلحة وص:٦٦.

(٢) بلاغة الكتاب في العصر العباسي ص:١٤٨.

ويبين لنا الدكتور محمد نبيه طابع مدرسة بديع الزمان إذ يقول: غلب السجع بأنواعه المختلفة على رسائل هذه المدرسة، وصار صناعة فنية أصيلة لتجميل العبارة وزخرفة الأساليب تلك التي لم تخل أيضا من ألوان البديع الأخرى، كالجناس والتورية والطباق أو غيرها من ضروب البيان التي يتجلى فيها عنصر الخيال كالتشبيه والاستعارة. (١)

تجد أديبنا أنه يجمع في أسلوبه بين السجع وألوان البديع وبين ما أملت عليه مواهبه من ميله إلى التحليل والتعليل.

هذا ولم يكن أديبنا يحلل الموضوع فحسب، بل أنه لزم الأمر أن يحلل النفوس أيضا وليسبر أغوارها، ويستشف طباعها، فإذا صور ذلك بقلمه رأيته عالما نفسانيا في زي أديب.

ب ـ أسلوبه:

والأسلوب هو طريقة الأداء والتعبير والتحبير، التي يسلكها الأديب لتصوير ما في ضميره، لنقل آرائه إلى من سواه بتلك العبارة اللغوية، فهو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني لإيضاحها وتأثيرها، ثم الأسلوب من حيث الموضوع نوعان العلمي والأدبي أما الأسلوب العلمي: فهو يخلو من الاستجابات العاطفية تماما ولكن الأسلوب الأدبي يقوم بتأثير انفعالات الأديب وعواطفه فهذا الأسلوب مجال المخيلات الأنيقة، ملبوس بلباس الصور الخيالية والصنعة البديعية، ولذا يسمى هذا الأسلوب بلغة العاطفة كما أن الأسلوب العلمي هو لغة العقل ثم يتولد من امتزاج هذين الأسلوبين نوع ثالث وهو الأسلوب العلمي الأدبي، يمتاز كل واحد من هؤلاء عن ضريبه بعدة خصائصه وميزاته الأصولية فلا ارتياب أن النثر العربي لأديبنا الشيخ أحمد رضا قد امتزج فيها الأسلوبان فتولد من امتزاجها الأسلوب العلمي الأدبي، وذلك لأن نثره تنفجر منه الواقعية، وترشح منه المعارف البديعية والعلوم الحاكية عن

(١) بلاغة الكتاب في العصر العباسي ص: ١٦٦.

المعلومات النفس الأمرية كما هو دأب الأسلوب العلمي إن كان لا يخلو هذا الأسلوب بعاطفة المنشيء البارع على أن نثر أديبنا قد تحقق حياته الأدبية لسريان روح العواطف العالية في أوصالها فتأثر أسلوبه من تلك العواطف والانفعالات تأثرا واضحا، كما يبدو في كلماتها وتراكيبها وفقرها وصورها بيد أنها لا تخلو من الأفكار الثمينة الواقعية، والحقائق المبتكرة العالية فإن حقيقة النفس الأمرية عنصر هام في نثر أديبنا جميعا، يشد العاطفة ويبعث القوة فيه.

فلا ريب أن النثر الفني لأديبنا أحمد رضا يرتبط بين ذينك الأسلوبين "العلمي والأدبي" فيبرز الحقائق العلمية والمعارف العقلية والواقعية في ثوب أدبي قوي رائع.

يؤيدنا الدكتور محمد نبيه بأن هناك أسلوب ثالث يتولد من امتزاج الأسلوب العلمي والأدبي، إذ يقول: "إن الحقائق العلمية قد تصاغ بأسلوب أدبي تخفيفا لحدتها وتلطيفا لجوافها".[١]

ج ـ آراء العلماء في نثره:

تجد أديبنا الشيخ أحمد رضا خان يفضل عرض أفكاره العلمية بلغة أدبية مؤثرة فيها عناصر الإمتاع والإقناع، ويسير على هذا النحو في جل ما يكتب، وذلك لشد عقل القارئ وقلبه إلى الأفكار التي ينوي غرسها في نفس المخاطب ولذا قال الأستاذ الدكتور محي الدين الألوائي الأزهري[٢]" قديما قيل أن التحقيق العلمي الأصيل والخيال الذهني الخصيب لا يجتمعان في شخص واحد ولكن مولانا أحمد رضا خان كان قد برهن على عكس هذه النظرية التقليدية.[٣]

---

(١) بلاغة الكتاب في العصر العباسي ص: ١٤٨.

(٢) نال شهادة العالمية مع الإجازة من جامعة الأزهر عام ١٩٥٣م ثم عين مذيعا باللغة العربية في أذاعات عموم الهند بدلهي، عاد إلى القاهرة مرة أخرى وحصل على درجة الدكتورة في اللغة العربية من نفس الجامعة عام ١٩٧١م وتولى منصب رئيس التحرير مجلة "صوت الهند" بالقاهرة (انظر محمد أحمد رضا والعالم العربي ص:١٨٨)

(٣) مجلة "صوت الشرق" العدد ١٩٠، ص:١٦ – ١٧.

وعن هذا يحدثنا الأستاذ ممتاز أحمد السديدي الأزهري قائلا:" ويبدوا لنا هذا التأثير في مؤلفاته كلها حتى التي كتبها بغير العربية، فلا يستطيع أي فاقد يطلع على مؤلفاته ـ الأردية والفارسية ـ إلا وأن يصرح بأن مؤلفها لابد أن يكون عالما وأديبا في اللغة العربية نظرا للأثر الكبير الذي انطبعت به هذه المؤلفات.[١]

ويوافقنا في الرأي الدكتور حسين مجيب المصري[٢] إذ يقول:

"كان الشيخ أحمد رضا خان فقيها ويكثر في كلام الفقهاء طول الجملة ولكنه كان على خلاف ذلك أو لعل دافعه لذلك هو ما توجت به نفسه من موهبة أدبية، فلم يكن أسلوبه النثري متصفا بطول الجملة إلى حد طول البيت لأنه كان يفرق بين النثر والشعر فلم تسيطر عليه موهبته الشعرية حتى تتسم جمله النثرية بالطول، كما لم يطغ على فنه النثري أثر لما شغل به من علوم بحيث يضعف من قيمة النثر الأدبي الذي ينبع من قلمه لذلك كانت موهبة هي التي تملي عليه قصر الجملة في نثره الفني".[٣]

ويقول الدكتور رزق مرسي أبو العباس[٤] "الست معي أيها القارئ في أن أديباً عالما أو عالما أديبا سمه كما شئت فلن اختلف معك، لك أن تقدم أي الصفتين ثم تتبعها الأخرى، وعلى كل حال ستجد نفسك أمام جبل أشم وطود راسخ.[٥]

ويتحدث الأستاذ حازم المصري[٦]عن تمكن أديبنا من لغة الضاد وأسلوبه فيقول:

"وعندما نطالع مؤلفاته النثرية التي كتبها ـ وكتب أغلبها ـ باللغة العربية، نتحير من مدي تمكنه التام من اللغة العربية وآدابها، بل أنا وجدناه ينظم شعرا عربيا عذبا أتسم بلغة فصيحة وأسلوب سلس ممتنع... ومما يدعوا إلى التأمل أن هذا الإمام تعلم اللغة

---

(١) الإمام أحمد رضا خان الهندي البريلوي شاعرا عربيا ص:٤١١.

(٢) أستاذ كرس بكلية الأدب من جامعة عين شمس والعضو الخبير بالمجمع اللغوي.

(٣) المنظوية السلامية في مدح خير البرية، مقدمة.

(٤) أستاذ اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر.

(٥) وقفة في ظلال بساتين الغفران مقال يتضمنة "الكتاب التذكاري" ص: ٦٧.

(٦) مدرس مساعد اللغة الأردية وآدابها بجامعة الأزهر وعضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.

العربية وأجادها إجادة تامة... أما عن النثر العربي عنده فقد بلغ أسلوبه فيه قمة الفصاحة والبلاغة.[١]

ولقد شغف أديبنا بلغة القرآن الكريم حبا جماء، فبلغ تمكنه من ناحية اللغة العربية مبلغا شد إنتباه علماء العرب وعلى رأسهم علماء الحرمين الشريفين عند أدائه فريضة الحج الثاني عام ١٣٢٣هـ، كما قال الشيخ أحمد أبو أبو الخير مرداد[٢] عند مطالعته كفل الفقيه الفاهم تأليف شيخنا "الحمد لله على وجود مثل هذا الشيخ، فإني لم أر مثله في العلم والفصاحة وسعة الباع مع حسن سبك العبارة.[٣]

وقال الشيخ السيد مأمون المدني في فصاحة أديبنا: "العلامة البارع والملاذ الفهامة اللامع، صاحب القلم الأسحار والكلم الفائق لطفها نسيم الأشجار، ذو الكلمات العالية التي لا تتصور كنهها برسم أو حد، فهو الحقيق بأن يقال أنه في عصره أوحد"[٤]

وامتدحه الشيخ أحمد البرزنجي مفتي السادة الشافعية على بعض مؤلفاته قائلا: "إني وقفت أيها العلامة التحرير والعلم الشهير، ذو التحقيق والتحرير، والتدقيق والتحبير..الخ".[٥]

وقد أنشد الشيخ علي بن حسين المالكي المدرس بالمسجد الحرام قصيدة في مدح أديبنا منها:

ذا خبرة مولى المعارف والهدى ... رب البلاغة من به الدنيا زهت
أبدي معاني المشكلات بيانه ... ببديع منطقه الجواهر نظمت[٦]

---

(١) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي ص:٣٠ – ٣١.

(٢) شيخ الخطبا ببلد الله الحرام. آنذاك.

(٣) الشيخ أحمد رضا خان ، الرسائل الرضوية ص:٢٦٢/ج:٢. (جمعها وحققها الشيخ عبد الحكيم شاه جهان بوري)

(٤) نفس المرجع، ص: ٢٦٦/ج:٢.

(٥) الشيخ أحمد رضا خان ، حسام الحرمين على منحر الكفر والمين ص: ١٩٨.

(٦) نفس المرجع ص:١٤٦.

الفصل الثاني

المطلب الأول: صفات الأسلوب في نثر الشيخ أحمد رضا خان والسمات الفنية فيه.

أ ـ وضوح الأسلوب.

ب ـ قوة الأسلوب لإفادة التأثير.

ج ـ الروعة الجمالية.

صفات الأسلوب في نثر الشيخ أحمد رضا والسمات الفنية فيه:

إن لأسلوب أديبنا صفات كثيرة، تندرج جميعها في ثلاث خصائص، وذلك لعمومها وعمقها وصلتها بنفس الأديب وعواطفه ومشاعره وذوقه ومعارفه تارة، ولاتصالها بعباراته تارة أخرى، ولذلك تسمى عناصر الأسلوب أو صفاته، والصفات الثلاثة هي الوضوح لقصد الإفهام، والقوة لإفادة التأثير، والروعة الجمالية للإمتاع والسرور ، وتلويح كل منها كما يلي:

أ ـ وضوح الأسلوب:

تجد أسلوبه في نثره واضحا مفهوما، يفيد المخاطبين حسب مستواهم الثقافي، ووضوح الأسلوب لا يتحقق إلا بوجود أمرين، وهما الدقة المتعلقة بنفس الأفكار، والجلاء المتصل بالمخاطبين وكلاهما قد تحققا عند أديبنا بأكمل وجه كما يلي:

أولا: وضوح الفكرة:

يستخدم أديبنا الوسائل التالية لإيضاح الفكرة:

إيضاح المعاني بأضدادها، فإن تقابل الكلم المتضادة المعاني مما يساعد في إيضاح الفكرة الغامضة بازدياد خواص كل من المتضادين المتقابلين بيد أن الشيخ أحمد رضا خان قد خلع الغلو في نثره العربي، لكي لا يعود وضوح الأسلوب صنعة بديعية تفسد ناحية أسلوبه العلمي، والأمثلة لذلك كثيرة في نثره، يكفيك مثلا على ذلك حديثه عن الشيخ صالح كمال المكي إذ يمدحه قائلا: "وذلك أنه محب السنن وناصر أربابها، وذاب الفتن وكاسر أصحابها، فجزاه الله عني وعن الدين كل خير، وحمي حماه عن كل ضر وضير، ولقاه سرورا، ووقاه شرورا. [(١)]

ومن وضوح الفكرة الاستمداد بالعناصر الشارحة أو المقيدة أو المخيلة مثل النعوت والمضاف إليه، والحال، والتميز، والاستثناء، والتوابع، وضمائر الفصل،

---

(١) الإجازات المتينة ص:٤٨.

ونواسخ الجملة، وأدوات الشرط والنفي والمفاعيل الخمسة وأمثالها من عوامل إيضاح المعاني وتجديدها، التي تسهل أسلوب الكلام.

وقد اشتهر بين جهابذة الفن أن الحكم كلها إذ أدارت قيوده إذ داد إيضاحا وتخصيصا وتقوية عند المخاطب، حيث يملأ بها الكلام من وقائع الصنع ولطائف المزايا الوقيعة في السمع، وأسرار الأساليب، فهذه الزرابي مبثوثة في جميع نثر أديبنا وترى عباراته على الكلم السهلة السلسلة، فلن تجد فيها كلمة غريبة وحشية، بأن تكون مؤلفة من حروف متنافرة، توجب ثقل النطق بها على اللسان، ولذلك ترى كل كلمة في عبارته النثرية سهلة مألوفة تجلب ذهن المخاطب إلى فهم خواطر أديبنا الصافية، وعواطفه الراقية ومشاعره العالية، وانفعالاته الزكية طلبا سريعا، حيث لا تحول أمامها وحشة كلمة[1] تحتاج إلى البحث والتنقيب وتنقير القواميس، لئلا يصبح بها الكلام معيبا ومعناه مبهما مجهولا ويشهد على ذلك نماذج نثره التي أوردناها فيما سبق.

كما أن نثره العربي ذو أسلوب مهذب ويخلو عن الكلمات الوحشية المستهجنة، فكذلك أسلوبه نقي عن الانطواء بكلمة سوقية ممتهنة[2] ومبتذلة عامية، وذلك لطرافة جميع مفرداتها، وقد حرص أديبنا في المؤامة بين الأمرين يقول الجاحظ:

"كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا. [3]

---

(١) قد قسم العلامة القلقشندي (٧٥٦ ــ ٨٢١هـ) اللفظ الوحشي إلى عدة أقسام ملخصها مايلي: غريب متوحش عند كل شعب العرب في جميع العصور وغريب في زمن متداول في زمن أخر، فلا يعاب استخدامه في عصر متداول، وغريب متوحش عند قوم دون قوم. (صبح الأعشى، ص: ٢٣٧/ج:٢).

(٢) ولقد نوع القلقشندي اللفظ السوقي المبتذل إلى نوعين ملخصها كالأتي: الأول: احترز الخواص من أهل البلاغة عن استخدامه في كلامهم بل يداوله العامة في تحاورهم السوقي فابتذل بذلك مثل كلمة " الشطار" وهو في أصل اللغة اسم لمن أعيا أهله خبثا ثم استعمل في الشجاع الذي أعيى الناس شجاعة، وغلب تداوله على ألسنة الناس فابتذل وامتهن، والثاني: ما كان دالا على المعنى ثم غيرته العامة كدلالة لفظ الظريف على سيئ الأخلاق حسن الصورة، مع أنه مختص في أصل اللغة بنطق اللسان.(صبح الأعشى، ص: ٢٥٣/ج:٢).

(٣) البيان والتبين ص:١٤٤/ج:١.

ومن ذلك أن يتجنب الأديب عن اجتماع حروف الصلة في جملة واحدة، يـراد بها حروف الجر إذا اجتمعت في الجملة متوالية، فلا تجد في عبارات أديبنا ذلك قـط لأنه يسبب استهجان الكلام المشتمل عليها متتالية لإيقـاع المخـاطب فـي الغمـوض والإبهام كما وقع ذلك في قول أبي الطيب المتنبي:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد[١]

فكان يجب عليه أن يفصل بين الحروف الجارة

ومن عوامل إيضاح المعاني الخلو من التكرار المستهجن، التكرار هـو إيراد شيء في الكلام مرتين فأكثر، فتكرير كلمة واحدة أو جملة واحدة في الكلام نوعان: الأول: مستحسن غريب وهو التكرار لغرض مهتم به مثل التشويق والاستعذاب، أو التضرع والاسترحام وأمثالها. والثاني: مستهجن قبيح وهو التكرار الخالي عـن تلك الأغراض الأدبية ونحوها، ومثال ذلك قول الشاعر:

فما للنوى جذ النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال

فلما سمعه الأصمعي قال لو سلط الله علـى هـذا البيت شـاة فـأكلت هـذا كله[٢]فالتكرار في عبارات أديبنا أحمد رضا يرجع إلى رعايـة الأغـراض البلاغيـة ويدخل في نطاق النوع الأول من التكرار، كما نلاحظ تكرار "الله أكبر الله أكبر لا إلـه إلا الله والله أكبر الله اكبر ولله الحمد" سبع مرات في خطبته لعيد الفطر[٣] والغرض من هذا التكرار هو حصول الاستلذاذ والطمأنينة لأن ذكر الله يطمئـن القلـوب وعمـلا بالحديث الشريف.

---

(١) أنظر قافية الدال من ديوانه.

(٢) الشيخ أبو منصور عبد المالك بن محمد الثعالبي ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ص:١٤٠/ ج:١.

(٣) الشيخ أحمد رضا خان ، الخطبات الرضوية، ص: ١٢ إلى ١٥.

ومن ذلك تكرار "أمير المؤمنين" في نفس الخطبة مع اسم كل من الخلفاء الراشدين وذلك لغرض بلاغي آخر وهو التأكيد لعقيدة أهل السنة والجماعة والرد على شيعة الغالين.

ومن عوامل وضوح الفكرة المصطلحات العلمية أو المعارف الشرعية في نثره قد أقيمت لها قرائن موضحة وروابط عقلية ترفع الإبهام أمام المخاطب، كما يتمثل هذا النوع في مقدمة "الكواكبة الشهابية" ستأتي فيما بعد إن شاء الله تعالى.

فلا تجد عند أديبنا نصا خاليا من الروح الفنية ذاهب الماء والرونق.

ثانيا: جلاء الأسلوب:

تحدثنا عن الدقة المتعلقة بالأفكار، أما جلاء الأسلوب أمر يتعلق بالمخاطبين دون الأفكار وهي تبدو في صور شتى من الرقة والجزالة والصعوبة والسهولة ونحوها حسب مقتض المعاني التي تحتوي عليها العبارة وهو يتحقق بالخصائص التالية:

- خلو النثر من التعقيد اللفظي، وهو كون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مرتبة على وفق ترتيب المعاني[١] وينشاء ذلك التعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاوز، ويتصل بعضها ببعض، فتجد نثر أديبنا بترتيب يسهل على المخاطبين فهمه وإدراكه بسرعة، ولا يقدم ما حقه التأخير ولا يؤخر ما حقه التقديم إلا لغرض بلاغي مثلا كما لا حظناه في خطبته لعيد الفطر أثناء تحميده وثناءه على الله عز وجل قائلا: "للذنوب غفارا وللعيوب ستارا."[٢] حيث قدم الجار والمجرور وقصد به الحصر والقصر.

---

(١) الشيخ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص:٢٢.

(٢) الشيخ أحمد رضا خان ، الخطبات الرضوية، ص: ١٥.

- البعد عن التعقيد المعنوي، وهو كون الترتيب خفي الدلالة على المعنى المراد بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكر طويل [١] فتجد أديبنا يتجنب في نثره عن كل ما يسبب التعقيد المعنوي.

ومن عوامل جلاء الأسلوب حسن التأليف بين الكلمات حسب مقتضى القواعد النحوية، ولا ريب في أن جلاء الأسلوب تفوت بفوات مراعاتها فيضعف التأليف، كما في صورة عود الضمير على المتأخر منه لفظا ورتبة، أو بحذف ما يحتاج إليه في وضوحه وجلائه وما إلى ذلك، وذلك يدل على أن الأديب لا يملك زمام المصادة التي يصوغ فيها أفكاره، فلذلك تجد كلمات أديبنا دالة على المعاني الدقيقة المعينة، وتسلم عباراته عن الغموض واللبس، ومن ذلك مراعاة مواقع الإيجاز والإطناب، أما الإيجاز فهو تكنيز المعاني الكثيرة في العبارة اليسيرة، يتمثل هذا النوع البلاغي في أغلب أسماء مؤلفاته. يكفيك مثلاً على ذلك اسم مؤلفه "جمل النور، في نهي النساء عن زيارة القبور" (١٣٣٩هـ) حيث تجتمع فيه السمات التالية: كونه مسجعا مقفيا سهلة عذبة، وكون عنوانه وفق عام تاليفه بحساب الجمل، ووضوح مؤقف أديبنا عنه حيث يبدو من نهي النساء عن زيارة القبور، وعدم خروجه عن موضوع المؤلف، وجود تلك الألفاظ بعضها ببعض حيث تنظم فيها الأصوات على نهج خاص من التعبير فتبعث الإثارة والامتاع بالتفكير ويفيد الإحساس بالجمال. إذا كان كذلك أفلا نسميه الإيجاز البلاغي؟.

أما الإطناب فهو تادية أصل المعنى المراد بعبارة زائدة عما عرف بين أوساط البلغاء أنك تجد كلا الوصفين أو في بالغرض في موقع دون أخر، ولكننا نجد الإطناب عند أديبنا أكثر من الإيجاز لأن موضوعاته كانت تقتضي الإطناب كما يقول السيد أحمد الهاشمي: "ويستحسن الإطناب في الصلح بين العشائر والمدح والثناء والذم والهجاء والوعظ والإرشاد والخطابة. [٢]

---

(١) الشيخ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص:٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص:٢٢١.

فكان أكثر موضوعات أديبنا من قبيل الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله المولى، وخير مثال على ذلك رسالته الأولى التي وجهها أديبنا إلى الشيخ أبي الطيب المكي وهي تستغرق خمس صفحات[1]، لجأ أديبنا فيها إلى الإطناب لأن المقام كان يقتضي أن يبسط الكلام ويحيط الموضوع بالأدلة العقلية والنقلية والغرض من هذا الإطناب هو إرادة الاستيعاب بالموضوع وإحاطته.

ومن ذلك تكرار ذكر الله تعالى في خطبته لعيد الفطر كما ذكرنا فيما سبق وكان الغرض منه حصول الاستلذاذ والطمأنينة.

ب ــ قوة الأسلوب لإفادة التأثير:

ولا ريب أن أديبنا الشيخ أحمد رضا يدرك الحقائق بوضوح ويحس الدقائق، وتجد في عباراته قوة الفكر، القراء والسامعين وتوقظ عقولهم، وتشعل مشاعرهم، وتثير عواطفهم، وقد تحققت القوة الأسلوبية في نثر أديبنا بأمرين.

أولا: قوة الصورة:

ويرام بها ما يعبر به السامع من معناها الحرفي إلى معنى أو معان أخرى المتعلقة بالمعنى الحرفي على سبيل التمثيل أو الاستعارة أو الكناية أو ما يشاكلها سيأتي الحديث عنها فيما بعد.

فتجد في نثره تلك المعاني الثانوية مرصعة بأزيالها المعنوية، بحيث تفتح أمام المخاطبين نطاق المشاهد للتفكير كما تفتح فلوات المخيلات بالتصوير، فتلك العبارات البيانية والصور الخيالية تبين لنا كيف تصور الشيخ أحمد رضا كل شيء بنقله وكيف تناوله بعقله، وتجعلنا بحيث نشعر بشعوره.

ومن ذلك استخدام الكلم المألوفة المحدودة المعنى، فذلك يفيد توضيح الأفكار والصور، كما يفيد قوتها واستمرارها في العقول، إذ لا ينفع في الأسلوب العلمي الأدبي

---

(1) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان، ص: ١٣٥ إلى ١٤٠.

لفظ مشترك ولا غامض، ولا تفيد فيه الكلمات الأجنبية التي لم ترو من الروح العربي، لأن قوة الأسلوب تفقد بفقدان الإلف والوضوح لا محالة.

ومن أسباب الصورة توشيح الجمل بالكلم الوصفية المفيدة في جمال الأسلوب وقوته ويراد بالكلم الوصفية هنا تصوير الحوادث أو المشاهد التي تجذب الأنظار وتجلب الأفئدة، وتثير الإعجاب، كما يصور أديبنا لقاءه، مع الشيخ صالح كمال المكي حيث يقول:

"هذا وحب حبي، قد حبي قلبي، قبل أن ألقاه وأحيي محياه، لفضل طار إلى الهند ريّاه فلما تواجهنا توافقنا، وتصادقنا بل تعاشقنا، فإن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف بل صار كنفس واحدة، وهو الذي نصرني ووقاني قبل أن يلقاني، وبغيب رعاني وبعد ما رآني، وذلك أنه محب السنن وناصر أربابها، وذاب الفتن وكاسر أصحابها، فجزاه الله عني وعن الدين كل خير، وحمي حماه عن كل ضر وضير، ولقاه سرورا، ووقاه شرورا، آمين يا من كان عزيزا غفورا.

ولقد طال بنا المجالس وحصل بها أنس آنس، فتذاكرنا العلوم، وتحاورنا الفهوم فرأت الأعيان ووعت الأذان، فوق ما كان في تصور الأذهان، فما زاد أحد منا طول الجلوس، إلا لوعة في القلوب وشوقا في النفوس، وأنشدني لساني ما أنشأه جناني.

فياليتها طالت ولكن مضي قضا   بأن مدي وصل الحبيب قصيرا الخ[1]

ثانيا: قوة التركيب:

يراد بها وضع الكلمات حيث تكتسب عناية وإنتباها، وقد تحققت هذه القوة التركيبية عند أديبنا بما يلي:

تقديم الكلمة أو تأخيرها عن موقعها الطبيعي دلالة على القصر أو التفخيم أو حسن الذوق واللياقة أو الأهمية مطلقا، أوردنا بعض الأمثلة لذلك فيما سبق.

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، الإجازات المتينة ص:٤٨ إلى ٥٠.

وقد تتحقق القوة التركيبية بمراعاة الطباق البديعي، فإن المقابلة بين المعاني المتناسقة في ظهورها نوع من التحدي وتوثيق لقوة المعاني نحو في جملة دعائية في خطبة أديبنا لعيد الفطر إذ قال: اللهم انصر من نصر دين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم على آله وأصحابه أجمعين وبارك وسلم ربنا يا مولانا واجعلنا منهم، واخذل من خذل دين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين وبارك وسلم ، ربنا يا مولانا ولا تجعلنا منهم.[1]

ج- الروعة الجمالية:

الجمال صفة نفسية لا تستغني الأساليب الأدبية عنها ما دام الأديب معنيا بإمتاع القراء أو السامعين، وإحترام أذواقهم الأدبية، فإنك قد تجد فقرة أدبية واضحة الأفكار، ومع هذا تكون نابية عن الذوق السليم، ولا تمتزج بالنفس، فهذا قرينة على جمود الذوق الأدبي، ودليل على خمود الشعور والتفكير، وهذا السبب يقتضي العناية بالجمال الفني والأسلوب الأدبي الذي يحقق بما يلي:

الموسيقي:

تتحقق الموسيقي بخلو العبارة عن أسباب الإضطراب الصوتي، والخشونة القاسية التي لا تتم العبارة المحتوية عليها عن عاطفة أو خيال، ولذلك الخلوص توجد الكلم والجمل في عبارات أديبنا مطردة متناسقة، يتولد منها الصوت متناسب الأنغام المنسجمة الصافية، يتمثل هذا في جميع نثره أو أغلب ما كتبه بالعربية،

العاطفة:

عنصر هام وشيء مهم جدا في الأدب فلم يعد الأدب يحفل بالفكرة في ذاتها ولا بالحكمة في ذاتها فحسب، بل يحفل بتأمل الأفكار والحكم في النفس البشرية وتأثيره فيها عن طريق التأمل، قد أسهم نثر شيخنا بنصيب كبير من هذا الجانب، حيث يبدوا في مفرداته، تراكيبه وجمله، بيد أن نثره لا يخلوا عن الحقائق العلمية والمعارف العقلية

---

(١) الشيخ أحمد رضا خان ، الخطبات الرضوية ص:١١.

بل تجد أديبنا يعتمد عليها تماما في قوة الشعور والجمال التعبيري، فلا يكتب ولا يؤلف ولا يرتب إلا بعواطفه ومشاعره وإنفعالاته.

مطابقة اللفظ للمعنى:

تسمي باسم التلائم والتناسب، يراد به دقة اللفظ في أداء معناه، ترى ذلك جليا عند الشيخ أحمد رضا في جميع ما ألف بالعربية حيث تظهر الملائمة بين الألفاظ ومعانيها ملائمة طبيعية، فترى ألفاظ أديبنا تحكي عن حركات وأصواتها في الخارج، وتمثلها أمام المخاطب، ويلاحظ في التركيب والفقرات في أدب شيخنا نغمة عامة تلائم الموصوف سواء كان مشهدا رائعا يبعث الإعجاب، أو معركة دامية يثير الرهبة والإرهاب، أو حوادث متتابعة تملك أكثر العقول والنفوس، أو أحزانا ذات يأس أو آلاما عريضة وما إلى تلك، بحيث تجد أسلوبه اللفظي تصويرا لهؤلاء المعاني كما هي في الواقع وحكاية عنها كما هي في الخارج، ويتحقق بذلك ائتلاف اللفظ والمعنى ولذا ترى عباراته التي جاء بها أديبنا في موضع الاستطاف، فيدعك تشعر بالراحة والنشوة، بالسعادة والفرجة، وبالسرور وبالحبور وبالعجب والطرف، تقدم إليكم ما جاء بها في هذا أثناء حديثه عن الشيخ إسماعيل خليل المكي إذ يقول مستخدما كلمات لينة: "قد اعتللت من غرة السنة إلى شهر تام، فاهتم لي كل الاهتمام، ما مر يوم إلا أتاني، مع بعد منزله المكاني، ولما جف المرض، وتأهب للرحيل ما قد عرض، مر نهاران، ما اتفق الإتيان، فاشتقت إليه اشتياق الظمآن، لماء بارد في يوم صائف، فكتبت إليه لكيما يساعف:

هذان يومان ما فزنا بطلعتكم ولو قدرنا جعلنا رأسنا قدما
قالوا لقاء الخليل للعليل شفاء ألا تحبون أن تبروا لنا سقما
عودتمونا طلوع الشمس كل ضحى وهل سمعتم كريما يقطع الكرما[1]

---

[1] الإجازات المتينة ص: ٥٤ – ٥٦.

أما العكس فيصور أديبنا هلاك العاصين، وشقاء الجاحدين، وذلة المنافقين الذين في قلوبهم مرض، فيتركك حليف الهم والحزن والتذكر والاعتبار، والتفكر والتدبر ،والألم والأمل كما ترى كلماته قوية جذلة رهيبة في عبارته التالية يخاطب بها المنافقين قائلا: "فقد هداكم ربكم أن لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا من أب أو مولى أو سلطانكم، وقال للذين أرسلوا ألسنتهم في شأنه العظيم، أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، فيا أيها المنافقون المردة الفاسقون الزاعم كبيركم إن مدح الرسول كمدح بعضكم بعضا بل أقل منه في حسبانكم، قد بدت البغضاء من أفواهكم وما تخفي صدوركم أكبر والله مخرج أضغانكم، استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله وتعظيم الرسول وقد نطق القرآن بخذلانكم زاد فأكم الشيطان نقطا من شينه وقاءكم التدوير من دائرة نونه فأراكم تفوية الإيمان في تقوية إيمانكم، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب و ما الله بغافل عن كفرانكم، فلا ورب محمد لا تؤمنون حتى يكون أحب إليكم من والدكم وولدكم والناس أجمعين والروح الذي بين جسمانكم، صلى الله تعالى وبارك وسلم عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام وخادمي سنة القيام برد زيغكم وطغيانكم، ورزقنا حبه الصادق في غاية الإعظام وإدامة ذكره إلى يوم القيام وإن كان فيه رغم انوفكم واسخان أعيانكم". [1]

---

(١) الكوكبة الشهابية يتضمنها الفتاوى الرضوية ص:١٦٨ – ١٦٩/ج .

الفصل الثاني

المبحث الثاني

المطلب الثاني: الصور البيانية والمحسنات البديعية

أ- الأخيلة والصور البيانية

ب- المحسنات المعنوية

ج- المحسنات اللفظية

الصور البيانية والمحسنات البديعية

أ- الأخيلة والصور البيانية:

الخيال عنصر هام في النص الأدبي، ويراد بإبتكار الأخيلة تصوير الشخصيات بأسلوب فني جميل، لأن الأديب البارع هو الذي يري الأشياء برؤية فنية ثم يعرضها على قارئيه وسامعيه ومتذوقي فنه كما أحسها وأدركها، كأنها حقيقة ملموسة، والتي تبدوا من خلال تشبيهاته الرائعة واستعاراته البارعة وكناياته اللطيفة في نسق فني جميل، وقد توضع بعد ذلك في إطار من زخرف القول وموسيقي اللفظ، فتزداد رونقا وبهاء كما تزداد فاعلية وتأثيرا.

ومن خلال دراستنا للأخيلة والصور البيانية نتناول بعض الأمثلة من التشبيه والاستعارة والكناية، كنموذج على براعة أديبنا في التصوير وابتكار الأخيلة والدلالة على التفكير.

التشبيه: فهو كما قال الشيخ عبد القادر الجر جاني معرفا إياه: التشبيه أن تثبت لهذا معنى ذاك أو حكما من أحكامه، كإثبات للرجل شجاعة الأسد، أو للحجة حكم النور في أنك تفصل بها بين الحق والباطل كما تفصل بالنور بين الأشياء.(١)

ويقول السيد أحمد الهاشمي مسلطا الضوء على أهمية التشبيه ومكانته الأدبية: "للتشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة وذلك إخراج الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا... فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطر، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متورع المسك، غامض المدرك، دقيق المجري، غزير الجدوي.(٢)

---

(١) أسرار البلاغة ص: ١٧٨.

(٢) جواهر البلاغة ص:٢٤٧.

أنك تجد هذا اللون البياني عند أديبنا كثيرا كثيرا، وذلك لما فيه من المزايا كما ذكرناها آنفا، وبالإضافة تجد فيها من دلالة على المراد، ووضوح الفكرة، وجمال في الأسلوب، وتقريب للصورة.

إليكم بعض الأمثلة لهذا النوع من نثر أديبنا:

يقول الشيخ أحمد رضا في معرض حديثه عن الشيخ صالح كمال المكي ويلقبه بألقاب تالية: "علم العلماء الأعلام، المشتهر كالركن بالبلد الحرام، أليس هذا الأبيض أقدم وأسود، ومستلم اليد كالركن الأسود".[1]

ومن ذلك قوله في نفس الإجازات: "فإن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف بل صار كنفس واحدة".[2]

الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.[3]

إن هذا النوع البياني أكبر حظا في نثر أديبنا، فنقدم إليكم بعض الفقرات كنموذج لبراعة الشيخ أحمد رضا على استخدام هذا اللون، منها ما يحدثنا في مقدمة فتاواه مبينا عما جاء فيها من المسائل الفقهية والآراء الاجتهادية والفوائد الرشيقة، والنكات اللطيفة، حيث يقول:

فهاك بحمد الله جنات لأولى الألباب، مفتحة لهم الأبواب، حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين، ومن كرام كروم رياضها مجتنين، من بلال زلال حياضها مرتوين، وفي ظلال جلال غياضها ساكنين[4] انظر كيف استخدم عدة استعارات في هذه العبارة المذكورة آنفا.

---

(١) الإجازات المتينة ص:٤٨.

(٢) نفس المصدر ص:٤٨.

(٣) جواهر البلاغة ص:٣١٥.

(٤) (مقدمة) للعطايا النبوية في الفتاوى الرضوية ص:٨٦ – ٨٧.

ومن ذلك ما جاء في مدح الشيخ صالح كمال المكي حيث قال عنه: "ألا وهو الذي شد عضدي ومددي".[1]

فلا يمكن أن يراد بالعضد (في هذا المقام) معناه المعروف بل أدى مفهوم المساعدة بهذه الاستعارة منها قوله مخاطبا للشيخ صالح كمال "هذا مسكك فائح يتضوع".[2]

الكناية: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلى لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.[3]

والكناية في عبارات أديبنا مظهر من مظاهر البلاغة، تصور لنا المعاني الثانوية أروع التصوير وأعمق التأثير، وتجد أديبنا أنه يضعها أمام القارئ بألطف أسلوب التعبير والتحبير، وهي غاية البلاغة لا يصل إليها إلا أديب متمرس.

هاهي بعض الأمثلة لهذا اللون الفني الجميل عند الشيخ أحمد رضا خان إذ يمدح الشيخ صالح كمال المكي في إجازته له فيقول: "ألا وهو الذي شد عضدي ومددي.... ورد عليهم (أي أعداء الإسلام) فارتدوا بردي، إذنا بذوا الهدي ونبذوا التقي، ونهضوا بالهوى، فهوي من غوى في هوة الهوان بما قد حوى.

ب ــ المحسنات المعنوية:

التورية: مما برز في عبارات أديبنا من السمات هو إقدامه على التورية، وهو أن يذكر ألفاظا لها معان قريبة وبعيدة، فإذا سمعها الإنسان سبق إلى فهمه القريب ومراد المتكلم البعيد، كقول الشيخ أحمد رضا في رسالة أرسلها إلى الشيخ أبي الطيب المكي:" والدين نصح، والنصح يثيب، والطبيب اللبيب، الحاذق الأريب، الأجمل الأكمل منك قريب.[4]

---

(١) الإجازات المتينة ص:٥٤.

(٢) الإجازات المتينة ص:٥٠.

(٣) الإجازات المتينة ص:٥٤.

(٤) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٣٨.

ففي العبارة المذكورة يتبادر إلى لأول وهلة هو أن كلمة "الأجمل" صفة مثل الكلمات الأخرى، لأنها وقعت في أوساطها، ولكن أديبنا وري بهذه الكلمة ورمز بها إلى اسم الحكيم محمد أجمل خان الدهلوي.

الاستطراد: مما تجد عند أديبنا من الظواهر الفنية هو الإتيان بلون آخر من ألوان البديع وهو الاستطراد بأن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام.[1]

وقد كثر هذا اللون في نثر أديبنا أحمد رضا ، كما رأيناه جليا فيما سبق من محتويات إجازاته، منها: حديثه عن الشيخ صالح كمال المكي في إجازته له حيث يصف المجاز (أي الشيخ صالح كمال) بصيغ الخطاب، ثم ينتقل إلى أهل مكة ويخاطبهم ويذكر لهم: مكانة هذا الإمام الجليل، ثم يخرج إلى غرض آخر وهو قصة لقاءه معه وما يجري بينهما من المناقشات العلمية، بعد قليل يدعو الله تعالى أن يجمعهما في مستقر رحمته يوم القيامة، ثم يعود إلى المجاز ويذكر بعض محاسنه وينشد بعض الأبيات في مدحه[2] هكذا يستمر أديبنا في الإجازات ويخرج من غرض إلى غرض وهذا ما يسمي الاستطراد عند البلاغيين.

الافتنان: هو الجمع بين فنين مختلفين[3] يكثر هذا اللون البديعي في نثر أديبنا الشيخ أحمد رضا مثلا في خطابه إلى الشيخ عبد السلام تعزية على وفاة زوجته الحبيبة، حيث

---

(1) الشيخ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص:٣٨.

(2) الإجازات المتينة ص:٤٦ – ٥٠ إليكم نموذج؛ أما بعد.
فاسمع يا سعد ... يا حسنة الزمان وبركة الأوان يا طيب الوجود وطيب الجود،... ألا يا سامعين هل عرفتم الاسم وإن لا تعرفوا فهذا نظم (ثم قرض بعض الأبيات في مدح الشيخ صالح كمال، ثم توجه إلى أهل مكة قائلا) يا أهل مكة والبلدة المباركة ألم تعلمو من هذا الذي سميت، وهذا الخطاب لمن نميت... (بعد ذكر محاسن الشيخ صالح كمال قص لنا قصة لقاءه مع الشيخ صالح كمال إذ قال مثلاً) فلما تواجهنا توافقنا وتصادقنا بل تعاشقنا فإن الأرواح جنود مجندة،... (ثم جعل يمدحه بصيغ الغيبوبة منها ما قال) وهو الذي نصرني وقاني قبل أن يلقاني وبغيب رعاني وبعد ما رآني وذلك أنه محب السنن... الخ).

(3) الشيخ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص:٣٨١.

يجمع بين التعزية والتهنئة إذ يقول: "إن الله ما أخذ وما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، وإن في الله عزاء في كل مصيبة، وخلفا في كل قانت، وإن المحروم من حرم الثواب، وإنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب، وبشر الصابرين ..." الخ.[١]

الطباق: ومن السمات الأسلوبية والفنية عند الشيخ أحمد رضا هو الإقدام على الضدين، على سبيل الطباق، وبه يقرب المعنى إلى الفهم، كقوله وهو يدعوا للشيخ صالح كمال المكي في إجازته له: فجزاه الله عني وعن الدين كل خير، وحمي حماه عن كل ضير وضير.[٢]

حيث جمع بين " الخير والضير" وهما ضدان، ومن ذلك ما ذكره في خطبته لعيد الفطر أثناء صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:" وأفضل صلوات الله، وأزكى تحيات الله على خير خلق الله... المزين بكل زين، المنزه من كل عيب وشين".[٣]

فجمع بين الضدين" زين وشين" في العبارة المذكورة.

المقابلة: مما نجد كظاهرة فنية عند أديبنا هو الإتيان بلون آخر" المقابلة" وهو أعم من الطباق بأن يأتي بالأضداد في جملة، فنجد الشيخ أحمد رضا أنه اهتم به أكثر من موضع، وعلى سبيل المثال ما جاء في إجازته للشيخ صالح كمال المكي من النصح إذ قال: "ولا حاجة إلى إيصائكم بصرف الأوقات في نكاية الفتن وإهانة أصحابها، وحماية السنن وإعانة أربابها".[٤] ومن ذلك ما جاء في خطابه إلى الشيخ أبي الطيب المكي الذي ادعي بأنه مجتهد لا يحتاج إلى تقليد الأئمة الكبار والفقهاء العظام فيخاطبه أديبنا ويتصدى له قائلا: "فأت بعشر صورة مفتريات من مسائل فقه اجتهاديات تكون أنت

---

(١) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:٣١ – ٣٢.

(٢) الإجازات المتينة ص:٣٨.

(٣) الخطبات الرضوية ص:١٣.

(٤) الإجازات المتينة ص:٣٨.

أبا عذرها، لا تستند، بأحد في بناء جدرها، لا في بطن ولا في ظهر ولا في ورد ولا في صدر، ولا في جرح ولا تعديل، ولا تفريع ولا تأصيل،..." الخ.[1]

فجمع أديبنا في العبارة المذكورة أربعة أضداد وهي البطن والظهر، الورد والصدر، الجرح والتعديل، التفريع والتأصيل وهذا ما يُسمي " المقابلة" عند البلاغيين.

مراعاة النظير: ومن الظواهر الفنية والأسلوبية التي تجلت عند أديبنا هو " مراعاة النظير" بأن يجمع بين أمرين أو أمور متناسبة لا على جهة التضاد.[2]

كقول الشيخ أحمد رضا في خطابه إلى الشيخ أبي الطيب المكي: "كما أذن سبحانه وتعالى لجبريل وميكائيل، وغيرهم من مقربي حضرة الجليل، عليهم الصلوات والسلام بالتبجيل، في تدبير القطر والمطر، والزرع والنبات والرياح والجنود...الخ.[3]

ومن ذلك قوله في إجازته للشيخ صالح كمال :" ألا فاعرفوا الحق من الأباطيل، ميزوا الصدق من الخزعبيل.[4]

ومن ذلك ما جاء في خطبته لعيد الفطر في مدح الحسنين ابني على بن أبي طالب رضي الله عنهم جامعا بين أمور متناسبة وصفات عديدة: "ابنيه الكريمين السعيدين الشهيدين القمرين المنيرين النيرين الزاهرين الباهرين الطيبين الطاهرين سيدينا أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين رضي الله عنهما".[5]

المذهب الكلامي: وهو أن يورد المتكلم على صحة دعواه حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب وقد عده الشيخ أحمد الهاشمي من المحسنات المعنوية.[6]

---

(١) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٤٠.

(٢) الشيخ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص:٣٨٤.

(٣) مكتوبات الإمام أحمد رضا ص:١٤٩.

(٤) الإجازات المتينة ص:١٤٩.

(٥) الخطبات الرضوية ص:١٩.

(٦) جواهر البلاغة ص:٣٨٦.

وتجد عند أديبنا اهتمامه البالغ بهذا اللون البديعي، من ذلك ما استدل من القرآن الكريم على موقفه بأن كل واحد من المسلمين لا يكون مجتهدا بل يجب على أكثرهم أن يقلدوا الأئمة الكبار، وهو يخاطب الشيخ أبي الطيب المكي الذي كان من كبار العلماء في عصره ولكنه كان يري لا يجب التقليد على العوام والخواص، وكون القرآن الكريم حجة عليه واضح جدا فخاطبه أديبنا مستدلا بالقرآن الكريم بأسلوب رائع فقال:[1]

"ألم تر أن ربك كيف يقول وقوله الحق" وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذ رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"،[2] فقد فرض التفقه في الدين واعفي منه عامة المؤمنين، ولم يترك أحدا منهم سدي، فاز ما ارشد للتقليد من اهتدى، ألم تعلم أن لله على خلقه فرائض لا تترك، ومحارم لا تنهك، وحدود من تعداها فقد ظلم وهلك، ولكلها أوجلها شرائط وتفاصيل، "لا يهتدي إليها إلا قليل، وما يعقلها إلا العالمون، فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون".[3]

ومن ذلك مؤلف شيخنا:" فوز مبين در رد حركت زمين" أي الفوز المبين في رد دوران الأرض، تعقب فيه الشيخ أحمد رضا علماء علم الفلك الحديث، وعلى رأسهم كوبرنيكس والبرت آئن ستائن وتجد فيه البراهين القاطعة والأدلة الحاسمة التي بلغت مائة وخمسة أدلة، تحدث فيه أديبنا في ضوء النظرية الجديدة وأصول علم الفلك الحديث، وعن هذا يحدثنا الدكتور حازم قائلا:" وهذا الرأي أحدث انقلابا في علم الفلك الجديدة ، وقد عكف علماء الفلك في الغرب لبحث هذه النظرية الجديدة التي ابتكرها

---

(١) مكتوبات الإمام أحمد رضا ص:١٣٢.

(٢) سورة التوبة/١٢٢.

(٣) سورة النحل/٤٣.

الإمام، فصدر كتاب في ألمانيا أيد فيه مائة من كبار علماء الفلك صحة ما ذكره الإمام أحمد رضا خان. [1]

ولذا اعترف الدكتور عبد القدير خان[2] بفضيلة دلائل الشيخ أحمد رضا خان وكونها قطيعة في علم الفلك، وقال: إن الشيخ أحمد رضا له براعة في علم الفلك الحديث وهو ممن يوثق به[3] وكذلك يسير أديبنا في جميع مؤلفاته وفتاواه وخطاباته على هذا المنوال، ويلجأ فيها دائما إلى الحجج القاطعة المسلمة عند المخاطب.

الإبداع: ومما تجده متمثلا عند أديبنا هو إقدامه على لون آخر ما يسمي عند أهل البديع بالإبداع وهو أن يكون الكلام مشتملا على عدة أنواع من البديع، كقوله أثناء حديثه عن صلوة الأسرار أي صلوة الحاجة:

"وليعلمن العارف أن ما ذكرته... معتمدا في ذلك على أحاديث كثيرة، أشرت إليها في جمل يسيرة، يعرفها الماهر كالشمس في فئ، ويمر الغافل كأن لم يكن شيء، فجاءت بحمد الله عروسا مليحة ، مكشوفة النقاب عن عوارضها الصبيحة، بحليتها حليتها، ثم اجتليتها". [4]

حيث جمع الشيخ أحمد رضا في عبارته المذكورة بعض أنواع البلاغة منها الجناس، والسجع، والمثال، والتشبيه، والاستعارة.

تشابه الأطراف: ومن الأساليب الفنية التي تميز بها أديبنا هو " تشابه الأطراف" بأن ينظم الناثر إلى لفظه وقعت في آخر الجملة الأولى، فيبداء بها الجملة التالية كما ترى

---

(١) محمد أحمد رضا و العالم العربي ص:٤١.

(٢) خالق غوري ميزائل والذي يعد في طليعة علماء علم الفلك الجديد.

(٣) مجلة إمام أحمد رضا كانفرنس عام ١٩٨٨م "مقال قرأها الدكتور في حفلة حولية انعقدت في كراتشي علم ١٩٨٨م ثم نشر مقاله من شتى البلاد وذلك أكثر من مرة.

(٤) أزهار الأنوار من صبا صلوات الأسرار ص:٦٤٨.

ذلك في معرض حديثه عن أعداء الإسلام حيث يقول:" ونهضوا بالهوى، فهوى من غوى في هوة الهوان بما قد حوى.[1]

ومن ذلك ما جاء في كتابه إلى الشيخ أبي الطيب المكي إذ قال:

"سلها (عن نفسك) هل لله تعالى ما لا يدرك علمه إلا بنص أو اجتهاد فإن أبت فمنكر أنت، وأن سلمت سلمت وأسلمت فسلها أترين الناس كلهم عالمين بها لهم وعليهم من أمور الدين... فإن عمت فقد عميت...الخ.[2]

فكل من كلمات سلمت، وسلمت، وعميت فقد عميت من قبيل هذا النوع الفني أعلاه ذكرا.

تجاهل العارف: ومن السمات الأسلوبية والفنية البارزة عند أديبنا هو الإتيان على النوع الفني الجميل" تجاهل العارف" وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه لنكتة كا التوبيخ والتعب وما إلى ذلك.[3]

وقد كثر هذا اللون البديعي عند أديبنا كما تراه متمثلا في خطابه إلى الشيخ أبي الطيب المكي حيث ادعي المخاطب بأنه لا حاجة إلى تقليد الفقهاء والأئمة على الإطلاق فيخاطبه أديبنا بأسلوب أدبي رائع إذ يقول:

"فسلها (أي عن العقل) أترين الناس كلهم عالمين، بها لهم وعليهم من أمور الدين، لإحاطتهم جميعا بمعاني النصوص، واقتدارهم طرا على استنباط المسكوت عن المنصوص،..فسلها عن الذين لا يعلمون ولا يبصرون، ولا على الاجتهاد يقدرون، أ أولئك متركون سدي،... فسلها ما لهم من السبيل، إلى أن يعلموا أحكام الجميل، أ أن

---

(١) الإجازات المتينة ص:٥٤.

(٢) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٣٣.

(٣) الشيخ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ص:٤٠٩.

يروا بأنفسهم وهم لا يبصرون، ويستنبطوا وهم لا يقدرون، أو يرجعوا إلى العلماء المرشدين، فيعتمدوا عليهم في أمور الدين، ويعلموا بقولهم منقادين".[١]

ومن هذا القبيل ما جاء في إجازته للشيخ صالح كمال حيث يسئل شيخنا أهل مكة عن إمامهم هذا فيقول:

"يا أهل مكة والبلدة المباركة ألم تعلمو من هذا الذي سميت، وهذا الخطاب لمن نميت، أليس إمامكم والقائد أمامكم، علم العلماء الأعلام، المشتهر كالركن بالبلد الحوام، أليس هذا الأبيض أقدم وأسود، ومستلم اليد كالركن الأسود، سيد مسود، جيد مجود، ألا فاعرفوا الحق من الأباطيل، وميزوا الصدق من الخز عبيل، فرب أحمق سفيه، يقال له فقيه، ففيه ما فيه، ورب شعب أو شعيب من شعاب الضلال، يدعي جبل الفضائل والأفضال... الخ.[٢]

ج ـ المحسنات اللفظية:

الاقتباس: وهو أن يضمن الكلام من القرآن الكريم أو الحديث ولا ينبه عليه[٣] فتجد هذا اللون البديعي أكثر فأكثر عند الشيخ أحمد رضا، وهي من أبرز الظواهر الفنية في نثره، ومن الممكن أن نقول أن هذه السمة مسيطرة على كل ما كتب على اختلاف الأغراض، وذلك لما للدين الحنيف في نفسه أثر.

كثيرا ما يقتبس من القرآن الكريم، ليرصع به، ويزيده وضوحا وتأكيدا، فيشرف بشرفها ويسموا بسموها، وبالإضافة أنه كان يعتقد أن القرآن قد نزل على قلب حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا النفوس من جانب، وتحدّ البلغاء من جانب أخر أن يأتوا بآية منه فعجزوا عن الإتيان بها، لقد أثر القرآن الكريم فيهم أبلغ تأثير إذا كان كذلك فأخذ الفصحاء البلغاء يقتبسون من القرآن الكريم إذ وجدوا فيه أبلغ طرق الإقناع،

---

(١) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٣٣ – ١٣٤.

(٢) الإجازات المتينة ص:٤٦ – ٤٨.

(٣) الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص:١٨٢/ج:٧.

واستقامة المعنى، جمال اللفظ، جودة الأسلوب، مخاطبة الإحساس وإثارة الرغبة، ولـذا ترى أديبنا يلجأ كثيرا إلى الاقتباس من القرآن الكريم ويكفيك مثلا على هذا النوع الفني الجميل ما جاء في مقدمة فتاواه يعجب القراء، ويصف بها موسوعته الفقهية إذ يقـول:" أما بعد فهذه بحمد الله، ورفد الله وعون الله، وصون الله، تبارك الله وبـارك الله، ومـا شاء الله، لا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعـم النصـير، جنـات عالية، قطوفها دانية، فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة، وزرابـي مبثوثة، من المسائل الدين الحنفي، والفقه الحنيفي، تجد فيها إن شاء الله عينا جارية مـن عيون تحقيقات السلف الكرام، مع رفرف خضر وعبقري حسان، من تمهيدات الخلـف الأعلام، وعرائس نفائس كأنهن الياقوت والمرجان... فهاك بحمد الله تعـالى جنـات لأولى الألباب، مفتحة لهم الأبواب، حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتـها سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين".[١]

وهذا أنه لا يقل عنده الاقتباس من الحديث النبوي الشريف، لأنه كـلام رحمـة للعالمين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد اجتمعت فيـه فصاحـة اللفظ وجودة المعنى وحسن الأداء، وبلغ من الفصاحة والبلاغة الذروة، ووصـل مـن الروعة والبهجة إلى القمة، لذا قال حبيبنا نفسه أعطيت جوامع الكلم، فتجد فيه روائـع الحكم، هو القول الفيصل لا فضول فيه ولا تزيد، لأنه أدبه ربه فأحسن تأديبه، لكلامـه جلاله لا تجد في سواه، وتحبط به حالة روحية، تحسن منها بشعاع النبوة وهـذا هـو السبب الرئيسي لكثرة اقتباس الشيخ أحمد رضا من الحديث النبوي، تشهد عليه مؤلفاته، وفتاواه وإجازاته وخطاباته ويكفيك مثلا على ذلك ما جاء في خطبته لعيد الفطر حيـث قال: [٢]

---

(١) مقدمة "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية" ص:٨٥ – ٨٦ – ٨٧.

(٢) الخطبات الرضوية ص:١٥ – ١٦.

فيا أيها المؤمنون رحمنا ورحمكم الله اعلموا أن يومكم هـذا يـوم عظيـم، ألا وللصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرحمن، ألا وإن في الجنة بابـا يقال له الريان، لا يدخله إلا الصائمون" حيث اقتبس في النص المذكور من الحديثيـن النبويين رواهما مسلم في كتاب الصيام.

ومما تجلى من السمات الأسلوبية والفنية عند أديبنا هو إقدامه علـى "حسن التضمين: وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة أو مثل سائر أو بيت شاعر. (١)

فمن ذلك حديثه عن الشيخ إسماعيل خليل المكي وهو يمدحه بصيـغ الغيبوبـة، فينتقل فجاءة إلى الخطاب ويقول:" سبحان الله مالي غبت غب أن خاطبت ولذة الخطاب بغية الأحباب. (٢)

ومن هذا النوع الفني ما ذكر أديبنا متواضعا حينما طلب منه الشيخ صالح كمـال المكي إجازة الحديث وعلومه، فقال:

"وما أنا إلا أذل الخلقية، بل لا شيء في الحقيقة ولكن الكرام حسـان الظنـون، وبحسن الظن يعرف الصالحون. (٣)

وقد تجد أديبنا أحمد رضا انه يتضمن كلامه الشعر العربي أو شـطره، ومثـال الشعر هو ما جاء في مقدمة مؤلفه" الدولة المكية بالمادة الغيبية" في معرض حديثه عـن علم النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول:" فهو يستمد من ربه والخلق يستمدون منه(٤) ثم أنشد ما قاله الإمام شرف الدين البوصيري في نفس المعنى": وكلهم مـن رسـول الله ملتمس" غرفا من البحر أو رشفا من الديم (٥).

---

(١) الشيخ شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص:١٣٦/ج:٧.

(٢) الإجازات المتينة ص:٥٨.

(٣) نفس المصدر ص:٥٨.

(٤) الشيخ أحمد رضا خان ، الدولة المكية بالمادة الغيبية ص:٨.

(٥) الشيخ شرف الدين البوصيري، قصيدة البردة مع شرح طيب الوردة ، ص: ١٠٤، الفصل الأول.

ومن ذلك ما يتضمنه" الإجازات المتينة" سبع عشرة" بيتا في علماء العرب أما مثال التضمين لشطر الشعر العربي فنجد ذلك في رسالة أديبنا إلى الشيخ أبي الطيب المكي وهو يدعوا للصالحين إذ يقول أثناء صلواته على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه:

"وعلينا بهم ولهم اجمعينا يرحم الله عبدا قال أمينا".[1]

الاستشهاد: وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن الكريم أو الحديث(وغيره) وينبه عليه.[2]

أنك تجد أديبنا قد لعب بهذا اللون دورا كبيرا في نثره، ونقدم إليكم بعض الأمثلة لهذا النوع الفني كنموذج منه، يقول في خطابه إلى الشيخ أبي الطيب المكي مستشهدا بكلام الله المجيد:" ألم تر أن ربك كيف يقول وقوله الحق وما كان المؤمنون لينفروا كافة" الآية.[3]

ومن ذلك ما استشهد في نفس الرسالة بالحديث النبوي صلى الله عليه وسلم حيث قال:"هذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا وقوله أصدق مقال، ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال.[4]

ومن هذا اللون استشهاده الحكم كما جاء به في إجازته للشيخ صالح كمال المكي إذ قال:" ولقد صدقوا إن صدور الأحرار، قبول الأسرار.[5]

---

(1) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٤٣./ قصة ذلك الشعر إنه لما اشتد أمر قيس المجنون في حب ليلى فذهب به أبوه إلى بيت الله وقال له تعلق بأستار الكعبة وقل اللهم أرحني من ليلى وحبها فقال اللهم من على بليلى وقربها فجعل أبوه يضربه فانشأ قيس يقول يارب لا تسلبني حبها أبدا ــ يرحم الله عبدا قال آمينا (أنظر حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ص٥٧/ج١).

(2) الشيخ شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص:١٨٣/ج:٧.

(3) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٣١./ سورة التوبة : ١٢٢.

(4) نفس المرجع ص:١٣٥.

(5) الإجازات المتينة ص:٧٢.

الجناس: كذلك يكثر عند أديبنا لون آخر من ألوان البديع أي الجناس وهو عبارة عن تشابه اللفظيين في الكلام نطقا مع اختلافهما معنى، ويعرفان عند البلاغين بركني الجناس، وله عدة أصناف تندرج جميعها في النوعين، أولهما الجناس التام: وهو اتحاد ركني الجناس في الأربع، نوعية الحروف، وعددها وترتيبها، وهيئاتهما الحاصلة من الحركات والسكنات مع اختلافهما في المعنى وذلك كما تراه بينا في أغلب ما كتبه أديبنا، ونقف على سبيل المثال عند قوله في إجازته للشيخ صالح كمال المكي:

"سألتني بحسن ظنك بل لطيف منك إجازة الحديث، وسائر مروياتي من قديم وحديث".[(١)]

يتمثل هذا النوع في كلمة الحديث وحديث" حيث قصد الشيخ من الأول معناه الاصطلاحي ومن الثاني المعنى اللغوي، ومن ذلك ما جاء في نفس الإجازة قوله:" أما ما لم يذكر أصلاً وأبقي في الصدر، ولم يؤم إليه في ورد لا صدر".[(٢)]

وثانيهما الجناس الغير التام: وهو عبارة عن جناس يكون ركناه متخالفين في أحد تلك الخصائص الأربع كاختلافهما في المعنى، فقد تمثل هذا النوع من المحسنات عند أديبنا كثيرا كثيرا، كما رأيناه جليا في النماذج النثرية التي أوردناها فيما سبق، ويكفيك مثلا على ذلك ما جاء في مدحه للشيخ صالح كمال المكي إذ قال: ألا وهو الذي شد عضدي ومد مددي... ورد عليهم (أي أعداء الإسلام) فارتد وبردي، إذ نبذوا الهدى، ونبذوا التقى، ونهضوا بالهوى، فهوى من غوى، في هوة الهوان بما قد حوى...الخ.[(٣)]

تجلى هذا النوع البديعي في كل من الكلمات التالية:" عضدي ومددي، الهدى والتقى، غوي وحوى".

---

(١) الإجازات المتينة ص:٦٠.

(٢) نفس المصدر ص:٦٠.

(٣) نفس المصدر ص:٥٤.

السجع: وهو عبارة عن توافق الفاصلتين فصاعدا في الحرف الأخير الساكن وقفا من الكلام المنثور، فيكون كل فاصلة من فواصل كالقافية من الشعر، فقد أدرك أئمة البلاغة من قديم ما لهذا الفن الرفيع من عظيم الأثر في تجميل الأساليب، ورفيع المنزلة في النفوس، حتى إن الجاحظ الذي لم يصطنعه إلا قليلا وبقدر يشير إلى جماله في لغة العرب، ويفاخر به العجم في معركة الشعوبية، أما ابن الأثير فقد دافع عن السجع بحرارة وعقيدة متهما المناهضين له بالعجز عنه.[١]

إذا كان كذلك، فترى أديبنا يستخدم الأسلوب المسجوع في كل باب وغرض،وتجد في أغلب ما كتب باللغة العربية متأبطا لأنواع السجع الثلاثة بأجمعها بعبارة رشيقة، فتلوح تلك الأسجاع جواهر مرصعة على أرديتها من غير تكلف وتصنع فيه، وهي كما يلي:

السجع المرصع: وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابله من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية[٢] كما تراه واضحا في ما قاله أديبنا مدحا للشيخ صالح كمال المكي:

"هو الذي شد عضدي ومد مددي، ونصر وما قصر... إذ نبذوا الهدى ونبذوا التقى"...الخ.

فيتمثل هذا اللون الجميل في كلمات" شد عضدي ومد مددي، ونصرو ما قصر، نبذوا الهدى ونبذوا التقى.

السجع المتوازي: وهو ما اتفق فواصله وحدها في الوزن والروي، وفي أساليب أديبنا المسجوع كثير من هذا النوع الفني، الذي يمتاز بجمال الموسيقي، ألا تراه قد أسهم

---

(١) الدكتور محمد نبيه، بلاغة الكتاب ص:١٦١. وفي هذا المعنى يقول الأستاذ على الجندي: فالكلام الموسيقي المتواتر على اختلاف ألوانه ــ هتاف النفس حين تضطرم بنوازع النشوة والألم والسرور والحزن والرضا والغضب... كأنها تجد في تناعم ألفاظه ورنين أجراسه وتعاطف حروفه متنفسا لهذا الجيشان الأنيف وتلطيفا لهذه الثورة الصاخبة (من الأسجاع) (فن الأسجاع ص:٥ / ج١).

(٢) الشيخ أحمد الحملاوي، كتاب زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ص:٢١٨.

بنصيب كبير في جمال عباراته، يتمثل ذلك مثلا فيما ذكر لنا عن قصة لقاءه مع الشيخ صالح كمال إذ يقول: " فلما تواجهنا توافقنا، وتصادقنا بل تعاشقنا"[١].

ومن ذلك ما جاء في نفس الموضوع عن الشيخ صالح كمال المكي وهو قوله عنه: "بغيب رعاني وبعد ما رآني"..[٢]

السجع المطرف: عبارة عن اتفاق الفاصلتين في حرف الروي دون الاتفاق في الوزن أو عدد الحروف، هذا أسهل أنواع التسجيع يجري في الكلام من غير دقة النظر في البحث عن الأشياء والأمثال ومن غير تعميق الفكر.

لزوم مالا يلزم: وهو أن يجئ قبل الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم كالتزام حرف أو حركة أو أحدهما يحصل الراوي أو السجع بدونه.[٣]

ومما تجد عند أديبنا السمات الأسلوبية والفنية هو الإتيان بهذا اللون الجميل وبأسلوب ممتع كما تراه متمثلا في مقدمة مؤلفه" الكوكبة الشهابية" إذ يلتزم فيها بضمير الخطاب الجمع والنون المكسورة قبلها مع الألف حيث يقول:[٤]

"الحمد لله الذي أرسل رسوله شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه بجنانكم ولسانكم، فجعل تعظيمه وتوقيره وتعزيره هو الركن الركين لدينكم الحق وإيمانكم، وحرم عليكم أن ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم أو تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فتحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون بخسرانكم،وجعل طاعته طاعته، وبيعته بيعته، فإن بايعتم نبيكم فإنما فوق أيديكم يد رحمانكم، وقرن اسمه الكريم باسمه العظيم في الإفناء والإتيان ورجاء العطاء والتقديم والقضاء والمحادة والإرضاء والنصح والإيذاء في قرآنكم، ورفع شأنه وعظم مكانه

---

(١) الإجازات المتينة ص:٤٨.

(٢) الإجازات المتينة ص:٤٨.

(٣) كتاب زهر الربيع ص: ٢٢٠.

(٤) وذلك في رسالته" الكوكبة الشهابية" ص:١٦٨ إلى ١٧٤. يتضمنها فتاواه.

فميز أمره عن أمور من عداه فما كان ليوزن بميزانكم، أتجعلون الحصى كالدر أو الدم كالسمك أم تجعلون العصف كريحانكم، فقد هداكم ربكم أن لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا من أب أو مولى أو سلطانكم، وقال للذين أرسلوا ألسنتهم في شأنه العظيم أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، فيا أيها المنافقون المردة الفاسقون الزاعم كبيركم أن مدح الرسول كمدح بعضكم بعضا بل أقل منه في حسبانكم، قد بدت البغضاء من أفواهكم وما تخفي الصدور أكبر والله مخرج أضغانكم، استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله وتعظيم الرسول، وقد نطق القرآن بخذلانكم..الخ.

ويسير أديبنا على هذا المنوال وبأسلوب رائع في نسق فني جميل إلى نهاية المقدمة.

رد العجز على الصدر: ومن المزايا الفنية لأديبنا هو استخدامه نوعا آخر من ألوان البديع وهو رد العجز على الصدر " بأن يلاقي آخر الكلام أوله بوجه من الوجوه، كما جاء في مدحه للشيخ صالح كمال المكي الذي قام ضد المنافقين فقال الشيخ أحمد رضا عنه: "ورد عليهم فارتدوا بردي"[١] ومن ذلك قوله عن النفس المطمئنة ومن جاء بقلب سليم وذلك في خطابه إلى الشيخ أبي الطيب المكي: "وإن سلمت سلمت وأسلمت"[٢] وفي نفس الموضوع إذ عكس الأمر ويقول: "وإن أبت (أي لم تقبل الحق) أبت إلى الأخر أصابت.[٣]

ومنها ما جاء عن الشيخ صالح كمال المكي الذي كان يزوره كل يوم بمكة وكان الشيخ أحمد رضا مريضا ولكن الشيخ صالح كمال انقطع عنه يومين لشغل ما، فكتب إليه الشيخ أحمد رضا ودعاه إليه وفي هذا القصة يقول أديبنا عنه: فعاد وعاد

---

(١) الإجازات المتينة ص:٥٤.

(٢) مكتوبات الإمام أحمد رضا خان ص:١٣٣.

(٣) نفس المرجع ص:١٣٣.

وجاد وأجاد[1] ومن ذلك ما جاء في خطبة بعض مؤلفاته:" الحمد لله الذي جلى الشمعة، شمعة الإسلام بأوفى لمعة".[2]

التاريخ بحساب الجمل: كان أديبنا بارعا طويل الباع في هذا الفن الجميل الذي عده الشيخ أحمد الحملاوي من أنواع البديع[3] وإن كان وجد هذا اللون البديعي عند كثير من العلماء والأدباء ولعل أديبنا الشيخ أحمد رضا خان أكثر هم عناية به، يشهد على ذلك أسماء مؤلفاته جميعا فلا تجد كتابا أو كتيبا له إلا بالاسم التاريخي، وبالإضافة كان يستخرج من الآيات القرآنية، كما قام باستخراج عام ولادته[4] من الآية الكريمة: أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه[5] (١٢٧٢هـ) ومن ذلك ما استخرج عام رحيله قبل وفاته[6] من الآية القرآنية:" ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب"[7] (١٣٤٠هـ).

وكذلك إقدام أديبنا على استخراج تاريخ وفاة والده الكريم الشيخ محمد نقي علي خان المتوفى عام ١٢٩٧هـ، وذلك من الآية الكريمة: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله الوهاب"[8] ومن ذلك تاريخ رحيل جده الشيخ محمد رضا علي خان وهو من :" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[9] ١٢٨٢هـ، وما إلى ذلك من التواريخ قد جاء الدكتور حازم المصري محقق ديوان الشيخ أحمد رضا بمئات من النماذج لبراعة أديبنا على هذا اللون الفني الجميل.[10]

---

(١) الإجازات المتينة ص:٥٦.
(٢) مجلي الشمعة لجامع حدث ولمعة (١٣٠٥هـ يتضمنه فتاواه ص:٢٨٣.ج:٤).
(٣) انظر كتاب زهر الربيع ص:٢٣١.
(٤) بساتين الغفران ص:٢٣٥.
(٥) سورة المجادلة، الآية:٢٢.
(٦) انظر سو انح إمام أحمد رضا ص:٢٨١ وبساتين الغفران :٢٣٨.
(٧) سورة الدهر ، الآية:١٥.
(٨) بساتين الغفران ، ص:٢٣٧.
(٩) سورة يونس، الآية: ٦٢.
(١٠) انظر بساتين الغفران ص:٢٣٣ إلى ٢٥٠.

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة المتواضعة في آفاق دراسة النثر الفني للشيخ أحمد رضا أرى من المهم أن أذكر ما توصلت إليه من نتائج هذا البحث العلمي الأدبي.

أولا: ولد أديبنا في أسرة علمية فكان لها أثر كبير في تربية الشيخ أحمد رضا وتثقيفه.

ثانيا: تمسك أديبنا بمذهب أبي حنيفة بنواجذه، رغم مواهبه الاجتهادية، واختلف عن بعض الأئمة والفقهاء في الفروع، ولكنه لم ينشيء مذهبا حديثا، بل لم يزل مقلدا للمذهب الحنفي.

ثالثا: كان عصره مليئا بالأحداث، ولذا ظهرت النزاعات بينه وبين معاصريه، حتى بلغ كلا الفريقين إلى تكفير صاحبه كما حدث بين العلامة السيوطي والعلامة السخاوي، وقد قيل إن المعاصرة أصل المنافرة.

رابعا: لم يكن نثر أديبنا الفني مرتبا بل كان مبثوثا في مكتبات تلاميذه وخلفاءه.

خامسا: أنني اتصلت بقدر ما استطعت بالعلماء والباحثين الذين كانت لهم علاقة علمية بأديبنا، واستفدت منهم كثيرا وذلك بالزيارة أحيانا وبالمراسلة أحيانا أخرى.

سادسا: انني لا أدعي إحاطة النثر الفني لأديبنا، بل أرى بحثي هذا مفتاحا للولوج إلى هذا الجانب الواسع من جوانب أديبنا المتنوعة.

سابعا: قد تحقق لي أثناء بحثي أن أديبنا وإن كان عجميا ولكن تسيطرت عليه العربية.

ثامنا: لم يكن الشيخ أحمد رضا أديبا فحسب، بل كان عالما وأديبا فلذا ترى أسلوبه في جميع كتبه أيا كان موضوعها. أدبيا رائعا فيلتزم بالسجع إلا أنه لا يتكلف فسجعه محبوب إلى الطبائع.

تاسعا: هو من أكابر فقهاء شبه القارة حيث جمعت فتاواه في مجلدات ضخمة كثيرة، ومن ميزاته انه استهل كل فتواه بخطبة تخير فيها الفاظا، تناسب موضوع الفتوى، وتكثر فيه الاقتباس بالقرآن والحديث، ويتجلى فيه مطابقة اللفظ للمعنى وكثير من الألوان البديعي.

عاشرا: تجد نفس الشان لأسلوب أديبنا في جميع نثره ولذا قيل عنه انه عالم أديب وأديب عالم، فلا يكتب بالأسلوب العلمي قط بل يكتب دائما بالأسلوب العلمي الأدبي.

فهرس المراجع

كتاب الله المنزل على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم

(أ)	
١.	الإجازات المتينة لعلماء بكة والمدينة / للشيخ أحمد رضا، ط: رضا أكيدمي ـ بمبئ سنة ١٤١٨هـ.
٢.	الأدب الحجازي الحديث / لدكتور إبراهيم بن فوزان الفوزان نشره، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١م
٣.	أزهار الأنوار من صبا صلوة الأسرار / للشيخ أحمد الشيخ أحمد رضا خان يتضمنه فتاواه المجلد ١٥.
٤.	أسرار البلاغة / للشيخ عبد القاهر الجرجاني، من منشورات دار الكتب العربية، ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٥.	آفاق عربية / صحيفة أسبوعية تصدر من القاهرة ، العدد: ٨/٤٠٢ من إبريل ١٩٩٩م.
٦.	إمام أحمد رضا اور علمائي ديره غازي خان (الإمام أحمد رضا وعلماء ديره غازي خان) للدكتور مجيد الله القادري، ط: مجمع بحوث الإمام أحمد الشيخ أحمد رضا خان ـ كراتشي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٧.	الإمام أحمد رضا كي جند خلفائي حجاز (بعض خلفاء الحجاز للإمام أحمد رضا) للدكتور محمد مسعود أحمد، ط: أكاديمية رضا لاهور.
٨.	إمام أحمد رضا كانفرنس / مجلة سنوية تصدرها مجمع بحوث الإمام أحمد الشيخ أحمد رضا خان ـ كراتشي.
٩.	إمام أحمد رضا كي جند خلفائي حجاز (بعض خلفاء الحجاز للإمام أحمد رضا)
١٠.	الإمام أحمد رضا وأثره في الفقه الحنفي / للشيخ مشتاق أحمد الأزهري، رسالة درجة تخصص الماجستير، كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر ١٩٩٧م.

١١.	الإمام أحمد رضا الحنفي البريلوي وشخصيته الموسوعية للشيخ كوثر النيازي، ط: أكاديمية رضا ــ لاهور ١٩٩٥م
١٢.	الانتباه في سلاسل أولياء الله / للشيخ ولي الله المحدث الدهلوي، ط: برقي بريس ــ دهلي.
١٣.	اندهيري سي أجالى تك (من الظلمات إلى النور) / للشيخ عبد الحكيم شرف القادري ط، مركزي مجلس رضا ــ لاهور ١٩٩٦م.
١٤.	أنوار رضا / لصفوة من العلماء ــ ط: ضياء القرآن ببليكيشنز ــ لاهور سنة ١٩٨٦م.
	(ب)
١٥.	البريلوية عقائد وتاريخ / للشيخ إحسان إلهي ظهير، ط: إدارة ترجمان السنة بلاهور، الطبعة الرابعة عام ١٩٨٤م
١٦.	بساتين الغفران / للشيخ أحمد رضا ــ جمعه وحققه الأستاذ الدكتور الدكتور حازم المحفوظ المصري، المحفوظ المصري، المحفوظ المصري، ط مجمع بحوث الإمام أحمد الشيخ أحمد رضا خان خان ــ كراتشي وأكاديمية رضا بريطانية ١٩٩٧م.
١٧.	بلاغة الكتاب في العصر العباسي / للدكتور محمد نبيه حجاب، ط: المطبعة الفنية الحديثة ــ القاهرة.
١٨.	البيان والتبيين / للشيخ أبي عثمان عمرو بن بحْر الجاحظ، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت.
	(ت)
١٩.	تاريخ الأدب العربي / للدكتور أحمد حسن الزيات، ط: دار الثقافة بيروت، الطبعة السادسة والعشرون.
٢٠.	تذكرة أكابر أهلسنت / للشيخ عبد الحكيم شرف القادري، ط: المكتبة القادرية ــ لاهور.

٢١.	تذكرة خلفائي أعلى حضرت الشيخ محمد صادق القصوري والدكتور مجيد الله القادري، ط: مجمع بحوث الإمام أحمد رضا ــ كراتشي.
٢٢.	تذكرة علماء أهل السنة / للشيخ محمود أحمد القادري، ط: سني دار الإشاعة ــ فيصل آباد ١٩٩٢م.
٢٣.	تذكرة الموتى والقبور / للشيخ عبد العزيز الدهلوي، ط: نوري كتب خانه ــ لاهور.
٢٤.	تفسير فتح العزيز / للشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي، الجزء الأخير، ط: مسلم بك دبو لال كنوان ــ دهلي.
	(ج)
٢٥.	الجامع الصحيح / لمحمد بن عيسى الترمذي، ط: مصطفى البابي الحلبي.
٢٦.	جد الممتار على رد المحتار / للشيخ أحمد رضا نشره: المجمع الإسلامي مباركفور الهند عام ١٩٩٤م.
٢٧.	جواهر البلاغة / للشيخ السيد أحمد الهاشمي، ناشره: المكتبة المصطفوية ــ مصر. الطبعة الخامسة ١٣٧٠هـ.
٢٨.	جواهر خمسة / للشيخ محمد غوث كواليري، ط: دار الاشاعت مسافر خانه ــ كراتشي.
٢٩.	جهان رضا / مجلة شهرية تصدرها مجلس رضا من مدينة لاهور.
٣٠.	جواهر الأدب / للسيد أحمد الهاشمي ــ انتشارات استقلال تهران الطبعة الأولى ١٣٠٠هـ.
	(ح)
٣١.	حدائق بخشش ، الديوان الأردي / للشيخ أحمد رضا ، ط: شبير برادرز ــ لاهور ١٩٨٨م.
٣٢.	حسام الحرمين على منحر الكفر والمين / للشيخ أحمد رضا. ط: نوري كتب خانه ــ لاهور.

٣٣.	حولية الجامعة الإسلامية / مجلة حولية تصدر كل عام من الجامعة الإسلامية العالمية ــ إسلام آباد، العدد الرابع ١٤١٧هـ/الموافق ١٩٩٦م.
٣٤.	حيات أعلى حضرت / للشيخ ظفر الدين البهاري، ط: مركزي مجلس رضا ــ لاهور ١٩٩٢م
٣٥.	حيات الشيخ أحمد رضا ــ للدكتور محمد مسعود أحمد، ط: مجمع بحوث الإمام أحمد رضا كراتشي ١٤١٠هـ
٣٦.	حيات محمد علي جناح / للشيخ رئيس أحمد الجعفري، ط: بمبئ كتب خانه تاج آفس.
٣٧.	حيات الموات في بيان سماع الأموات / للشيخ أحمد رضا، يتضمنه فتاواه (المجلد التاسع).
	(خ)
٣٨.	الخطابة وإعدادها الخطيب / للدكتور توفيق الواعي، ط: دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٩٩٦م
٣٩.	الخطبات الرضوية / للشيخ أحمد رضا، ط: نوري كتب خانه لاهور الطبعة الأولى ١٩٩٥م
٤٠.	خلفاء إمام أحمد رضا / للشيخ عبد الحكيم شرف القادري، نشره: أكاديمية رضا ــ لاهور ط/أولى ١٩٩٩م.
	(د)
٤١.	دائرة المعارف الإسلامية / للشيخ محمد فريد وجدي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧١م.
٤٢.	دلائل الإعجاز / للشيخ عبد القاهر الجرجاني، ناشره: مكتبة علي يوسف سليمان ــ القاهرة ١٣٨١هـ.
٤٣.	الدولة المكية بالمادة الغيبية / للشيخ أحمد رضا خان، ط: المكتبة الرضوية ــ كراتشي ١٩٩٦.

٤٤.	ديوان المتنبي / لأبي طيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي المتنبي، ناشره: دار الكتاب العربي ـــ بيروت.
٤٥.	دور الشيخ أحمد رضا خان في مقاومة البدع والرد عليها/ لدكتور محمد مسعود ، ط: أكاديمة رضا ـــ لاهور.
	(ر)
٤٦.	الرسائل الرضوية / للشيخ أحمد رضا رتبها: الشيخ عبد الحكيم أختر شاهجهان نوري، ط: مكتبة حامدية ـــ لاهور ١٩٨٨م.
	(ز)
٤٧.	الزلال الأنقى من بحر سبقة الاتقى / للشيخ أحمد رضا، مخطوط في مكتبة العلامة محمد عبد الحكيم شرف القادري ـــ لاهور.
	(س)
٤٨.	سوانح إمام أحمد رضا / للشيخ بدر الدين القادري ط: المكتبة النورية الرضوية بسكهر ١٩٨٧م.
	(ش)
٤٩.	شاه أحمد رضا بريج أفغاني (أي الشيخ أحمد رضا بهريجا أفغانيا)/ للأستاذ أكبر أعوان، ناشره: المختار ببليكيشنز ـــ كراتشي.
٥٠.	الشعر والشعراء / للشيخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قطيبة، منشور: دار الكتب العلمية ـــ بيروت ١٩٨١م.
٥١.	الشيخ أحمد رضا خان شاعرا عربيا / رسالة الماجستير التخصص قدمه: الطالب ممتاز أحمد السديدي في كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة الأزهر عام ١٩٩٩م.
٥٢.	شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي / للشيخ محي الدين، طبعه ونشره: مكتبة إمدادية ـــ ملتان (دون تاريخ الطبع والنشر)
	(ص)

٥٣.	صبح الأعشى / للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، طبعه: المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤م
٥٤.	الصحاح تاج اللغة وصياح العربية، ط: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.
٥٥.	صحيح البخاري / للشيخ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط: مطبعة عيسى ألبابي الحلبي ، القاهرة
٥٦.	صحيح مسلم / للشيخ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، ط: مصطفى ألبابي الحلبي.
٥٧.	صوت الشرق / مجلة تصدر من مصر، العدد: ١٩٠، السنة الثامنة عشرة فبراير ١٩٧٠م.
	(ض)
٥٨.	ضرورة الهام/ للميرزا غلام أحمد القادياني، ط: أحمدية انجمن إشاعة إسلام ـ لاهور.
	(ط)
٥٩.	طيب الوردة شرح قصيدة البردة / للشيخ أبي الحسنات محمد أحمد القادري، ط: ضياء القرآن ببليكيشنز ـ لاهور.
	(ع)
٦٠.	علوم الحديث عرض ودراسة / للدكتور صبحي صالح، من منشورات الرضي ـ قم، الطبعة الخامسة ١٣٦٣هـ.
	(ف)
٦١.	الفن ومذاهبه في النثر العربي / للدكتور شوقي ضيف، ط: دار المعارف ـ القاهرة، الطبعة العاشرة.
٦٢.	فن الخطابة / للشيخ علي محفوظ ، ط: دار الاعتصام ـ القاهرة ١٩٨٤م.

٦٣.	الفنون الأدبية في العصر العباسي / للدكتور شعبان محمد مرسي ، ط: كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية العالمية ـ إسلام آباد، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٦٤.	فهرس الفهارس / للشيخ أبي جعفر الكتاني، ط: دار الغرب الإسلامي ١٩٨٥م.
٦٥.	في ظلال الفتاوى الرضوية / للشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادري، ط: مركزي مجلس رضا ـ لاهور.
	(ق)
٦٦.	القائد الأعظم وقصة باكستان / للشيخ محمد حسن الأعظمي، ط: مكتبة مصر.
	(ك)
٦٧.	الكتاب التذكاري لمولانا أحمد رضا خان / للدكتور حازم محفوظ المصري، ط: دار الاتحاد التعاوني للطباعة ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٦٨.	كتاب الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته وكتبه / لمحمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي ـ بيروت.
٦٩.	كتاب زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع / للشيخ أحمد الحملاوي، المطبعة الكبرى الأميرية الطبعة الأولى ١٩٠٥م
٧٠.	كتاب الشفاء / للقاضي عياض المالكي، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧١.	كشاف اصطلاحات الفنون / للشيخ محمد علي بن علي التهانوي، دار صادر ـ بيروت.
٧٢.	كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم / للشيخ أحمد رضا، ط: المكتبة القادرية ـ بلاهور
	(ل)
٧٣.	لسان العرب / للشيخ أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، المصري، ط: دار صادر ـ بيروت.
	(م)

٧٤.	المجددون في الإسلام ــ للميرزا غلام أحمد القادياني، ط: الجماعة الأحمدية بربوة.
٧٥.	مجلي الشمع لجامع حدث ولمعة للشيخ أحمد رضا، ط: رضا اكيدمي ــ لاهور.
٧٦.	محمد أحمد رضا خان والعالم العربي / للدكتور حازم المحفوظ المضري، ط: رضا فاونديشن ــ لاهور، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
٧٧.	مختار الصحاح / للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط: دار القلبية للثقافة الإسلامية ــ جدة ١٩٨٦م.
٧٨.	المدخل / للسيد محمد عبدري دار الكتاب العربي ــ بيروت
٧٩.	معارف / مجلة شهرية تصدر من دار المصنفين ــ أعظم كره.
٨٠.	معارف رضا "مجلة سنوية" / تصدرها مجمع بحوث الإمام أحمد رضا ــ كراتشي.
٨١.	معجم المؤلفين / للشيخ عمر رضا كحالة، ط: دار إحياء التراث العربي.
٨٢.	المعجم الوسيط / لصفوة العلماء ، ناشره: انتشارات للصبر خسرو ــ تهران، الطبعة الثالثة.
٨٣.	مكتوبات الإمام أحمد رضا / جمعها: الشيخ محمود أحمد القادري، ط: المكتبة النبوية ــ لاهور.
٨٤.	المنظومة السلامية في مدح خير البرية لمولانا محمد أحمد رضا خان/ ترجمها عن الأردية الدكتور حازم المصري، ثم نقلها إلى الشعر العربي، الدكتور حسين مجيب المصري، نشره، الدار الثقافية للنشر ــ القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٨٥.	من هو أحمد رضا / للشيخ شجاعت القادري، نشره: اكاديمية رضا ــ لاهور.
٨٦.	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة / للدكتور مانع بن حماد الجهني ، ط: الندوة العالمية للشباب الإسلامية الرياض الطبعة الثالثة ١٩٩٨م.

٨٧.	الميزان الكبرى / للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ط: مصطفى البابي مصر
	(ن)
٨٨.	نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر / للشيخ عبد الحي الكنوي والشيخ أبي الحسن علي الندوي ، نشره: نور محمد أصح المطابع كراتشي ١٩٧٦م.
٨٩.	نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض / للشيخ شهاب الدين أحمد الخفاجي، ط: دار الكتب العربية ــ بيروت.
٩٠.	نصرة الأبرار / لمسعود العلوي ط: لاهور.
٩١.	نماز حنفي مدلل / للشيخ أبي يوسف محمد شريف السيالكوتي، ط: ضياء القرآن ببليشر ــ لاهور.
٩٢.	نور الإسلام / مجلة شهرية تصدر من لاهور، عدد صفر ١٣٥٣هـ.
٩٣.	نهاية الإرب في فنون الأدب / للشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ط: وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.
	(ي)
٩٤.	يتيمة الدهر في محاسن أهل الدهر / للشيخ أبي منصور عبد المالك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣
الفصل الأول: ٧
المبحث الأول: التعريف بالشيخ أحمد رضا خان ٧
تمهيد: شخصية الشيخ أحمد رضا خان ٨
أ) إسمه ومولده ٩
ب) نشأته وتربيته ١١
ج) آباءه وأجداده ١٣
د) وفاته ودفنه ١٥
المطلب الأول: حياته الاجتماعية ١٦
أ) زواجه وأولاده ١٧
ب) شيوخه وأساتذته ١٨
ج) تلاميذه وخلفائه ٢٠
المطلب الثاني: حياته العلمية ٢٣
أ) علومه وفنونه ٢٥
ب) مؤلفاته ٢٧
ج) تعليقاته وحواشيه ٣٠
د) الإنتاج العلمي بالحجاز ٣٢
المطلب الثالث: حياته الأدبية ٣٧
أ) ديوانه العربي ٤١
ب) ديوانه الأردي ٤٣
ج) ديوانه الفارسي ٤٥
المبحث الثاني: دوره في الحركات المعاصرة ٤٦

تمهيد: عصر الشيخ أحمد رضا خان ٤٧
المطلب الأول: الحركات السياسية في عصره وموقفه عنها ٤٨
أ) المؤتمر القومي الهندي وموقف أديبنا عنه ٤٩
ب) حركة الخلافة وموقف شيخنا عنها ٥٠
ج) حركة ترك وموقفه أديبنا عنها ٥١
د) حركة الهجرة وموقف شيخنا عنها ٥٣
المطلب الثاني: الحركات الدينية وموقف الشيخ أحمد رضا عنها ٥٥
أ) الحركة القاديانية وموقفه عنها ٥٦
ب) تنبيه ٥٧
ج) حركة الشيعة وموقف شيخنا عنها ٥٨
د) تنبيه هام ٥٩
هـ) عقيدة الشيخ أحمد رضا خان وآراء العلماء فيه ٥٩
الفصل الثاني: ٦٣
المبحث الأول: نثره الفني وأنواعه ٦٤
تمهيد: ٦٥
المطلب الأول: فن الرسائل وتاريخها عبر العصور ٦٦
أ) التعريف بالرسائل وتاريخها عبر العصور ٦٦
ب) أنواع الرسائل ٦٧
ج) رسائل الشيخ أحمد رضا خان وعددها ٦٧
د) أنواع رسائل الشيخ وأجزاءها ٧٠
هـ) موضوعات رسائلة ٧١
و) نموذج منها ٧٣
المطلب الثاني: فن الإجازات عند الشيخ أحمد رضا خان ٧٥

أ) التعريف بالإجازات ومكانتها الأدبية ٧٦
ب) دور الإجازات في الحجاز ٧٧
ج) إجازات الشيخ أحمد رضا خان ٧٨
د) أنواع إجازاته ٨٣
هـ) إجازات الشيخ دراسة موضوعية وأسلوبه ٨٤
و) نموذج من إجازات أديبنا ٩٣
المطلب الثالث: فن الخطب عند الشيخ أحمد رضا خان ٩٥
أ) دور الخطب عبر العصور ٩٦
ب) الفرق بين خطب العرب وخطب شبه القارة ٩٩
ج) خطب الشيخ أحمد رضا خان وأنواعها ١٠٠
د) خطب المنابر ونموذج منها ١٠١
هـ) خطب الدفاتر دراسة أسلوبية وفنية ١٠٥
و) نموذج من خطب الدفاتر ١٠٩
المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية والسمات الفنية ١١٣
تمهيد: ١١٤
أ) مدرسة أديبنا ١١٤
ب) أسلوبه ١١٥
ج) آراء العلماء في نثره ١١٦
المطلب الأول: صفات الأسلوب في نثر الشيخ أحمد رضا خان والسمات الفنية ١١٩
أ) وضوح الأسلوب ١٢٠
ـ وضوح الفكرة ١٢٠
ـ جلاء الأسلوب ١٢٣

ب) قوة الأسلوب لإفادة التأثير ١٢٥
ــ قوة الصورة ١٢٥
ــ قوة التركيب ١٢٦
ج) الروعة الجمالية ١٢٧
ــ الموسيقي ١٢٧
ــ العاطفة ١٢٧
ــ مطابعه اللفظ للمعنى ١٢٨
المطلب الثاني: الصور البيانية والمحسنات الدبيعية ١٣٠
أ) الأخلية والصور البيانية ١٣١
ــ التشبيه ١٣١
ــ الإستعارة ١٣٢
ــ الكناية ١٣٣
ب) المحسنات المعنوية ١٣٣
ــ الاستطراد ١٣٤
ــ الافتتان ١٣٤
ــ الطباق ١٣٥
ــ المقابلة ١٣٥
ــ مراعاة النظير ١٣٦
ــ المذهب الكلامي ١٣٦
ــ الإبداع ١٣٨
ــ تشابه الأطراف ١٣٨
ــ تجاهل العارف ١٣٩
ج) المحسنات اللفظية ١٤٠

- الاقتباس ١٤٠
- التضمين ١٤٢
- الاستشهاد ١٤٣
- الجناس ١٤٤
- السجع ١٤٥
- السجع المرصع ١٤٥
- السجع المتوازي ١٤٥
- السجع المطرف ١٤٦
- لزوم ما لا يلزم ١٤٦
- رد العجز على الصدر ١٤٧
- التاريخ بحساب العمل ١٤٨

الخاتمة ١٤٩

فهرس المراجع ١٥٠

فهرس الموضوعات ١٥٩



معارف رضا

﴿الشمارة الاولٰى، العربى﴾



ادارة التحقيقات الامام احمد رضا انترنيشنل

(المركز البحوث للامام احمد رضا)

كراتشى، بالاسلاميه الجمهوريه الباكستانية

اى.ميل : : marifraza@hotmail.com

